نور العرفاء

إرشادات معنويّة ووصايا سلوكيّة لكبار العرفاء

ترجمة وإعداد:

عصام خازم

نوال خليل

فريد توبة





نور العرفاء

إرشادات معنوية ووصايا سلوكية

لكبار العرفاء



بيروت - لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133 | P.O. Box: 307/25
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com | www.daralwalaa.com



ISBN 978-614-420-209-8

اسم الكتاب: نور العرفاء.

ترجمة وإعداد: نوال خليل - عصام خازم - فريد توبة.

الإخراج الفني: المنتدى للصفّ والإخراج الطباعيّ

تصميم الغلاف: المصمِّم مجتبى عبيد

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: بيروت لبنان - ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م

نور العرفاء

إرشادات معنوية ووصايا سلوكية لكبار العرفاء

ترجمة وإعداد:
نوال خليل
عصام خازم
فريد توبة



دار الولاء
لصناعة النشر

بسمه تعالى



التاريخ ۱۳۹۳/۱۱/۰۷

الرقم ۹۳/۱۷۱

الحمدلله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الخلق محمد و آله الطاهرين و اللعن الدائم على أعدائهم أجمعين

إلى: "دار الولاء" المحترم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

إجابة إلى رسالتكم برقم: ۲۰۱۵/۱ بتاريخ: ۲۰۱۵/۰۱/۲۲ و التي كان موضوعها المصادقة على كلمات سماحة المرجع الراحل الشيخ البهجة البالغ مناه في كتاب "نور العرفاء".

فقد تم تدقيق و مراجعة الكلمات الواردة في الكتاب و المنقولة عن سماحة الشيخ البهجة البالغ مناه. و لا مانع من نشرها في كتابكم بعد ملاحظة التعديلات و إدراجها.

و نسأل الله لكم التوفيق و السداد لما فيه خدمة المذهب.

المركز/ادارة القسم العربي

هاتف ۰۰۹۸ (۲۵) ۳۷۷۴۳۰۰۳۸ فاكس: ۰۰۹۸ (۲۵) ۳۷۷۴۳۰۰٦٤ e-mail: info@albahjat.org www.albahjat.org

مقدّمة

العرفان والعرفاء مصطلحان أصبحا، بعد سطوع شمس الإمام الخمينيّ قدس سره وبسط أشعَّتها في آفاق العالمين، قريبَيْن من النفوس والعقول والأرواح. وإن ما زال هذا العلم غريباً لجهة فهم عمقه وأبعاده وموقعيّته في هداية البشر والمجتمعات، من أجل الوصول إلى الحقيقة المطلقة. إضافة إلى افتقاد السعي عند الناس للاقتداء بآثار العرفاء والتأسّي بهم، فضلاً عن أصل التعرّف عليهم وتجاربهم الشخصيّة.

فالعرفاء بما يمثّلون من وصولهم إلى مقامات ودرجات رفيعة عند اللّه، وبفناء إرادتهم وصفاتهم وذواتهم في ذات اللّه، وارتشافهم من بحر الحقيقة، هم آيات أنفسية كبرى، وحجج ربّانيّة عظمى، يحتجّ بها اللّه تعالى على خلقه من إمكانيّة الوصول إلى لقاء اللّه وضرورته، والهجرة من بيت النفس المظلم إلى اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومع اعتبار بعض التيّارات الفكريّة والاجتماعيّة، انطلاقاً ممّا تحمله من موروث فكريّ قديم وأحكام سلبيّة مسبَقة، إنّ العرفان العمليّ والحالات والكشوفات التي يشاهدها العارف ما هي إلّا حالات وتجارب شخصيّة غير قابلة للتعميم، وإنّه من الممكن أن

يعتريها الشطح والاستحسانات، أو أنّها لا تستند إلى قواعد العقل والمنطق في الأغلب، نجد أنّ الكثيرين ينأون بأنفسهم خوفاً من الضلالة أو جهلاً بالحقيقة، ولا يحتكّون بالعرفاء، ولا يعيرون أهمِّيَّة جادّة لدراسة أفكارهم وعلومهم، والاستفادة من تجاربهم، وفق معايير العقل والشرع.

لكن من الجدير عدم إصدار أحكام مسبَقة بحقّ العرفاء، إلّا بعد دراسة آثارهم العلميّة والعمليّة دراسة هادئة، تبيِّن مدى التصاقهم بالشريعة والقرآن ونهج أهل البيت والأحكام المنطقيّة للعقل. بالإضافة إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسيّة التي كانت تحيط بهم، وكيف تطوّر هذا العلم في أحضان كبار العلماء الشيعة خاصّة عند الإمام الخمينيّ قدس سره، لأنّ التهجُّم على العرفاء والعرفان، وبناء سدّ منيع أمام سريان ألطاف وسرائر بواطنهم وأرواحهم ومعارفهم، ما هو إلا حرمان عظيم، يؤدّي إلى قطع الطريق أمام الوصول إلى لقاء اللّه الذي هو غاية بعثة الأنبياء، كما يعبر إمامنا الخمينيّ قدس سره:

«بنيّ: إن لم تكن من أهل المقامات المعنويّة، اسعَ أن لا تُنكر المقامات الروحانيّة والعرفانيّة؛ لأنّ الإنكار من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء التي تصدُّ الإنسان عن بلوغ جميع المراتب الإنسانيّة والمقامات الروحانيّة. وهو يدفع الإنسان إلى إنكار السلوك إلى اللّه، والاستهزاء به أحياناً، ممّا يجرّ إلى الخصومة والمعاداة لهذا الأمر. وبهذا فإنّ ما جاء به جميع الأنبياء العظام (صلوات اللّه

عليهم) والأولياء الكرام والكتب السماويّة، خصوصاً القرآن الكريم - الكتاب الخالد لبناء الإنسان- سيموت قبل أن يولد».

وصايا عرفانيّة

وهذا الكتاب ليس إلّا إطلالة سريعة على بعض المقتطفات من إرشادات ووصايا بعض كبار العرفاء الذين التصقت واتحدت هويَّتهم بالثقلين، كتاب اللّه وعترة أهل بيته، وكانوا من كبار الفقهاء والفلاسفة وأهل العلم والتقوى، ومن الذين تركوا في محيطهم تأثيرات طيِّبة وهادية، مع الاعتراف أنّه لا يمكن، من خلال هذا العرض السريع، الإحاطة بشخصيّتهم واستنشاق شميم أرواحهم العابقة بحقيقة التوحيد.

ومن جهة أخرى، يبقى هناك تفاوت في دائرة وشموليّة وعمق ومنهجيّة عارف بالنسبة إلى عارف آخر، بحسب نظرته إلى عالم الوجود بكلّ حيثيّاته، والالتفات إلى ضرورة هداية الأفراد من خلال هداية المجتمعات، وإسقاط الأنظمة الطاغوتيّة، والتأسيس لحكومة إلهيّة تتبنّى العدل وإرساء القيَم الإسلاميّة، ممّا يؤسّس لبيئة مناسبة وحضن لصناعة الإنسان الكامل، كما كانت حركة الأنبياء والرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام. لكنّ ما يجمع العرفاء جميعاً حبُّهم في إيصال الآخرين إلى ما وصلوا إليه، وحزنهم وتأسُّفهم من تخلّف الناس عن ركب السير والسلوك إلى اللّه.

فالإمام الخمينيّ قدس سره شقّ بسفينة ولايته الهادرة سفره الرابع في السير من الخلق إلى الخلق بالحقّ، عُبَاب ظلمات جهالة النفوس والأرواح التي كانت مسيطرة على المجتمعات، جرّاء تسلّط الظالمين والمستكبرين على مقاليد الأمور، وانطلقت قافلة البشريّة متزوّدة من وقود روحه وفكره لترسم خطوط معالم حياة جديدة مليئة بالمعنويّات والقيَم الإلهيّة. ومع رحيل الإمام تسلّم خليفته السيّد القائد الخامنئيّ قيادة سير القافلة، وتوجيهها في المنعطفات والمزالق حتّى يوصلها إلى برّ الأمان، حيث الملتقى بصاحب المشروع الكبير الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف المنتظر في إقامة القسط والعدل في مشارق الأرض ومغاربها، وإرساء القيَم الإيمانيّة التوحيديّة.

يضمُّ هذا الكتاب مجموعة من الوصايا والإرشادات العمليّة في السير والسلوك، إضافة إلى حقائق تفسّر مسائل وجوديّة، لبعض كبار عرفاء الشيعة، وهم:

الإمام الخمينيّ قدس سره - قرن عارف.

السيّد القائد الخامنئيّ دام ظله - حديث الولاية.

آية اللّه محمّد حسين الطباطبائيّ - علّامة العرفاء.

العلّامة حسن زاده آملي - أستاذ السلوك.

آية اللّه السيّد علي القاضي - أستاذ الطريقة.

آية اللّه بهاء الدينيّ - بحر العرفان.

آية اللّه بهجت - جنّة العرفاء.

الشيخ رجب علي الخيّاط - رجل الطريق.

آية اللّه الأنصاريّ الهمدانيّ - العارف المتحرّق.

آية اللّه الكشميريّ - طائر النجف.

آية اللّه كوهستاني - جبل العرفان.

الشيخ جعفر مجتهدي - عاشق أهل البيت عليهم السلام.

الذين تربّوا في أحضان الحوزات العلميّة الشيعيّة العريقة الحافظة لعلوم ومعارف الإسلام الأصيلة، فكانوا أعلاماً في مختلف العلوم من الفقه والأصول والحديث والفلسفة والقرآن، وتركوا وراءهم العديد من الكتب والمؤلّفات القيّمة... ولأنّ وجودهم انصبغ بحقائق هذا الدين، فاضت منهم إرشادات ووصايا لسالكي الشريعة والطريقة من أجل إيصالهم إلى الحقيقة.

هذه السلسلة كانت بالأصل مجموعة كتيّبات جاءت باللغة الفارسيّة تحمل أسماء العرفاء أعلاه. صدرت عن هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، وقد تمّت ترجمتها إلى اللغة العربيّة مع إضافة نصوص لم ترد في النسخة الفارسيّة خاصّة بعض النصوص التي كانت جاءت على لسان الإمام الخمينيّ قدس سره والسيّد الخامنئيّ دام ظله، نظراً لموقعيّة هذين القائدين العظيمين في رسم المسيرة الحاليّة لخطّ

التمهيد لظهور الإمام المهديّ ﷿ والتواصل الحقيقيّ والفعّال مع روحه الكلِّيَّة التي تفيض بكلّ خير وهداية على أرواح العالمين.

نسأل اللّه أن يتقبّل هذا العمل المتواضع، ونتقدّم بجزيل الشكر من الأخوة في دار الولاء لنشرهم هذا العمل.

نوال خليل



قرن عارف

الإمام الخميني قدس سره

أوّل منازل الإنسانية

اعلم أنّ المنزل الأوّل من منازل الإنسانيّة هو منزل اليقظة، كما يقول كبار أهل السلوك في بيانهم لمنازل السالكين. ولكن ما يجب قوله هو أنّ الإنسان ما لم ينتبه إلى أنّه مسافر، ولا بُدَّ من السير، وأنّ له هدفاً وتجب الحركة نحوه، وأنّ البلوغ إلى المقصد ممكن، لما حصل له العزم والإرادة للتحرّك.

[الأربعون حديثاً]

النيّة الخالصة

أيّها العزيز، إنّ العلاج كلّ العلاج فيما إذا أراد الإنسان أن يكون علمه إلهيّاً فعليه، عندما يدرس أيّ علم شاء، أن يبادر إلى مجاهدة النفس، ويسعى بوساطة الرياضة الروحانيّة، في سبيل تخليص نيّته. فإنّ المنقذ الأساسيّ، ومصدر الفيض، تخليص النيّة، والنيّة الخالصة «مَنْ أَخْلَصَ لِلّهِ أرْبَعينَ صَبَاحاً جَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ

مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ» فهذه فوائد وآثار الإخلاص في أربعين يوماً. فأنت عندما بذلت الجهد أربعين عاماً أو أكثر في سبيل تجمّع المصطلحات والمفاهيم العلميّة، واعتبرت نفسك علّامة ومن جنود اللّه، ولكن لم تجد أثراً للحكمة في قلبك، ولا طعماً لها على لسانك، فاعلم بأنّ دراستك وتعبك لم يقترنا بالإخلاص، بل إنما اجتهدت للشيطان والرغبات النفسيّة. فعندما رأيت بأنّ هذه العلوم لم تثمر ولم تنجع فانصرف ولو لأجل الاختبار، نحو إخلاص النيّة وتصفية القلب من الرذائل والكدر، فإذا لمست أثراً حاول أن تستمرّ في ذلك أكثر. وإن كانت التصفية لأجل الاختبار كانت هذه النيّة متنافية مع الإخلاص، ولكن من المحتمل أنّ بصيصاً من نورها يهديك.

وعلى أيّ حال أيّها العزيز، أنت محتاج في جميع العوالم: عالم البرزخ وعالم القبر وعالم القيامة ودرجاتها إلى المعارف الإلهيّة الحقّة، والعلوم الحقيقيّة والخلق الحسن والأعمال الصالحة. فاجتهد أينما كنت من هذه الدرجات والمراتب، وأكثر من إخلاصك وأزل عن قلبك أوهام النفس ووساوس الشيطان حتى تظهر لك النتائج، وتجد سبيلاً إلى الحقيقة، وينفتح لك طريق الهداية، ويكون اللّه سبحانه في عونك.

يعلم اللّه سبحانه بأنّنا إذا انتقلنا مع هذه العلوم التافهة الباطلة، وهذه الأوهام الفاسدة والقلب الكدر والخلق الذميم إلى عالم الآخرة، كيف تكون مصائبنا ومحنتنا، وكيف يكون

مصيرنا، وأن أيّ ظلم ووحشة وعذاب توفر لنا هذه العلوم وهذه الأخلاق!

[الأربعون حديثاً]

الدعوة إلى الإخلاص

إذاً أيها العزيز، كن دقيقاً في أعمالك وحاسب نفسك في كلّ عمل، واستنطقها عن الدافع في الأعمال الخيّرة، والأمور الشريفة، فما الذي يدفعها إلى السؤال عن مسائل صلاة الليل أو على ترديد الأذكار؟ هل تريد تفهّم أحكام صلاة الليل وتُعلّمها قربة إلى اللّه، أم تريد أن توحي إلى الناس بأنك من أهل صلاة الليل؟

لماذا تريد أن تخبر الناس بأي أسلوب كان، عن الزيارة للمشاهد المشرّفة وحتّى عن عدد الزيارات؟

لماذا لا ترضى أن لا يطلع أحد على الصدقات التي تعطيها في الخفاء، وتحاول أن تتحدّث عنها ليطّلع عليها الناس؟ إذا كان ذلك للّه، وتريد أن يتأسىّ به الناس باعتبار أنّ «الدالّ على الخير كفاعله» فإنّه إظهار حسن، وأشكر اللّه على هذا الضمير النقيّ والقلب الطاهر!.

ولكن ليكن الإنسان على حذر في مناظرته وجداله مع نفسه، وأن لا ينخدع بمكرها وإظهارها له العمل المرائي بصورة عمل مقدّس. فإن لم يكن للّه، فتركه أولى؛ لأنّ هذا من طلب السمعة، وهو من شجرة الرياء الملعونة. ولن يقبل اللّه المنّان عمله، بل يأمر

بإلقائه في سجّين. يجب علينا أن نستعيذ باللّه تعالى من شرِّ مكائد النفس، فإنّ مكائدها خفيّة جدّاً، ولكنّنا نعلم إجمالاً أنّ أعمالنا ليست خالصة للّه، وإلّا فإذا كنّا عباداً للّه مُخْلصين، فلماذا تكون للشيطان علينا هذه السيطرة وبهذا القدر؟ مع أنّه أعطى لربِّه عهداً أنّه ليس له سلطان على عباد اللّه المخلصين، وأنّه لا يمدّ يده إلى ساحتهم المقدّسة، وعلى حد قول شيخنا الكبير دام ظله: فإنّ الشيطان كلب أعتاب الحضرة الإلهيّة، فلا ينبح في وجه من كانت له معرفة باللّه، ولن يؤذيه، وكلب الدار لا يطارد معارف صاحب الدار. ولكنّ الشيطان لا يسمح بالدخول لمن ليست له معرفة بصاحب الدار. إذاً، إذا رأيت أنّ للشيطان شأناً معك وسيطرة عليك، فاعلم أنّ أعمالك غير خالصة، وأنّها ليست للّه تعالى.

وإذا كنت مخلصاً فلماذا لا تجري ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك، مع أنك تعمل أربعين سنة قربة إلى اللّه حسب تصورك؟ في حين أنّه ورد في الحديث الشريف عن الرضا عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما خَلُصَ عَبْدٌ لِلّهِ عَزَّ وجلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إلاَّ جَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ». إذاً، فاعلم أنّ أعمالنا غير خالصة للّه، ولكنّنا لا ندري، وها هنا الداء الذي لا دواء له!.

ويل لأهل الطاعة والعبادة والعلم والديانة الذين عندما يفتحون أبصارهم ويقيم سلطان الآخرة قدرته، يرون أنفسهم من أهل كبائر المعاصي، بل وأسوأ من أهل الكفر والشرك، بحيث إنّ صحيفة أعمالهم تكون أشد سواداً من صحائف الكفّار والمشركين.

الويل لمن يدخل بصلاته وطاعته جهنّم، الويل لمن تكون صورة صدقته وزكاته وصلاته أبشع مما يمكن تصوّره. أيّها المسكين المرائي، أنت مشرك، وأمّا العاصي فموحّد. إنّ اللّه يرحم بفضله العاصي إن شاء، لكنه يقول إنه لن يرحم المشرك إذا رحل عن الدنيا بدون توبة.

لقد سمعت في الأحاديث الشريفة أنّ المرائي مشرك. إنّ من يرائي بين الناس برياسته الدينيّة وإمامته وتدريسه وصومه وصلاته وبأعماله الصالحة لأجل الحصول على المنزلة في قلوبهم، فهو مشرك. وإنّه لن يكون مشمولاً بمغفرة اللّه تعالى حسب الآية الشريفة وأخبار أهل بيت العصمة (صلوات اللّه عليهم). إذاً؛ فيا ليتك كنت من أهل الكبائر، ومتجاهراً بالفسق، ومنتهكاً للحرمات الظاهريّة، وكنت موحِّداً ولم تشرك باللّه.

فيا أيّها العزيز؛ فكّر لتجد سبيلاً لنجاتك، واعلم أنّ الشهرة بين هؤلاء الناس وَهمٌ باطل، إنّها ليست بشيء. إنّ قلوب هؤلاء التي لو أكلها عصفورٌ لما شبع، إن هي إلّا قلوب ضعيفة تافهة، ولا طاقة لها على شيء، وإنّ هذا المخلوق الضعيف لا حول له ولا قوّة له. القوّة هي قوّة اللّه المقدّسة، فهو الفاعل المطلق ومسبّب الأسباب. ولو اجتمع الناس جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً، لما استطاعوا أن يخلقوا ذبابة، وإذا سلبت منهم الذبابة شيئاً لما استطاعوا استرجاعه منها. كما جاء في الآية الكريمة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ

مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

القوّة للّه تعالى، وهو المؤثّر في جميع الموجودات. اكتب على قلبك بمداد العقل، مهما قاسيت في ذلك وعانيت، أن: «لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه»!.

أدخِل في قلبك بأية وسيلة كانت، التوحيد العمليّ، وهو أُولى درجات التوحيد، وأجعل قلبك مؤمناً ومسلماً، واختم على قلبك بهذه الكلمة المباركة بالختم الشريف «لا إله إلّا اللّه» واجعل صورة القلب صورة كلمة التوحيد، وأوصله إلى درجة «الاطمئنان»، وأفهمه أنّ الناس لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، فاللّه وحده هو النافع والضارّ». أزل هذا العمى عن عينيك، وإلّا فستكون ممّن يقول: ﴿... رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]. وتحشر يوم كشف السرائر، أعمى. واعلم أنّ إرادة اللّه تعالى قاهرة لجميع الإرادات، وإذا اطمأن قلبَك بهذه الكلمة المباركة، وسلّم لهذه العقيدة، فالأمل أن يَتمّ عملك، وتستأصل جذور الشرك والرياء والكفر والنفاق من قلبك.

[الأربعون حديثاً]

مرحلة الشباب الفرصة المناسبة لتهذيب النفس

... فإن يمكنه ذلك حينما يصبح شيخاً عجوزاً، فحينها ستضعف الإرادة ويقوى العدوّ. ففي مرحلة الشيخوخة تضعف إرادة الإنسان،

ويقوى جنود إبليس في داخل النفس، ولن يمكن حينها من تحقيق التهذيب، وإن أمكن فإنّه سيكون أمراً صعباً جدّاً.

اهتموا بهذا الأمر من الآن، اهتموا به من بداية مرحلة الشباب، إنّ كلّ قدم تخطونها الآن تقودكم نحو القبر، فلا مجال للتأخير أبداً، وليس هناك ما يمنعكم من ذلك أبداً، كلّ دقيقة تمرّ من أعماركم الشريفة تقرّبكم من القبر ومن المكان الذي ستتعرّضون فيه إلى المساءلة، وكلّكم ستسألون، وأنتم تقتربون تدريجيّاً، فكّروا في أنّ القضيّة هي الاقتراب من الموت، وأنّ أحداً لم يضمن لكم أن تُعَمَّروا مائة وعشرين سنة، فليس متعارفاً بيننا أن يعمَّر أحدنا مائة وعشرين سنة، فالإنسان قد يموت وهو في الخامسة والعشرين من عمره أو في الخمسين أو الستين، ليس هناك من ضمان، لعلّ الأجل يحلّ بنا الآن - لا سمح اللّه - فلا ضمان، ويجب أن تفكّروا وتتأمّلوا في هذه الأمور. هذّبوا أخلاقكم، هذّبوها أكثر - إن شاء اللّه - ولتكن أعمالكم مطابقة للإسلام، مطابقة لأحكام الإسلام، لكي توفّقوا - إن شاء اللّه - وأنتم تحت القبّة المطهّرة للمولى- سلام اللّه عليه - بالتنعّم بأنوار العلم الذي يرضي اللّه تعالى، العلم الذي هو نور، العلم الذي يقرّبكم من اللّه تبارك وتعالى، وهذا يحتاج إلى التريّض، فأنتم تمارسون بتحصيل العلم نوعاً من الرياضة، فلتكن هذه الرياضة متزامنة مع اكتساب العلم.

[صحيفة نور]

الالتفات إلى نقاط ضعفنا وعيوبنا

... ليس بوسع جهة أو أحد الادّعاء بأنّه كامل وخال من العيوب. وإذا ادّعى أحد ذلك فهذا أكبر عيب فيه. ليس بوسع أحد أن يدّعي بأنّه إنسان كامل. ربّما تكون عيوبه قليلة غير أنّ ذلك لا يعني أنّه منزّه تماماً. ولذا علينا أن نلتفت إلى عيوبنا دائماً، إلى العيوب المحتملة. والإنسان الذي يعمل من أجل اللّه ويتطلّع إلى مقام الإنسانيّة، عليه أن يبحث دائماً عن عيوبه لا أن يرى محاسنه؛ لأنّ التفات الإنسان إلى عيوبه يساعده في التخلص منها، وأنّ الاكتفاء بمتابعة محاسنه يضع غشاوة على بصيرته تحول دون رؤيته لعيوبه.

[صحيفة نور]

الاستعداد للموت

اعلم إذاً أيّها العزيز، أنّ أمامك سفراً خطراً لا مناص لك منه، وأنّ زاده وراحلته هما العلم والعمل الصالح. إنّ وقت هذا السفر غير معلوم، فقد يكون ضيّقاً جدّاً، وتفوتك الفرصة. إنّ الإنسان لا يعلم متى يقرع ناقوس الرحيل حيث لا مفرّ من تلبية النداء. إنّ طول الأمل المعشعش فيّ وفيك والناشئ من حبّ النفس ومكائد الشيطان الملعون ومغرياته، يمنعنا عن الاهتمام بعالم الآخرة وعن القيام بما يجب علينا، حتى إذا ما أزف الوعد الموعود اضطررنا إلى الرحيل دون زاد ولا راحلة، ومن دون العمل الصالح والعلم النافع. فما الذي حصل حتى كان لعلمنا وعملنا مدّة أربعين أو خمسين سنة

تأثير معكوس بحيث أصبحت قلوبنا أصلب من الصخر القاسي؟ ما الذي جنيناه من الصلاة التي هي معراج المؤمنين؟ أين ذلك الخوف وتلك الخشية الملازمة للعلم؟ لو أنّنا أُجبرنا على الرحيل ونحن على هذه الحال، لا سمح اللّه ، لكان علينا أن نتحمّل الكثير من الحسرات والخسائر العظيمة في الطريق، ممّا لا يمكن إزالته! فنسيان الآخرة من الأمور التي يخافها علينا وليّ اللّه الأعظم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويخاف علينا من الباعث لهذا النسيان وهو طول الأمل لأنّه يعرف مدى خطورة هذه الرحلة.

[الأربعون حديثاً]

حبّ الدنيا

إنّ مسؤوليتكم خطيرة، وينبغي لكم أن تمارسوا الدعوة للناس بأخلاقكم وأعمالكم. أنتم هداة الناس ينبغي أن تكونوا منارة ونوراً، هذِّبوا أنفسكم وأخرجوا حبّ الدنيا من قلوبكم، فحب الدنيا رأس كلّ خطيئة، كل الخطايا من حبّ الدنيا وحبّ الشهرة، أخرجوا هذا الحبّ من قلوبكم وأميتوه وأحيوا قلوبكم بحياة الإسلام، بالحياة الإلهيّة.

[صحيفة نور]

الصلوات الخمس

إنّ من الأمور المهمّة التي تتوفّر في هذه الصلوات الخمس التي تعتبر عمود الدين، والقاعدة الصلبة للإيمان والتي لا يرقى

إلى مستواها شيء في الأهميّة بعد الإيمان، وبعد التوجّهات النوريّة الباطنيّة، والصور الغيبيّة الملكوتيّة، لا يعلم أحد عظمتها إلّا الحقّ سبحانه، والخواصّ في حالات من الأدب الخاصّ الروحانيّ الإلهيّ، الذي يدفع بالإنسان إلى توثيق الأواصر بينه من جهة والحقّ المتعالي والعوالم الغيبيّة من جهة أخرى، ويبعث على ملكه الخضوع للّه سبحانه في الفؤاد، ويقوّي الشجرة الطيّبة التي هي التوحيد والتفريد، ويجذّرها في النفس على نحو لا يمكن اقتلاعها. كما أنّه يفلح في الاختبار العظيم الذي يحصل له من قبل الحقّ المتعالي لدى سكرات الموت وأهوال المطّلع ومشاهدة شيء من عالم الغيب، ويوجب استقرار دينه وثباته، من دون أن يكون مستودعاً وقابلاً للزوال حتى يصاب بالنسيان، لدى أقلّ ضغط.

فيا أيّها العزيز، إيّاك ثُمَّ إيّاك وَاللَّهُ مُعينُكَ فِي أولاكَ وَأُخْرَاكَ أن تتهاون في أمورك الدينيّة وخاصّة الصلوات الخمس، وتبدي الفتور والإهمال تجاهها. ويعلم اللّه بأنّ الأنبياء والأولياء وأئمّة الهدى (عليهم السّلام) قد دفعوا بالناس نحو الصلوات وحذّروهم من التخلّف عنها، نتيجة العطف والحنان منهم على العباد، إذ إنّهم لا ينتفعون من إيماننا ولا تجديهم أعمالنا شيئاً.

[الأربعون حديثاً]

التذكُّر التامّ صراط لقاء اللّه

واعلم أيّها العزيز، أنّ التذكّر التامّ لحضرة الحقّ والتوجّه المطلق بباطن القلب إلى تلك الذات المقدّسة موجب لفتح العين الباطنيّة للقلب الذي به يحصل لقاء اللّه وهو قرّة عين الأولياء ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

[الآداب المعنويّة للصلاة]

الإنفاق والإيثار يقطعان مادة الفساد من باطن الإنسان

لا بدّ وأن نعرف بأنّ الإنسان قد نشأ وتربّى على حبّ المال والجاه والزخارف الدنيوية، وقد انعكس هذا التعلّق على قلبه، وتعمّق فيه وأضحى مصدراً لكثير من المفاسد الخلقيّة والسلوكيّة، بل للانحرافات الدينيّة. وإذا استطاع الإنسان بوساطة الصدقات أو الإيثار على النفس أن يستأصل من قلبه هذا التعلّق أو يخفّف منه، لتمكّن من اجتثاث مادّة الفساد ومصدر الأعمال المشينة فترة حياته، وفتح أبواب المعارف الإلهيّة، وعالم الغيب والملكوت، والملكات الفاضلة، على نفسه. وهذا من الأمور المهمّة في الإنفاق الماليّ الواجب والمستحبّ، وخاصّة في الإنفاق المستحبّ حيث لا بدّ من الإقلاع عن التعلّق بالدنيا حتّى يتمّ البذل. وهو واضح.

إذاً يتبيّن من كافّة الأخبار والأحاديث في هذا الموضوع، أنّ

الصدقة تشتمل على الفضائل الدنيويّة والأخرويّة حيث ترافق الإنسان من اللحظة الأولى من التصدّق فتدفع الشرّ والبلاء عن الإنسان حتّى يوم القيامة ومواقفها إلى أن تُدخل الإنسان إلى الجنّة وتُسكنه جوار الحقّ سبحانه.

[الأربعون حديثاً]

التوسّل بالأئمّة المعصومين عليهم السلام

وحيث إنّ الصبح افتتاح الاشتغال بالكثرات والورود على الدنيا، ويواجه الإنسان مخاطر الاشتغال بالخلق والغفلة عن الحقّ فيحسن للإنسان السالك اليقظ أن يتوسّل بالحق تعالى في ذلك الوقت الدقيق للورود في هذه الدار المظلمة وينقطع إلى حضرته، فإذا رأى نفسه غير وجيه في ذلك المحضر الشريف فيتوسّل بأولياء الأمر وخفراء الزمان وشفعاء الأنس والجانّ أي الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ويجعل تلك الذوات الشريفة شفيعاً ووساطة... فيناسب أن يتوسّل بعد صلاة الصبح للورود في هذا البحر المهلك الظلمانيّ والمصيدة المهيبة الشيطانيّة بخفراء ذلك اليوم، ويسأل الحقّ تعالى رفع شرّ الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء بشفاعتهم فإنّهم مقرّبون لجناب القدس ومحارم خلوة الأنس ويجعلهم وسائط في الإتمام وقبول العبادات الناقصة والمناسك غير اللائقة، فالحقّ تعالى شأنه

كما جعل محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وسائط الهداية وعيّنهم الهداة لنا ونجّى الأمة ببركاتهم من الضلالة والجهل، فيرمّم بشفاعتهم قصورنا ويتمّم نقصنا ويقبل إطاعاتنا وعباداتنا غير اللائقة إنّه وليّ الفضل والإنعام.

[الآداب المعنويّة للصلاة]

التدبُّر في آيات آخر سورة الحشر يُصلح النفس

بنيّ، طالع سورة الحشر المباركة فإنّ فيها خزائن المعارف والتربية، وتستحقّ أن يمضي الإنسان عمراً يفكّر فيها، ويتزوّد - بالمدد الإلهي - منها (أنواعاً من الزاد) خصوصاً آياتها الأواخر حيث يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ إلى آخر السورة.

[وصايا عرفانيّة]

التأدّب بآداب الشريعة

واعلم... أنّ طيّ أيّ طريق في المعارف الإلهيّة، لا يمكن إلاّ بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدّب الإنسان بآداب الشريعة الحقّة، لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلّى في قلبه نور المعرفة، وتتكشّف له العلوم الباطنيّة وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف

في قلبه لا بدّ من الاستمرار في التأدّب بالآداب الشرعيّة الظاهريّة أيضاً.

ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول: (إنّ الوصول إلى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر)، أو (لا حاجة إلى الآداب الظاهرية بعد الوصول إلى العلم الباطن). وأنّ هذه الدعوى ترجع إلى جهل من يقول بها، وجهله بمقامات العبادة ودرجات الإنسانيّة.

[الأربعون حديثاً]

شكر النِّعم

واعلم أنّ احترام المنعم وتعظيمه، هما من الأمور الفطريّة التي جبل الإنسان عليها والتي تحكم الفطرة بضرورتها، وإذا تأمّل أيّ شخص في كتاب ذاته، لوجده مسطوراً فيه أنّه يجب تعظيم من أنعم نعمةً على الإنسان. وواضح أنّه كلّما كانت النعمة أكبر وكان المنعم أقلّ غرضاً، كان تعظيمه أوجب وأكثر، حسب ما تحكم به الفطرة. فهناك مثلاً فرق واضح في الاحترام والتقدير بين شخص يعطيك «حصاناً» تلاحقه عيناه ويرمى من ورائه شيئاً، وبين الذي يهبك مزرعة كاملة ولا يمنُّ عليك. أو مثلاً، إذا أنقذك طبيب من العمى، فستقدِّره وتحترمه بصورة فطريّة، وإذا أنقذك من الموت كان تقديرك واحترامك له أكثر.

لاحظ إلى أنّ النعم الظاهرة والباطنة التي تفضّل بها علينا مالك الملوك جلَّ شأنه لو اجتمع الجن والإنس لكي يعطونا واحدة منها لما استطاعوا. وهذه حقيقة نحن غافلون عنها، فمثلاً هذا الهواء الذي ننتفع

به ليلاً ونهاراً، وحياتنا وحياة جميع الموجودات مرهونة به، بحيث لو فُقد مدة ربع ساعة لما بقى هناك حيوان على قيد الحياة، هذا الهواء كم هو نعمة عظيمة، يعجز الجن والإنس جميعاً عن منحنا مثيلاً لها لو أرادوا أن يمنحونا ذلك؟ وعلى هذا فقس وتذكر قليلاً كافّة النعم الإلهيّة مثل سلامة البدن والقوى الظاهريّة من قبيل البصر والسمع والتذوّق واللمس، والقوى الباطنيّة مثل التخيّل والواهمة والعقل وغير ذلك، حيث يكون لكلّ واحدة من هذه النعم منافع خاصّة لا حدّ لها. وجميع هذه النعم وهبنا إياها مالك الملوك دون أن نطلب منه أن يمنَّ علينا، ولم يكتف بهذه النعم، بل أرسل الأنبياء والرسل والكتب وأوضح لنا طريق السعادة والشقاء والجنّة والنار، ووهبنا كلّ ما نحتاجه في الدنيا والآخرة، دون أن يكون فقيراً ومحتاجاً إلى طاعتنا وعبادتنا. فهو سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضرّه المعصية، وطاعتنا ومعصيتنا بالنسبة إليه على حدّ سواء، بل من أجل خيرنا ومنفعتنا نحن يأمر وينهى. وبعد تذكّر هذه النعم والكثير الكثير من النعم الأخرى التي يعجز حقّاً جميع البشر عن إحصاء الكلِّيَّات منها، فكيف بعدّها واحداً واحداً؟ بعد ذلك يُطرح السؤال التالي: ألا تحكم فطرتك بوجوب تعظيم منعم كهذا، وما هو حكم العقل تجاه خيانة وليّ نعمة كهذا؟!.

ومن الأمور الأخرى التي تقرّها الفطرة، احترام الشخص الكبير العظيم، ويرجع كلّ هذا الاحترام والتقدير الذي يبديه الناس تجاه أهل الدنيا والجاه والثروة والسلاطين والأعيان، يرجع إلى أنّهم يرون أولئك كباراً وعظماء، وأيّ عظمة تصل إلى مستوى عظمة مالك الملوك الذي خلق هذه الدنيا الحقيرة الوضيعة والتي تعتبر

من أصغر العوالم وأضيق النشآت، رغم كلّ ذلك لم يتوصّل عقل أيّ موجود إلى إدراك كنهها وسرّها حتى الآن، بل ولم يطلع كبار المكتشفين في العالم بعد، على أسرار منظومتنا الشمسية هذه، وهي أصغر المنظومات ولا تعدّ شيئا، قياساً بباقي الشموس. أفلا يجب احترام وتعظيم هذا العظيم الذي خلق هذه العوالم وآلاف الآلاف من العوالم الغيبيّة بإيمائه؟!.

ويجب أيضا بالفطرة، احترام من يكون حاضراً، ولهذا ترى بأن الإنسان إذا تحدث، لا سمح اللّه، عن شخص بسوء في غيبته، ثم حضر في أثناء الحديث ذلك الشخص، أختار المتحدّث بحسب فطرته الصمت، وأبدى له الاحترام. ومن المعلوم أنّ اللّه تبارك وتعالى حاضر في كلّ مكان وتحت إشرافه تعالى تدار جميع ممالك الوجود، بل إن كلّ نفس تكون في حضرة الربوبية، وكل علم يوجد ضمن محضره سبحانه وتعالى.

فتذكّري يا نفسي الخبيثة أيّ ظلم فظيع، وأي ذنب عظيم تقترفين إذا عصيت مثل هذا العظيم في حضرته المقدّسة وبوساطة القوى التي هي نعمه الممنوحة لك؟ ألا ينبغي أن تذوبي من الخجل، وتغوري في الأرض، لو كان لديك ذرّة من الحياء؟.

إذاً فيا أيّها العزيز؛ كن ذاكراً لعظمة ربِّك، وتذكّر نعمه وألطافه، وتذكّر أنَّك في حضرته - وهو شاهد عليك - فدع التمرّد عليه، وفي هذه المعركة الكبرى تغلب على جنود الشيطان، وأجعل من مملكتك مملكة رحمانية وحقّانيّة، وأحلل فيها عسكر الحقّ تعالى

محلّ جنود الشيطان، كي يوفّقك اللّه تبارك وتعالى في مقام مجاهدة أخرى، وفي ميدان معركة أكبر تنتظرنا، وهي الجهاد مع النفس في العالم الباطن، وفي المقام الثاني للنفس. وأكرر التذكير بأنه في جميع الأحوال لا تعلّق على نفسك الآمال؛ لأنه لا ينهض أحد يعمل غير اللّه تعالى. فاطلب من الحقّ تعالى نفسه بتضرّع وخشوع، كي يعينك في هذه المجاهرة لعلّك تنتصر. إنه ولي التوفيق.

[الأربعون حديثاً]

طلب اللّه باللسان

يا أيها العزيز! لا تتباه بقربك من اللّه ولا تبالغ في حبك له. أيها العارف، أيها الصوفي، أيها الحكيم، أيها المجاهد، أيها المرتاض، أيها الفقيه، أيها المؤمن، أيها المقدّس، أيها المساكين المبتلون يا سيِّئي الحظ المغلوبين بمكائد النفس وهواها. أيها المساكين المبتلون بالآمال والأماني وحب النفس، كلكم مساكين، كلكم بعيدون فراسخ عن الإخلاص وعبادة اللّه، لا تحسنوا الظنّ بأنفسكم إلى هذا الحدّ، لا تتغنّجوا ولا تتدلّلوا. اسألوا قلوبكم: هل تبحث عن اللّه؟ أم تريد ذاتها؟ هل هي موحّدة وتطلب الواحد، أم مشركة وتعبد اثنين؟ فماذا يعني إذاً كل هذا العجب؟ ماذا يعني إذاً التعالي بالعمل إلى هذا الحد؟ هل أنتم مسلمون وخالصون من الشرك؟ هل صلاتكم وعبادتكم وحياتكم ومماتكم للّه؟ ألا تخجلون بعد هذا أن تقولوا في الصلاة «الحمد للّه رب العالمين» فهل حقّاً تقرون بأنّ المحامد كلّها للّه

في حين أنكم تقرّون بالحمد لعباده بل ولأعدائه؟ أليس قولكم «رب العالمين» كذباً حين تقرون في الوقت نفسه بالربوبيّة لغيره في هذا العالم؟ أفلا يحتاج ذلك إلى التوبة والخجل؟ وحينما تقول «إياك نعبد وإياك نستعين» فهل تراك تعبد اللّه أم تعبد بطنك وفرجك؟ هل أنت طالب للّه أم للحور العين؟ هل تطلب العون من اللّه فقط؟ أم أنك لا تأخذ للّه بعين الاعتبار في الأعمال؟ فيا أيها الأخ، كن حذراً تجاه مكائد النفس والشيطان، واعلم أنه لن يدعك أيها المسكين تؤدّي عملاً واحداً بإخلاص، وحتى هذه الأعمال غير الخالصة التي تقبّلها اللّه تعالى منك بفضله، لا يدعك الشيطان تصل بها إلى الهدف.

[الأربعون حديثاً]

مكائد الشيطان

يا أخي، لا تؤجّل هذه الأمور لأنها لا تحتمل التأجيل، فكم من إنسان سليم وقوي فاجأه الموت في لحظة وأخرجه من هذه الدنيا إلى العالم الآخر ولا نعلم عن مصيره شيئاً. إذاً لا تضيّع الفرصة، بل اغتنم اللحظة الواحدة، لأنّ القضية عظيمة الأهمية، والرحلة شديدة الخطورة، فإذا قصر الإنسان في هذه الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، يكون السيف قد سبق العذل، ولن تستطيع إصلاح فساد النفس ولا يكون نصيبك سوى الحسرة والندم والذلّ. إنّ أولياء اللّه لم يخلدوا إلى الراحة أبداً، وكانوا دائمي الخوف من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر. إنّ حالات عليّ بن الحسين عليه السلام الإمام المعصوم تثير الحيرة. وأنين أمير المؤمنين

عليّ عليه السلام، الوليّ المطلق، تثير الدهشة. ما الذي جرى لنكون على هذا القدر من الغفلة؟ من الذي جعلنا نطمئن؟ لا أحد يغرينا بتأجيل عمل اليوم إلى الغد إلّا الشيطان، إنه يريد أن يزيد من أعداد أنصاره وأعوانه، ويجعلنا نتخلّق بأخلاقه حتى نحشر مع أتباعه. إنّ ذلك الملعون هو الذي يسعى دائماً إلى تهوين أمور الآخرة في أعيننا، وبتذكيرنا برحمة اللّه وشفاعة الشافعين يريد أن ينسينا ذكر اللّه وطاعته. ولكن يا للأسف! فهذه كلها أمنيات باطلة، وهي من أحابيل مكر ذلك الملعون وحيله. إنّ رحمة اللّه تحيط بك الآن، رحمته في صحتك وسلامتك وحياتك وأمنك وهدايتك وعقلك وفرصتك وإرشادك إلى إصلاح نفسك وإنّ آلاف الرحمة الإلهية المختلفة تحيط بك من جميع الجهات، ولكنّك لا تنتفع بها بل تطيع أوامر الشيطان. فإذا لم تستطع أن تستفيد من رحمات هذه الدنيا فاعلم أنه لن تنالك في العالم الآخر رحمات اللّه اللامتناهية وتحرم من شفاعة الشافعين.

[الأربعون حديثاً]

تنبيه عرفاني

وأنت يا من تدّعي المعرفة والانجذاب والسلوك والمحبة والفناء، إذا كنت حقاً من أهل اللّه ومن أصحاب القلوب ومن ذوي السابقة الحسنة فهنيئاً لك. ولكن كلّ هذه الشطحات، وهذا التلون، وتلك الادعاءات اللامسؤولة التي تكشف عن حبّ الذات ووسوسة الشيطان، تتعارض مع المحبة والانجذاب «إنّ أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري». فأنت إذا كنت من أولياء اللّه والمنجذبين إليه

ومحبيه، فإن اللّه يعلم بذلك، فلا تُظهر للناس مدى مقامك ومنزلتك، ولا تسعَ لتلفت قلوب عباد اللّه الضعيفة عن وجهة خالقها إلى وجهة المخلوق، ولا تغتصب بيت اللّه. اعلم أنّ عباد اللّه أعزّاء وقلوبهم ثمينة ويجب أن تشتغل في محبة اللّه فلا تتلاعب إلى هذا الحدّ ببيت اللّه، ولا تتعرّض لحرماته، «فإنّ للبيت رباً»، وإذا لم تكن صادقاً في دعواك، فأنت في زمرة أهل النفاق ومن ذوي الوجهين.

[الأربعون حديثاً]

الانتباه إلى أمراض النفس

اعلم أيها العزيز، أنه مثلما يكون لهذا الجسد صحّة ومرض وعلاج ومعالج، فإنّ للنفس الإنسانيّة أيضاً صحّة ومرض وسقم وسلامة وعلاج ومعالج، إذ صحة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانية، ومرضها وسقمها هو الاعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانية، وإنّ الأمراض النفسية أشدّ فتكاً بآلاف المرات من الأمراض الجسميّة، وذلك لأنّ هذه الأمراض إنّما تصل إلى نهايتها بحلول الموت. فما إن يحلّ الموت وتفارق الروح البدن حتى تزول جميع الأمراض الجسمية والاختلالات المادية، ولا يبقى أثر للآلام أو الأسقام في الجسد ولكنّه إذا كان الإنسان ذا أمراض روحية وأسقام نفسية، لا سمح اللّه، فإنه ما إن تفارق الروح البدن وتتوجه إلى ملكوتها الخاص حتى تظهر آلامها وأسقامها.

[الأربعون حديثاً]

سير وسلوك

كان شيخنا العارف الجليل يقول: إنّ المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة من الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] إلى آخر السورة المباركة، مع تدبر معانيها، في تعقيبات الصلوات وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثرة جداً في إصلاح النفس، وللوقاية من شرّ النفس والشيطان. وكان يوصي بدوام حال الوضوء قائلاً: إن الوضوء مثل لباس الجندي. وعلى كلّ حال عليك أن تطلب من القادر ذي الجلال، من اللّه المتعال جلّ جلاله، مع التضرع والبكاء والالتماس أن يوفقك في هذه المرحلة ويعينك في تحصيل ملكة التقوى. واعلم أنّ بدايات الأمر صعبة وشاقّة، ولكن بعد فترة من الاستمرار والمثابرة تتحوّل المشقة إلى راحة، والعسر إلى يسر، بل تتبدّل إلى لذّة روحية خالصة، لا يستبدلها أهلها بجميع اللذائذ. ويمكن إن شاء اللّه، وبعد المراقبة الشديدة والتقوى التامّة، أن تنتقل من هذا المقام إلى مقام تقوى الخاصّة، وهي التقوى من اللذات النفسانية فإنّك بعد أن تذوق طعم اللذة الروحانية تنصرف شيئاً فشيئاً عن اللذائذ الجسمانيّة وتتجنّبها.

[الأربعون حديثاً]

أثر تكرار العمل في نفس الإنسان

إنّ تذكير النفس وتكرار قول الحق أمر مطلوب. ولهذا يستحبّ تكرار الأذكار والأوراد والعبادات والمناسك، والنكتة الأصلية

هي في تعويد النفس وترويضها. فلا تضجر يا عزيزي من التكرار. واعلم أنّ الإنسان ما دام يرزح تحت قيود النفس والشهوات، وما دامت سلاسل الشهوة والغضب تحيط برقبته فلا بلوغ للمقامات المعنوية والروحانية ولا ظهور للسلطة الباطنيّة للنفس ولا لإرادتها النافذة، ولا بروز لمقام استقلال النفس وعزّتها الذي هو من أرقى مقامات الكمال الروحاني، بل إن هذا الأسر والرق يقيّد الإنسان ولا يسمح له بالتمرد على النفس في أيّ حال. وإذا ما قويت سلطة النفس الأمّارة والشيطان في الباطن، وانقادت جميع القوى لهما في الطاعة والخضوع والتسليم التامّ، لم يقتصرا على المعاصي بل يجرّان الإنسان من المعاصي الصغيرة إلى المعاصي الكبيرة رويداً رويداً، ومنها إلى الضعف في العقائد، ومنه إلى ظلمة الأفكار، ومنها إلى مضيق الجحود، ومنه إلى بغض الأنبياء والأولياء وعداوتهم.

إنّ الإنسان العاقل الرؤوف بنفسه لا بدّ له وبكلّ وسيلة ممكنة من إخراج نفسه من هذا الأسر، وما دامت الفرصة سانحة وقواه سالمة والصحّة والشباب متوفّرين وقواه لم تتسخّر كلّيّاً بعد، لا بد له من النهوض بوجه النفس الأمّارة والشيطان، وليراقب أوقاته، ويتأمّل في أحوال نفسه وأحوال الماضين، ويتمعّن في سوء عاقبة بعضهم، ويُفهم باطنه أنّ هذه الأيام القليلة تبلى ويوقظ قلبه.

[الأربعون حديثاً]

الإنسان في محضر الربّ المتعال

اعلم أيها العزيز، أنّ تذكّر الحبيب والتفكّر دائماً فيه يثمر نتائج كثيرة لكافّة الطبقات. أمّا الكمّل والأولياء والعرفاء فإنّ نفس تذكّر الحبيب هو غاية آمالهم، وفي ظلّه يبلغون جمال حبيبهم، هنيئاً لهم. وأمّا عموم الناس والمتوسّطون منهم فهو لهم أفضل مصلح للأخلاق والسلوك في الظاهر والباطن.

إذا عاش الإنسان مع الحقّ سبحانه وتعالى في جميع الأحوال وكافّة المستجدّات، وشاهد نفسه أمام اللّه عزّ شأنه، أحجم عن الأمور التي تسخط اللّه وردع نفسه عن الطغيان. إنّ المشاكل والمصائب المنبثقة من النفس الأمّارة والشيطان الرجيم قد نشأت عن الغفلة عن ذكر الحقّ وعذابه وعقابه. فالغفلة عن الحقّ تُضاعف كُدورة القلب، وتُمكّن النفس والشيطان من التحكم في الإنسان وتُسبّب زيادة المفاسد على مرّ الأيام. وإنّ تذكّر الحقّ جلّ شأنه يبعث على صفاء النفس وصقلها، ويجعلها مظهراً للمحبوب، ويصفّي الروح وينقّيها، ويحرّر الإنسان من أغلال الأسر.

[الأربعون حديثاً]

التأكيد على الذكر

يا أيها العزيز، مهما تتحمل من الصعاب في سبيل الذكر وتذكر الحبيب، الحق تعالى، يبقَ ذلك قليلاً. روّض قلبك على تذكّر المحبوب، لعل اللّه يجعلّ صورة القلب صورة لذكر الحقّ، وكلمة

لا إله إلّا اللّه الطيبة الصورة النهائيّة والكمال الأقصى للنفس، فإنه لا زاد أفضل منه للسلوك إلى اللّه، ولا مُصلح أحسن منه لعيوب النفس، ولا رفيق أجدى منه في المعارف الإلهيّة.

فإذا كنت طالباً للكمالات الصورية والمعنوية، وسالكاً لطريق الآخرة ومهاجراً إلى اللّه، اجعل قلبك معتاداً على تذكّر المحبوب، واعجن قلبك بذكر الحقّ تبارك وتعالى.

[الأربعون حديثاً]

محبّة عباد الله

عزيزي، تصادق مع عباد اللّه الذين تشملهم رحمة اللّه ونعمه ويتزينون بالإسلام والإيمان وأحببهم في قلبك. وإياك أن تعادي محبوب الحقّ، لأنه سبحانه وتعالى يعادي أعداء أحبّائه ويبعدهم عن ساحة رحمته. إنّ عباد اللّه المخلصين مجهولون بين سائر عباده، ومن الممكن أن يعود عداؤك لمؤمن وهتكك حرمته وكشفك عورته إلى هتك حرمة اللّه تعالى ومعاداته! إنّ المؤمنين أولياء الحقّ والتحابّ معهم تحابّ مع الحقّ، والتخاصم معهم تخاصم مع الحقّ. إياك وإثارة غضب الحقّ سبحانه ومعاداة شفعاء يوم القيامة. افهم أي جبار قادر تحارب. وكن على حيطة وحذر من معاداته.

[الأربعون حديثاً]

شوق الوصال

مع الأسف، نحن المساكين المحجوبون عن المعرفة، المحرومون من التوجّه إلى الحقّ تعالى، لا نعرف شيئاً عن محبّة اللّه لنا وإقباله علينا. ونقيس العلاقة مع الحقّ على العلاقة مع العباد. أهل المعرفة يقولون بأنّ الحقّ المتعالي يرفع الحجب لمحبوبه، ويعلم اللّه ما في هذا الرفع للحجب من الكرامات! إنّ غاية آمال الأولياء وأقصى أمنياتهم هي رفع هذه الحجب.

[الأربعون حديثاً]

كيفيّة محاسبة النفس

أيها العزيز، أفق قليلاً من الغفلة، وتأمّل في أمرك، وانظر في صحيفة أعمالك، واخش من أعمال تظنّ أنها صالحة مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها، في حين أنها تكون سبب عنائك وذلّك في ذلك العالم. فحاسب نفسك ما دامت الفرصة مؤاتية، وزن عملك بيدك، وضعه في ميزان شريعة أهل البيت وولايتهم وتبين من صحته وفساده وكماله ونقصه، واجبره ما دامت الفرصة سانحة والمهلة باقية. وإن لم تحاسب نفسك هنا ولم تصحّح أعمالك فستحاسب هناك ويوضع ميزان الأعمال أمامك فتواجه مصائب عظمى. إتق اللّه في ميزان عدله، ولا تغترّ بشيء، ولا تترك الجد والاجتهاد.

[الأربعون حديثاً]

مقام العارفين

من المؤسف أننا نحن المساكين، المسجونين في الحجب المظلمة والمصفّدين بسلاسل الآمال والأمنيات، لا نفهم إلاّ المطعومات والمشروبات والمنكوحات وأمثالها، وإذا أراد فيلسوف أو عارف أن يرفع هذه الحجب، اعتبرنا سعيه هذا غلطاً وخطأً، ما دمنا مسجونين في البئر المظلمة لعالم الملك لم نستوعب شيئاً من أصحاب المعارف والمشاهدات.

ولكن عزيزي، لا تقارن نفسك بالأولياء، ولا تظنّ بأن قلبك يضاهي قلوب الأنبياء وأهل المعارف. إنّ قلوبنا غطّاها غبار التعلّق بالدنيا وملذاتها، وإن انغماسنا في الشهوات يمنع قلوبنا من أن تكون مرآة لتجلّي الحقّ سبحانه ومحلاً لظهور المحبوب. ومن المعلوم أننا لا نعي شيئاً من تجلّيات الحقّ وجماله وجلاله عندما نشعر بالأنانية والمحورية لذواتنا، بل نكذِّب في هذه الحال أحاديث الأولياء وأهل المعرفة، فإن لم نكذّبها بألسنتنا في الظاهر كذّبناها في قلوبنا.

[الأربعون حديثاً]

القراءة القلبية للقرآن

الإنسان الذي يريد أن يتلو كلام اللّه ويداوي بآياته الربانية قلبه القاسي، ويشفي بكلامه الإلهي الجامع أمراضه القلبية، ويطوي بنور هداية هذا المصباح الغيبي المنير وهذا النور على النور السماوي

طريق الوصول إلى المقامات الأخروية والمدارج الكمالية، لا بد له من توفير الأسباب الظاهرية والباطنية ورعاية الآداب الصورية والمعنوية، فلا يكون مثلنا نحن بحيث لو قرأنا القرآن ذات مرة، فعلاوة على أننا نغفل كلياً عن معاني الآيات الكريمة ومقاصدها وأوامرها ونواهيها ووعظها وزجره، وكأنّ آيات الجنّة ونعيمها وآيات جهنّم وعذابها لا تعنينا، بل نعوذ باللّه يكون انتباهنا وتوجه قلوبنا عند قراءة الكتب القصصيّة أكثر من توجُّهنا حين تلاوتنا للآيات المجيدة. مضافاً إلى ذلك فإنّنا نغفل حتى عن الآداب الظاهرية لقراءة القرآن الكريم. نحن عندما نريد أن نظهر للناس صوتنا الحسن وأنغامه الجميلة نلجأ إلى قراءة القرآن أو الأذان دون قصد التلاوة أو العمل بالاستحباب. وعلى كلّ حال إنّ مكائد الشيطان وأضاليل النفس الأمّارة كثيرة، وغالباً ما يلتبس الحقّ بالباطل، والحسن بالقبيح، فيجب أن نلوذ إلى اللّه سبحانه ونعوذ به من هذه الأشراك والأفخاخ.

[الأربعون حديثاً]

أقوى أسلحة الشيطان

يجب أن ننتبه إلى أنّ أسوأ الأشواك في طريق الكمال والوصول إلى المقامات الروحانية، والذي يعد من المكائد الكبرى للشيطان القاطع للطريق، هو إنكار المقامات والمدارج الغيبية الروحية. فهذا الإنكار والجحود هو رأسمال كلّ الضلالات والجهالات، وسبب الوقوف والخمود، وإماتة لروح الشوق التي هي بُراق

الوصول إلى الكمالات، وإطفاء للهب العشق الذي هو وساطة المعراج الروحاني، فيمنى الإنسان بالتقاعس والإحجام عن الطلب.

وعلى العكس، إذا آمن الإنسان بالمقامات الروحانية والمعارج العرفانية فمن الممكن أن يلهب هذا الإيمان جذوة العشق الفطري الخامد تحت رماد الرغبات النفسية، ويشعل نار الشوق في القلب، فيندفع الإنسان شيئاً فشيئاً نحو الطلب وينهض بالمجاهدة حتى يصبح مشمولاً بهداية الحقّ وعنايته تعالى.

[الأربعون حديثاً]

معرفة الله

إذا أيقن الإنسان وصدّق أنّ المحامد للّه لأعرض عن نفسه. إنّ ما ترونه ونراه من كثرة ضجيج الإنسان بمقولة «لمن الملك» وما ترونه من كثرة غرور الإنسان يرجع إلى كونه لم يعرف نفسه، فإن «من عرف نفسه فقد عرف ربّه». ولو عرف الإنسان أنه لا شيء وصدق بذلك، وصدق أنّ كل ما هو موجود منه تعالى لعرف ربّه. المشكلة الأساسية هي أننا لا نعرف أنفسنا ولا نعرف ربنا، لم نصدق أننا لا شيء ولم نصدق أنه هو كلّ شيء، وما لم يحصل هذا التصديق فلا فائدة من إقامة البراهين مهما زادت واتسعت، ما دامت تلك «الأنانية النفسية» فاعلة.

إنّ أقوال «أنا كذا وأنت كذا» هي كلها ادعاءات فارغة من أجل

الرئاسة وأمثالها، وأصلها بقاء الأنانية التي طالما بقيت فإنّ الإنسان لا يرى إلّا نفسه.

[تفسير سورة الحمد]

الهجرة إلى الله

هناك أشخاص تحرّكوا وخرجوا من هذه البئر وهاجروا «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى اللّه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على اللّه». أحد الاحتمالات هو أنّ هذه الهجرة هي من النفس إلى اللّه، و«البيت» هنا هو نفس الإنسان، فهناك طائفة خرجوا وهاجروا من هذا البيت الظلماني «إلى اللّه ورسوله» إلى أن وصلوا إلى منزل «أدركه الموت». وصلوا إلى مرتبة لم يعد لهم فيها شيء من أنفسهم، موت مطلق، وعندها «وقع أجرهم على اللّه» فهنا أجر آخر لا هو الجنّة ولا أشكال النعيم الأخرى، هنا «اللّه» فقط... وهناك طائفة مثلنا، لا هجرة لنا أصلاً، فنحن في هذه الظلمات أسرى هذه الدنيا والطبيعة، وأشدّ منها أسرى «أنانية» أنفسنا سجناء هذه البئر العميقة، سجناء بيت النفسانية. إننا لا نرى إلاّ أنفسنا وكلّ ما نريده هو لها، ليس لدينا غير النفس ولم نفكر أصلاً ولم نسع للهجرة؛ فكلّ ما نفكّر به هو في بيت النفسانية. جميع القوى الإلهية التي أودعها اللّه فينا أمانة لدينا، ولا نردها إلى صاحبها!

[تفسير سورة الحمد]

الأنانية أُمّ المصائب

كلّ ما يجري علينا وكلّ ما نبتلى به هو من حبّ النفس، من هذه الأنانية «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»، هكذا ورد التعبير عن النفس، فهي أسوأ من كل الأعداء، وأكبر من كلّ الأوثان. إنها أمّ الأوثان، إذ إنّ الإنسان يعبدها أكثر من سائر الأوثان، ويتوجّه إليها أكثر من سائر الأوثان، وما لم يحطم هذا الوثن فلا يستطيع أن يصبح إلهياً. لا يمكن الجمع بين اللّه وبين الوثن، ولا يمكن الجمع بين الإلهية والأنانية. إننا ما لم نخرج من هذا البيت، من معبد الأصنام هذا، وما لم نتحرّر من هذا الوثن ونعرض عنه ونتوجه إلى اللّه تبارك وتعالى، فنحن من عبدة الأصنام حتى لو كنا موحّدين ظاهرياً.

نقول «اللّه» بألسنتنا ولكن الذي في قلوبنا هو أنفسنا، نريد «اللّه» لأنفسنا، وإذا كنا نريد «اللّه» لأنفسنا فإننا نقف ونصلّي ونردد ألفاظ «إياك نعبد وإياك نستعين» ولكن العبادة هي في الواقع عبادة النفس. وعندما يكون الالتفات والتوجه للنفس عندها أرى جميع الأبعاد بالنفس، وأريد جميع الأشياء للنفس. جميع هذه المصائب التي تحلّ بالإنسانية إنما هي ناشئة من «أنانية الإنسان»، جميع الحروب في هذا العالم هي من هذه الأنانية.

[تفسير سورة الحمد]

جبهة اللّه وجبهة الطاغوت

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. هذان الاثنان، هما جنبتان، معسكران: معسكر الطاغوت ومعسكر اللّه. معسكر اللّه، الذي يتوجّه إلى اللّه والإيمان به، يخرجه اللّه من جميع الظلمات ويوصله إلى النور. ذلك النور هو نور الحقّ نفسه، إنه نور«اللّه نور السموات والأرض» الذي يخرجه من جميع الظلمات، والتي هي ما سوى اللّه - ويوصله إلى النور؛ يوصله إلى اللّه.

الطاغوت يخرج الناس من النور ويوصلهم إلى الظلمات «ظلمات بعضها فوق بعض».

إنهما طريقان: طريق الأنبياء وطريق الطاغوت. طريق الأنبياء هو صراط اللّه. واللّه هو يكون الوليّ وهو الفاعل وبيده يتربَّى الإنسان. وطريق الطاغوت هو صراط الشيطان حيث يربّي الشيطان الإنسان.

أعزائي، تيقَّظوا وكونوا جنوداً للّه. إنّ الدرس وحده لا يدخل الإنسان في جنود اللّه. العلم وحده، خاصّة العلوم القانونية والمتعارفة لا توصل الإنسان إلى مراتب الإنسانية. بالطبع، هذه العلوم هي لازمة ولكن إلى جانبها ينبغي أن تتوجهوا إلى الغيب. ادرسوا لأجل اللّه؛ ابدأوا من الصفر ونحن نأمل أن تذهبوا إلى المطلق اللامتناهي.

اسلكوا حتى تصلوا إلى هناك حيث لا تشاهدون أحداً غير اللّه، ترون كل شيء منه، تعتبرون كلّ شخص مظهره. أخرجكم اللّه من الظلمات وأوصلكم إلى النور.

[صحيفة نور]

ترك التعلّقات

يا حبيبي!

إسع واجهد أن تصل إلى مقام الشهود، حيث الشهيد هو السعيد، والسعادة والشهادة توأمان. واجهد أن تصير عاشقاً للمحبوب (لصاحب القلب) إنّ كلّ من يصير قتيل العشق فهو شهيد. أفهل يمكن أن يصل المرء إلى مقام القرب بدون خلع نعلي الشهوة والغضب من قدم النفس وبدون ترك الهوى وتفريغ القلب من غير المولى؟

استيقظ أيها الصديق من النوم وانظر إلى ربّك بعين الحقيقة والبصيرة ولا قدَّر أن تكون في زمرة الجاهلين. قم من سبات الغفلة وادخل في زمرة المؤمنين والموحّدين.

[صحيفة نور]

العرفان الأصيل

هناك فئة من الناس ظنوا أن معنى العرفان هو أن يجد الإنسان محلّاً ويتلو ذكراً ويحرك رأساً ويتمايل وغير ذلك.. هذا هو معنى

العرفان.. إنّ أعلى مراتب العرفان كان يحوزها الإمام علي عليه السلام ولم يكن لمثل هذه الأشياء من وجود في سلوكه. لقد تخيلوا أنّ الشخص العارف يجب أن يعتزل كلّ شيء ويتنحى جانباً ويتلو ذكراً ويتغنى حيناً ثم يفتح دكاناً!! إن أمير المؤمنين عليه السلام في نفس الوقت الذي كان فيه أعرف الخلق بعد رسول اللّه في هذه الأمة وأعرف خلق اللّه بالحق تعالى، مع ذلك فإنه لم يتنحَّ جانباً ولم يفعل شيئاً عبثاً. لم يكن له في أي وقت حلقة ذكر.. كان مشغولاً بأعماله.

ولكن يُتَخيل أنّ أهل السلوك لا شأن لهم بالناس الآخرين، كلّ ما يجري في المدينة فليجر فأنا من أهل السلوك.. لأذهب وأجلس في زاوية وأتلو ورداً..! وهذا هو السلوك بحسب قولهم. إنّ السير والسلوك كان في الأنبياء أكثر من غيرهم وفي الأولياء أكثر من غيرهم، لكنّهم (الأنبياء والأولياء) لم يذهبوا إلى بيوتهم ليجلسوا ويقولوا نحن أهل السلوك.

[صحيفة نور]

ضيافة اللّه

أنا كنت أفكر في حقيقة هذه الضيافة التي دعيتم إليها أنتم المؤمنين والتي هي ضيافة اللّه.. إنّ ضيافة اللّه في عالم المادّة هي عبارة عن اجتناب كافّة الشهوات الدنيوية. هذه المرتبة المادية من الضيافة الإلهية هي في هذه النشأة غضُّ النظر عن الشهوات وترك ذلك الشيء الذي يميل إليه القلب - يعني نفس الإنسان الطبيعية. يجب ترك هذه الأمور. هذه هي ضيافة اللّه، وهذه الضيافة هي ظلّ

الضيافات المتحقّقة في طول عالم الوجود. غاية الأمر أنّ في العالم المادي تكون ضيافة اللّه هي ترك الشهوات المادية، الشهوات الجسمانية، وفي عالم المثال ترك الشهوات الخيالية، وفي عالم ما بعد المثال ترك الشهوات العقلانية، الروحانية. في كلّ مكان تتحقّق الشهوة بصورة معينة. ففي هذا العالم تتحقّق بالنحو الذي تعرفون، وفيما بعد هذا العالم فإن شهوات الإنسان في عالم المثال هي أعلى من شهوات عالم الطبيعة، والحدّ منها أصعب. وضيافة اللّه هناك هي انصراف الإنسان عن تلك الشهوات النفسانية التي هي بلاء الدنيا. الشهوات العقلانية أيضاً هي شهوات أعلى، وضيافة اللّه في ذلك العالم هي رفع اليد عن شهواته. وفي جميع تلك المراتب فإنّ الشيطان حاضر ليمنعك من الاستفادة من هذه الضيافة، في عالم الطبيعة والخيال والعقل أيضاً. إنّ رفع اليد عن الآمال العقلانية أصعب من رفع اليد عن تلك الآمال الأخرى. والآمال النفسانية، والتي هي أقل من الآمال العقلانية، قد أحرقت الدنيا، وكلّ ذلك هو من تمرد النفس.

إنّ ضيافة اللّه التي دعينا إليها في ذلك العالم هي ورود ذلك العالم، وترك تلك الشهوات النفسانية، وهو أمر صعب جدّاً. إنّ ترك الشهوات الجسمانية أسهل وحتى الشهوات الأعلى إلى أن تظهر الشهوات النفسانية في آخر المطاف، والضيافة الإلهية هي ترك الشهوات هذه كلّها. هنا (هذا العالم) هو ظل هناك (ذلك العالم) وذاك هو روح هذا. فهل أنّا ذهبنا إلى محضر الحقّ تعالى الذي دعينا إليه؟ هل وردنا ذلك المحضر لنستفيد أم أننا لم نرده؟ وهكذا

هو الأمر في المراتب الأعلى من هذا العالم فهذه مراتب من تلك الضيافة الأعلى التي هي ضيافة أهل المعرفة، واللّه تبارك وتعالى دعانا جميعاً إلى هذه الضيافة، وقد وردها فعلاً أهل المعرفة والكمّل من الأولياء. بالطبع يندر من يقدر على أداء حقّها والخروج من عهدتها. وفوق كلّ هذه المقامات تلك المرتبة حيث لا ضيافة ولا استضافة ولا ضيف ولا مضيف. فهناك مسألة أخرى تنتفي عندها الضيافة ووهمك غير قادر على تصوّرها.

[صحيفة نور]

الحجاب الأكبر

نحن نشكر اللّه تبارك وتعالى أننا في جميع المشكلات التي حلّت - وستحلّ - بالجمهورية الإسلامية لم يكن لنا ملجأ سوى الذات الإلهية المقدّسة. إنّ كلّ ما هو موجود فهو منه تعالى، وكلّ ما سيأتي أيضاً هو منه. ونحن لسنا سوى خدم وهذا لا يكون إلّا بتوفيقه أيضاً. لسنا شيئاً، ينبغي علينا جميعاً أن نتوجّه إلى هذه الحقيقة. فكلّ ما هو موجود هو اللّه، ولولا عناياته لكنّا عدماً. ومثلما أننا لم نكن شيئاً منذ الأزل، كذلك فإننا من كلّ حيثية لا شيء. غاية الأمر نحن اللاشيء نتخيل أننا شيء، وهذا حجاب نسأل اللّه تبارك وتعالى أن يرفعه، وأن نفهم من نكون «اللهمَّ أرني الأشياء كما هو» أرى الأشياء كما هو. فهذا النص بحسب الاحتمال القويّ يعني أن الموجودات ليست إلّا صرف التعلق به تعالى، وهي تدل عليه. فإن دلّتنا عليه فقد حصلت معرفة اللّه ورفع ذلك الحجاب الذي هو احتجابنا

نحن، فيصير معلوماً أنه ما من أحد أو شيء غيره تعالى، وجميع الإشكالات هي من حجاب أنفسنا حيث تخيلنا أننا شيء. أسأل اللّه تبارك وتعالى أن يرزقنا جميعاً توفيق المعرفة.

[صحيفة نور]

عشق الربّ

بعض كمالات الإمام عليّ عليه السلام والتي لعلّها اختفت إلى حدّ ما، تعلم من الأدعية المروية عنه. من تلك الأدعية دعاء كميل، هذا الدعاء العجيب والعجيب جداً. بعض فقرات هذا الدعاء لا يمكن أن تصدر عن بشر «إلهي وسيدي ومولاي وربي هبني صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك؟» من يستطيع أن يقول مثل هذا القول؟ من لديه هذا العشق لجمال اللّه حتى إنه لا يخاف جهنّم، ولكنه يخاف إن هو ورد جهنم ونزل من مقامه أنه يصل إلى مرتبة يحرم فيها من حبّه تعالى؟ هو يئن من فراق حضرة الحقّ تعالى. هذا عشق قد صهر في باطن قلبه حتى صارت جميع أعماله وبشكل دائم صادرة عن هذا العشق الإلهيّ. إنّ قيمة الأعمال توزن بميزان العشق للحقّ تعالى. أساسها هذا الفناء والتوحيد المتحقّق في الإنسان، ولهذا السبب صارت «ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين». لو فرضنا أنّ شخصاً آخر قد ضرب هذه الضربة دفاعاً عن الإسلام ولكنّها لم تكن انطلاقاً من العشق، وأنّ عمله أيضاً كان قد صار سبباً لانتشار الإسلام، لكن بما أن المنطلق لم يكن منطلق العشق فإنّ ضربته تلك لن تصير

أفضل من عبادة الثقلين. إنّ دافع الأعمال هو دافعها الباطني لا صورتها. إنّ ضرب السيف، إهواء يد وقتل كافر، هذا الفعل يمكن أن يصدر عن أشخاص كثيرين، لكنه أحياناً لا يكون فيه أجر ولا فضيلة من الأساس.

[صحيفة نور]

العُجْب

قبل خلق آدم قال اللّه للملائكة إني خالق خليفة. الملائكة نظروا إلى جهة فساد آدم وإلى جهة تقدُّسهم، ومن هذه الجهة قالوا لِمَ تخلق أناساً يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ونحن نقدس لك؟ كانوا يرون أنفسهم بصورة التقديس ويرون آدم بصورة الفساد. لقد لاحظوا جنبتهم الصالحة وجنبة آدم السيئة. اللّه تبارك وتعالى قال لهم مجدّداً: أنتم لا تعلمون. أنتم ناظرون إلى أنفسكم. ولا تعلمون كمالات آدم.. وبعدها ينهي الأمر بتعلّم آدم الأسماء التي هي في الواقع أسماء اللّه، وأسماء اللّه هي كلّ شيء، بعد ذلك قال: أعرضوا! الملائكة كانوا يرون أنهم عاجزون وتراجعوا. وبعد أن خلق آدم أمر اللّه الملائكة أن يسجدوا له، فسجدوا جميعاً إلّا إبليس. إنّ النكتة في عدم سجود إبليس هي التكبر. لقد قال: خلقتني من نار وخلقته من طين؛ هو أقل مني وأنا أفضل منه. وهذه هي جنبة العُجْب التي منعته أن يسجد.. نحن من هنا نفهم أنّ قضية التكبر والغرور هي إرث الشيطان. منذ بدء العالم كانت هذه القضية.. لنعلم أنّ إرث الشيطان هو التكبر. كلّ الفساد الحاصل في العالم،

كلّ فساد الأفراد والحكومات وكلّ الفساد في المجتمعات... كلّ الفساد هو من إرث الشيطان هذا، وكل المفاسد التي ظهرت في العالم هي من مرض التكبّر، سواء جلس المرء في زاوية بيته وانشغل بالعبادة أو كان في متن المجتمع، فإن كان متكبراً فقد ورث الشيطان، ولا دواء لأوجاعه إلاّ بإخراج هذه الخاصيّة الشيطانية منه. من أراد أن يداوي آلامه بنفسه عليه أن يزيل هذه الرذيلة. عليه أن يرتاض ولا يعظّم قدره. فلا يقولنّ مثلاً إنني عالم أو إنني مقدس مثلما كان قول الملائكة، ولا يقولنّ إنني غنيّ، إنني زاهد، إنني عارف، إنني موحّد. ففي كلّ واحدة من هذه، حتى لو كانت هذا العلم الأعلى كعلم الفلسفة أو العرفان، لو وُجدت هذه الخاصيّة الشيطانية فإن هذا العلم يصير حجاباً. العلم هو الحجاب الأكبر. من أراد إصلاح نفسه عليه أن يتوجّه إلى هذه الخاصيّة وأنه لمن الصعب جداً مواجهتها.

[صحيفة نور]

رضى الحقّ تعالى

إنّ جميع تلك المشقات التي عانى منها نبيّ الإسلام ﷺ من القريب والبعيد، ومن بعده لاقاها المسلمون وأئمتنا وأمير المؤمنين، لأنها كانت لأجل الإسلام كان طعمها حلواً لديهم. نحن علينا أن نسعى لنجعل ذائقتنا مثل ذائقتهم فيصبح كلّ شيء حلواً لدينا. الرضا بقضاء اللّه معناه هو التسليم في كل وقت، أن يسلّم الإنسان، أن نكون مسلّمين. ومع الرضا ليس هناك من فرق بين أن يكون المرء

في بلاء أو أن يكون في نعمة، فهو يعتبر كل الحالات نعمة، ويقول إنه منه، إنه من محبوبي.

[صحيفة نور]

الفقر والاحتياج

نحن نقاتل طاعة للّه. في السرّ والعلن ينبغي أن نكون طوع إرادته واختياره. علينا الطاعة في كلّ ما نسعى نحوه. إن وعظنا فطاعة للّه وإن استمعنا إلى موعظة فطاعة للّه أيضاً. حيثما قال تعالى قوموا بهذا العمل نقُم به... وإذا صرنا كذلك بحيث لا نؤدي أي شيء من أنفسنا، بل يكون كل شيء منه تعالى.. نحن لا نملك شيئاً لنقدّمه. نتخيل أننا نملك شيئاً ولكن كل ما هو كائن فهو منه. كل ما نظن أنه ملكنا هو أمانة عندنا من اللّه وسَتُرد هذه الأمانة إليه في وقتٍ ما. إن كنا نظنّ أننا نملك شيئاً من أنفسنا فالأمر ليس كذلك، نحن مشتبهون. جميع العذابات في ذلك العالم هي بسبب جهل البشر. يتخيّل الإنسان أنه شيء، ولأنه يتخيّل أنه كذلك فهو يريد أن يتفوّق على الجميع، ولأن نفسه موجودة يريد أن يحصّل كل شيء لأجل نفسه، وهذا ما يوصل الإنسان إلى الشقاوة. والسعيد هو من أراد ويريد كل شيء له تعالى أي لأجل عباد اللّه، لأجل أحكام اللّه.. تلك القدرة التي كانت للأنبياء لم تكن من الأنبياء أيضاً. البشر من أولهم إلى آخرهم هم لا شيء. ما هو موجود هو قدرة اللّه تعالى. كلّ حركة تقومون بها إنما تقومون بها بقدرة اللّه.. كلّ رصاصة تطلقونها فبقدرة اللّه. يدكم بقدرة اللّه تضغط على الزناد، أنتم تخطّطون بقدرة

اللّه وتنجزون الأعمال العسكرية وغير العسكرية بقدرته تعالى، «إنّا للّه» كلّ شيء منه «الحمد للّه» كلّ حمد له.

[صحيفة نور]

الحفاظ على أوقات الصلاة

أيها العزيز، اغتنم وقت المناجاة هذا بالقدر الميسور والمقدار المقدور، وقم بآدابه القلبية، وفهّم قلبك أنّ وسيلة الحياة الأبدية الأخروية ومنبع الفضائل النفسانية ورأس مال الكرامات غير المتناهية هي المراودة والمؤانسة مع الحقّ ومناجاته وخصوصاً الصلاة، فإنها معجون روحاني قد هيئ بيدي الجمال والجلال الإلهي وهي أجمع وأكمل من جميع العبادات. فبقدر ما يمكنك حافظ على أوقاتها وانتخب أوقات فضيلتها فإن فيها نوراً ليس في غيرها من الأوقات، وأقلل فيها من الاشتغالات القلبية بل اقطعها، وهذا يحصل بأن تقسّم وتعيّن أوقاتك، وتعيّن للصلاة المتكفلة لحياتك الأبدية وقتاً خاصاً لا يكون لك فيه أشغال أخرى ولا تكون للقلب فيه تعلّقات، ولا تجعل الصلاة تزاحم أموراً أخرى كي تستطيع أن تريح القلب وتحضّره.

[آداب الصلاة]

في التوحيد الأفعاليّ

أيها العزيز، إنّ جميع العلوم عملية حتى علم التوحيد فله أيضاً أعمال قلبية وقالبية. إنّ التوحيد هو من باب التفعيل وهو عبارة

عن إعادة الكثرة إلى الوحدة وهذا من الأعمال الروحية والقلبية، فما دمت واقعاً في الكثرات الأفعالية ولم تعرف السبب الحقيقي، ولم تجد عين البصيرة، ولم تشهد الحقّ في الطبيعة، وترى فناء الجهات والكثرات الطبيعية في الحقّ ولم ترفرف على قلبك راية سلطان وحدة فاعلية الحقّ فأنت بعيد بالكلية عن الخلوص والإخلاص والصفاء والتصفية، ومهجور عن التوحيد، فكلّ الرياءات الأفعالية وأكثر الرياءات القلبية هي من نقصان التوحيد الأفعاليّ.

[آداب الصلاة]

عرض النفس على القرآن

وظيفة السالك إلى اللّه هي أن يعرض نفسه على القرآن الشريف. فكما أنّ الميزان في صحّة الحديث وعدم صحته واعتباره وعدم اعتباره أن يعرض على كتاب اللّه فما خالف كتاب اللّه فهو باطل وزخرف، كذلك الميزان في الاستقامة والاعوجاج والسعادة والشقاوة هو أن يكون الإنسان مستقيماً وصحيحاً في ميزان كتاب اللّه. وكما أنّ خلق رسول اللّه هو القرآن، فاللازم له أن يجعل خلقه موافقاً للقرآن حتى يكون مطابقاً لخلق الولي الكامل أيضاً، والخلق الذي يكون مخالفاً لكتاب اللّه فهو زخرف وباطل.

وكذلك جميع معارفه وأحوال قلبه وأعماله الباطنية والظاهرية

لا بدّ أن يطبّقها على كتاب اللّه ويعرضها عليه حتى يتحقّق بحقيقة القرآن ويكون القرآن صورة باطنية له.

[آداب الصلاة]

اللجوء إلى الحقّ تعالى

أيها العزيز.. إنّ القنوت هو قطع اليد عن غير الحقّ، والإقبال التامّ على عزّ الربوبية، ومدّ يد السؤال خالية الكفّ إلى الغنيّ المطلق، وفي حال الانقطاع هذه يكون الكلام عن البطن والفرج وذكر الدنيا هو كمال النقصان وتمام الخسران.

أيا روحي.. حيث إنّك الآن بعدت عن وطنك وبتّ محجوراً عن مجاورة الأحرار وابتليت بهذه الدار المظلمة الشاقّة فقد نسجت كدود القزّ على نفسك.

أيها العزيز.. إنّ اللّه الرحمن قد خمَّر فطرتك بنور المعرفة ونار العشق، وأيّدها بأنوار كالأنبياء وعشّاق كالأولياء، فلا تطفئ هذه النار بتراب الدنيا الدنية ورمادها، ولا تكدّر ذاك النور بكدورة التوجُّه إلى الدنيا وظلمتها وهي دار الغربة، فإنك إذا توجّهت إلى الوطن الأصليّ وطلبت الانقطاع إلى الحقّ من الحقّ، وعرضت عليه حالة هجرانك وحرمانك بقلب موجع، وأظهرت حال مسكنتك واضطرارك ووجعك يدركك مدد غيبيّ وتنال معونة باطنية وتجبر النقائص، «إذ من عادته الإحسان ومن شيمته التفضّل».

[مصباح الهداية]

خدمة الدين

وبالمجاهدة وتحكيم مباني التقوى، يخرج حبّ الدنيا والنفس اللذين هما رأس جميع الخطايا، من القلب، حتى تصير مصاعب الحياة سهلة يسيرة، والشدائد في طريق خدمة الحقّ تعالى وأحكام الإسلام المقدّسة حلوة المذاق.

... هذه الدنيا ستمضي بحلوها ومرها، والكلّ إلى دار الجزاء راحلون. فما أحلى أن نصرف هذا العمر القصير في طريق خدمة الإسلام والمسلمين حتى نفتخر في المحضر المقدّس للحقّ تبارك وتعالى، وندخل في سلك العاملين في الخدمة.

... هذه الدنيا ستمضي بكلّ مكرها وغدرها، فما أحلى أن نبذل هذه الأعمار القصيرة والأوقات القليلة في خدمة الإسلام والمسلمين وتخليص البلدان الإسلامية من نير الظلم والاستعمار والاستبداد... إذا وفّق الإنسان لأداء تكليفه الإلهيّ تحصل النتيجة أكان هو ناظراً إلى النتيجة أم لا.. فما أكثر ما يبتلى الإنسان، بوساطة العنايات الإلهية الخاصّة، بأمور توجهه بالقهر ورغماً عنه وتجلبه إلى الذات الأقدس، وما أكثر ما تجري علينا الرحمة بصورة القهر والغضب.

[صحيفة نور]

فطرة الله

إنّ فطرة جميع الناس مبنية على النورانية. إنّ فطرتكم فطرة نورانية. هي فطرة التوحيد، ونحن بيدنا قد حرفناها نحو الجهالات والظلمات. علينا أن نراقب أنفسنا ونجاهدها ونجبرها على المحاسبة قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي سنحاسب فيه. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. كلّ لحظات عيونكم وخطرات أذهانكم وتفكرات باطنكم هي في محضر اللّه ومدوّنة في كتاب أعمالكم. كلّ ما يصدر عنا خلاف الشرع يكون في حضور اللّه ومدوّن أيضاً. ورد في الروايات أن الأعمال تعرض في كل أسبوع مرتين على إمام الزمان، فلا يكوننّ عملكم سبباً لأذية إمام الزمان إذا عُرض عليه فيجعله لا سمح اللّه يطأطئ رأسه أمام ملائكة اللّه، لأنّ شيعته على هذا الحال: هؤلاء أحبائي وهم قد خالفوا أوامر اللّه. إن رئيس القوم يتأثر بمعاصي قومه.

[صحيفة نور]

الوصول إلى الكمال المطلق

لقد جاء الإسلام لهداية قلوب البشر الحائرة التي تطلب الكمال المطلق ولا تعرف أين هو. جاء الإسلام ليقودها للوصول إليه. أنتم تقرأون في القرآن وفي الصلاة «إهدنا الصراط المستقيم». هناك طريق مستقيم واحد يوصل الإنسان إلى الكمال المطلق ويزيل عنه تلك الحيرة، وإذا أراد البشر أن يطووا هذا الطريق بأنفسهم فإنهم لن

يتمكنوا لأنه لا معرفة لهم به. إنّ اللّه هو الذي يعرف هذا الطريق الذي يخرج الإنسان من ضلالاته، ويرسله إلى نهاية الطريق حيث اللّه تعالى. نحن نسأل اللّه في صلواتنا أن يهدينا الصراط المستقيم، لا الطريق المنحرف يميناً ويساراً «غير المغضوب عليهم ولا الضالّين» فهذان الطريقان منحرفان، وكلّما ازداد السير فيهما ازداد البعد عن المقصد.

[صحيفة نور]

دين الهداية

لقد كان بعث الأنبياء لأجل هداية الناس إلى الطريق الموصل إلى الكمال المطلق وإنقاذهم من الحيرة والضياع.. إنقاذهم من ظلمات الطبيعة إلى النور، بل من حجب النور والظلمة وإيصالهم إلى ما وراءها. أنتم تقرأون في المناجاة الشعبانية «إلهي هَبْ لي كمال الانقطاع إليك وأَنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور». لقد جاء الإسلام لأجل إخراج الإنسان من تلك الضلالات والحجب الموجودة فيه، والتي أكبرها حجاب رؤية النفس وتعظيمها. وما دام الإنسان يرى نفسه فهو لن يستطيع أنّ يطأ طريق الهداية. إن بداية الأمر هي أن يدوس الإنسان على شهواته وأهوائه النفسانية.

[صحيفة نور]

المراحل والمنازل الأولية للسير والسلوك

الإنسان السالك بعد أن يستنّ بالسنن الإلهية، ويتلبّس بلباس الشريعة، ويشتغل بتهذيب باطنه وصقل سرّه وتطهير روحه وتنزيه قلبه، تتجلّى شيئاً فشيئاً في مرآة قلبه أنوار غيبية إلهية، وتحصل له جذبات باطنية وعشق فطري جِبِلّيّ، فينجذب إلى عالم الغيب. وبعد طيّ هذه المراحل يشرع في السلوك إلى اللّه بالمدد الباطني الغيبي، ويكون القلب طالباً للحقّ وفاحصاً عنه ويكون توجهه منسلخاً عن الطبيعة، ويسلك طريق الحقيقة مهتدياً بجذوة نار المحبة ونور الهداية اللذين يمثل أحدهما رفرف العشق والآخر بُراق السير إلى جناب المحبوب وجمال الجميل الأزليّ. ويغسل اليد والوجه من قذارات الالتفات إلى الغير، ويتوجه إلى المقصد والمقصود بقلب مطهّر من الدنس ومن رجس الشيطان الذي هو حقيقة السوائية، وأصل أصول الشجرة المنحوسة الخبيثة، شجرة الغيرية والكثرة، ويترنّم بـ«وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض»، ويكون كالخليل إذ تنفَّر من الآفلين الذين هم مواضع النقص والرجز، وتكون وجهة قلبه الكمال المطلق.

[شرح جنود العقل والجهل]

الرجوع إلى الحق تعالى

يجب أن يُعلم أنّ النفس الإنسانية في أول الفطرة تكون كمرآة صافية خالية من أية كدورة وظلمة. فإذا واجهت هذه المرآة الصافية النورانية عالم الأنوار والأسرار المناسبة لجوهر ذاتها، فستترقى بالتدريج عن

مقام نقص النورانية إلى كمال الروحانية والنورانية إلى أن تتحرّر من جميع أنواع الكدورات والظلمات، وتخرج من قرية الطبيعة المظلمة وتهاجر من بيت النفس القاتم، فيكون نصيبها مشاهدة جمال الجميل، ويقع أجرها على اللّه. وإذا واجهت مرآة النفس الصافية عالم الكدورة والظلمة، ودار الطبيعة التي هي أسفل سافلين فبسبب مخالفته لجوهر ذاتها الذي هو من عالم الأنوار، تؤثر كدورة الطبيعة تدريجياً فيها وتجعلها ظلمانيةً وكدرةً، ويغلب على وجه المرآة (مرآة ذاته) الغبار ورين الطبيعة فتعمى عن فهم الروحانيات وعن إدراك المعارف الإلهية وتحجب عنها، وتحرم من فهم الآيات الربانية. ويزيد هذا الاحتجاب والحمق يومياً إلى أن تصير النفس سجينية ومن جنس سجّين.

[جنود العقل والجهل]

علاقة معرفة النفس باللّه

نحن أسرى النفس والشهوة، نريد اللّه لأجل ثمرات الدنيا، ونضحّي بالحبيب المطلق في سبيل اللذات النفسانية. وهذا من أعظم الخطايا، إذ لو كان لقلوبنا حظ من المعرفة وحصل فيها تجلٍّ للمحبة فسنموت حتماً من الخجل، وننكس رؤوسنا حياء إلى يوم القيامة. أولئك إذا طلبوا شيئاً فإنما يطلبونه لأنه عطاء الحبيب...

إنّ معرفة اللّه تأتي من خلال حب اللّه، وهذا الحب إذا كمل يجعل الإنسان منقطعاً عن نفسه، فإذا انقطع عن نفسه ينقطع عن جميع العوالم، ولا يطمع في نفسه وفي الآخرين، ويكون طاهراً من

رجس الشيطان ورجس الطبيعة، ويطلع نور الأزل في باطن قلبه، ويسري من الباطن إلى الظاهر، ويكون قوله وفعله نورانِيَّيْن، وجميع قواه وأعضاؤه إلهية ونورانية.

[جنود العقل والجهل]

سفر الآخرة الطويل

قسماً باللّه! لو اطلع الإنسان على مقدار خسارته اطلاعاً حقيقياً لسلب منه الهدوء والراحة، حيث يرى أن كل ما في يده من رأس مال السعادة قد خرج من يده، بل أكثر من ذلك إذ صرفه في تحصيل الشقاء، فهيّأ لنفسه جهنم ونارها بعرق الجبين وكد اليمين، ولحاجة بضع سنوات في الحياة الدنيا صرف جميع أوقاته التي كان ينبغي أن يصرفها في تحصيل العيش الأبدي، وتعلق قلبه بمكان يتركه بعد أيام ولم يحصّل إلّا الندامة والحسرة.

فكالخليل اطلب علم اليقين ونـــادِ: لا أحـــبُّ الآفـلـيـن

ولو تفكر الإنسان قليلاً في حال الأولياء عليهم السلام الذين هم معلمو البشر فسيدرك حجم خسارته.

[جنود العقل والجهل]

المعاني العميقة لمعارف الدين

النتيجة المطلوبة من العبادات هي تحصيل المعارف وتمكين التوحيد وسائر المعارف في القلب، وهذا المقصد لا يحصل إلّا

بأن يستوفي السالك الحظوظ القلبية للعبادات، ويعبر من الصورة والقالب إلى الحقيقة واللبّ، ولا يتوقّف في الدنيا والقشر. فإنّ الوقوف عند هذه الأمور أشواك طريق سلوك الإنسانية. والذين يدعون إلى الصورة فقط وينهون الناس عن الآداب الباطنية ويقولون إنّه لا معنى للشريعة ولا حقيقة لها سوى هذه الصورة والقشر هم شياطين الطريق إلى اللّه وأشواك سبيل الإنسانية، ولا بدّ أن يستعاذ من شرّهم باللّه، فإنهم يطفئون نور فطرة اللّه في الإنسان، وهو نور المعرفة والتوحيد والولاية وسائر المعارف، ويسدلون عليه حجب التقليد والجهالة والعادات والأوهام ويمنعون عباد اللّه عن العكوف بجنابه والوصول إلى جماله الجميل ويسدّون طريق المعارف، ويوجّهون إلى الدنيا وزخارفها وجهاتها المادية والجسمانية وعوارضها، القلوبَ الصافية الطاهرة لعباد اللّه التي أودع الحقّ تعالى في خميرتها بذر المعرفة بيدي جماله وجلاله، وأرسل الأنبياء العظام وأنزل الكتب السماوية لتربية ذاك البذر وتنميته، ويصرفون تلك القلوب عن الروحانيات والسعادات العقلية، ويحصرون العوالم الغيبية والجنات الموعودة في المأكولات الحيوانية والمشروبات والمنكوحات وسائر المشتهيات الحيوانية.

[الآداب المعنوية للصلاة]

التفكّر في هدف الخلقة

التفكّر في هذا المقام هو أن يفكر الإنسان بعض الوقت في أنّ مولاه الذي خلقه في هذه الدنيا، ووفّر له كلّ أسباب الدعة والراحة،

ووهبه جسماً سليماً وقوى سالمة ذات منافع تحيِّر ألباب الجميع، والذي رعاه وهيَّأ له كلّ هذه السعة وأسباب النعمة والرحمة من جهة، وأرسل جميع هؤلاء الأنبياء، وأنزل كلّ هذه الكتب «الرسالات»، وأرشد ودعا إلى الهدى من جهة أخرى... هذا المولى ماذا يستحقّ منا؟ وما هو واجبنا تجاه مالك الملوك هذا؟!. هل إنّ وجود جميع هذه النعم، هو فقط لأجل هذه الحياة الحيوانية وإشباع الشهوات التي نشترك فيها مع الحيوانات؟ أو أنّ هناك هدفاً آخر وغاية أخرى؟.

هل إنّ للأنبياء الكرام، والأولياء العظام، والحكماء الكبار، وعلماء كلّ أمة الذين يدعون الناس إلى حكم العقل والشرع ويحذرونهم من الشهوات الحيوانية ومن هذه الدنيا البالية، عداءً ضد الناس، أم أنهم كانوا مثلنا لا يعلمون طريق صلاحنا نحن المساكين المنغمسين في الشهوات؟!.

إنّ الإنسان إذا فكَّر لحظة واحدة، عرف أن الهدف من هذه النعم هو شيء آخر، وأنّ الغاية من هذا الخلق أسمى وأعظم، وأنّ هذه الحياة الحيوانية ليست هي الغاية بحدِّ ذاتها، وأنّ على الإنسان العاقل أن يفكّر بنفسه، وأن يترحّم على حاله ونفسه المسكينة، ويخاطبها قائلاً: أيتها النفس الشقية التي قضيت سني عمرك الطويلة في الشهوات، ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة، ابحثي عن الرحمة، واستحي من مالك الملوك، وسيري قليلاً في طريق الهدف الأساسي المؤدّي إلى حياة الخلد والسعادة السرمدية، ولا تبيعي

تلك السعادة بشهوات أيام قليلة فانية، التي لا تتحصّل حتى مع الصعوبات المضنية الشاقّة. فكّري قليلاً في أحوال أهل الدنيا، من السابقين واللاحقين، وتأمّلي متاعبهم وآلامهم كم هي أكبر وأكثر بالنسبة إلى هنائهم، في نفس الوقت الذي لا يوجد فيه هناء وراحة لأي شخص.

إنّ الذي يكون في صورة الإنسان ولكنه من جنود الشيطان وأعوانه، والذي يدعوك إلي الشهوات، ويقول: يجب ضمان الحياة المادية، تأمل قليلاً في حال نفس ذاك الإنسان واستنطقه، وانظر هل هو راضٍ عن ظروفه، أم أنه مبتلٍ ويريد أن يبلي مسكيناً آخر؟!.

وعلى أي حال، فادع ربّك بعجز وتضرّع أن يعينك على أداء واجباتك التي ينبغي أن تكون أساس العلاقة فيما بينك وبينه تعالى، والمأمول أن يهديك هذا التفكير المنبعث من نيّة مجاهدة الشيطان والنفس الأمّارة إلى طريق آخر ويوفقك للرقي إلى منزلة أخرى من منازل المجاهدة.

[الأربعون حديثاً]

المعارف الإلهيّة غذاء الروح

من الواضح عند أصحاب المعرفة وأرباب القلوب كما أنّ للأبدان غذاء جسمانيّاً تتغذى به، ولا بدّ أن يكون الغذاء مناسباً لحالها وموافقاً لنشأتها حتى تتيسّر لها التربية الجسمانية والنمو النباتي، كذلك فإنّ

للقلوب والأرواح غذاء لا بدّ أن يكون مناسباً لحال كلٍّ منها وموافقا لنشأتها، كي تتربّى به وتتغذّى منه وتنمو نموّاً معنويّاً وتترقّى ترقيّاً باطنيّاً. والغذاء المناسب لنشأة الأرواح هو المعارف الإلهية اعتباراً من مبدأ مبادئ الوجود إلى منتهى نهاية نظام الوجود، كما قال أعاظم أرباب الصناعة الفلسفية في تعريف الفلسفة «هي صيرورة الإنسان عالماً عقليّاً مضاهياً للعالم العينيّ في صورته وكماله». وهذا القول يشير إلى هذا التغذّي المعنوي، في حين أن تغذّي القلوب يُستمد من الفضائل والمناسك الإلهية.

وليعلم أنّ كلّاً من هذه الأغذية إذا خلص من تصرُّف الشيطان وأعدّ بيد الولاية للرسول الخاتم ووليّ اللّه الأعظم صلوات اللّه عليهما وآلهما، يتغذى الروح والقلب منه وينالان الكمال اللائق بالإنسانية ومعراج القرب إلى اللّه. ولا يحصل الخلاص من تصرُّف الشيطان الذي هو مقدمة للإخلاص بحقيقته إلّا أن يكون السالك في سلوكه طالباً للّه، ويضع حبّ النفس وعبادتها، اللذّيْن هما منشأ المفاسد كلّها وأُمُّ الأمراض الباطنية تحت قدميه.

[الآداب المعنوية للصلاة]

معرفة اللّه

وفي هذا المرهم الإلهيّ، أي الصلاة التي هي معراج القرب الإلهيّ، فإنّ استقبال القبلة والتوجّه إلى النقطة المركزية ورفع اليد وصرف الوجه عن الجهات المتفرقة، هي ادّعاء بأنّ الفطرة قد

تيقّظت وخرج نور الفطرة من الاحتجابات. وهذا الادّعاء حقيقيّ بالنسبة إلى الكمّل وأصحاب المعرفة. وأمّا بالنسبة لنا أصحاب الحجاب، فأدبه أن نفهّم القلب أنه لا كمال ولا كامل في جميع دار التحقّق سوى الذات المقدّسة الكاملة على الإطلاق فإنّ تلك الذات المقدّسة كمال بلا نقص، وجمال بلا عيب، وفعلية بلا شوب القوّة، وخير بلا اختلاط بالشرّ، ونور بلا شوب ظلمة. وكلّ ما في دار التحقّق من الكمال والجمال والخير والعزّة والعظمة والنورانية والفعلية والسعادة فهو من نور جمال تلك الذات المقدسة، وليس لأحد شراكة مع الذات المقدّسة في كمالها الذاتي، وليس لموجود جمال ولا كمال ولا نور ولا بهاء إلّا بجمال تلك الذات المقدسة وكمالها ونورها وبهائها.

وبالجملة، إنّ العالم قد تنوّر بجلوة جماله المقدّس الذي وهبه الحياة والعلم والقدرة. وإلّا لبقيت دار التحقّق في ظلمة العدم وكمونه وبطون البطلان. بل من كان قلبه منوراً بنور المعرفة يرَ كلّ شيء غير نور جمال الجميل باطلاً ولا شيء، ومعدوماً أزلاً وأبداً.

وفي الحديث أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع هذا الشعر للبيد:

ألا كلُّ شيء ما خلا اللّه باطلُ وكـلُّ نعيم لا محالة زائـلُ

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا الشعر أصدق ما قالته العرب».

فإذا فهّمت قلبك بطلان جميع دار التحقّق وكمال الذات

المقدسة، فلا تحتاج في توجّه القلب إلى القبلة الحقيقية وعشق جمال الجميل على الإطلاق، والتنفّر من جميع دار التحقّق إلّا جلوة الذات المقدّسة، إلى إعمال رويّة، بل فطرة اللّه بنفسها تدعو الإنسان إليه بالدعوة الجِبِلّيّة الفطرية وتصبح «وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض» لسان ذات الإنسان وقلبه وحاله، وتصبح «إني لا أحبُّ الآفلين» لسان فطرته.

فاعلم أيها الفقير أنّ العالم بوجهته السوائية زائل وداثر وفانٍ وباطل؛ ليس لأحد من الموجودات من قِبل نفسه شيء وليس في ذاته جمال ولا بهاء ونور وسناء، والجمال والبهاء منحصران بالذات المقدسة. فتلك الذات المقدسة كما أنها متفردة في الألوهيّة ووجوب الوجود، متفردة بالجمال والبهاء والكمال أيضاً، بل متفرّدة بالوجود، وإنّ ذلّ العدم الذاتي والبطلان منقوش على ناصية ما سواه. فاصرف قلبك الذي هو مركز لنور فطرة اللّه عن الجهات المتشتتة للأباطيل والأعدام والنواقص، ووجّهه إلى مركز الجمال والكمال، وليكن لسان فطرتك في ضميرك الصافي...

[الآداب المعنوية للصلاة]

مراعاة حضور اللّه من الأمور الفطرية

محمَّدُ بنُ يعقوبَ بإسناده عن إسحاق بن عمّار قالَ: قالَ أبو عبد اللّه عليه السلام: «يا إسْحاقُ، خَفِ اللّهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، وإنْ كُنْتَ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لاَ يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ كُنْتَ

تَعْلَمُ أَنَّهُ يَراكَ ثُمَّ بَرَزْتَ لَهُ بِالمَعْصِيةِ فَقَدْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَهوَنِ النَّاظِرينَ عَلَيْكَ».

واعلم، أنه إذا عرف شخص كيفية تجلّي الحقّ في المُلك والملكوت، وظهور الذات المقدّسة في السموات والأرضين، بوساطة المشاهدة الحضورية، أو المكاشفة القلبية، أو الإيمان الحقيقيّ وإذا أدرك كيفية ارتباط الحقّ بالخلق، والخلق بالحقّ على ما هي عليه، وكيفية ظهور المشيئة الإلهية في الكائنات الموجودة، وفناء هذه الموجودات في تلك الإرادة على ما هي عليه، لعرف بأنّ الحقّ المتعالي حاضر في كلّ مكان وحيّز ولشاهده بالعلم الحضوري في جميع الموجودات، كما يقول الإمام الصادق المصدَّق عليه السلام: «مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلّا وَرَأَيْتُ اللّهَ مَعَهُ أَوْ فِيه وتنكشف عليه حقيقة كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ المتوخاة من التقريب بالنوافل». فيرى الحقّ حاضراً في جميع مراتب الوجود، حسب مرتبته ومقامه إمّا علماً أو إيماناً أو عيناً وشهوداً. ومن المعلوم، أنّ السالك في أيّ مقام كان، يراعي حضور الحقّ، ويمتنع عن مخالفة ذاته المقدّسة، لأنّ مراعاة الحضور والمحضر من الأمور الفطرية التي جبل عليها الإنسان، فإنه مهما كان مستهتراً ومن دون حياء، فرّق بين حضور الطرف الآخر وغيابه، خاصة إذا كان حضوراً للمنعم العظيم الكامل، لأنّ فطرة الإنسان تراعي حضور كلّ شيء بصورة مستقلة.

[الأربعون حديثاً]

ذُلّ العبودية والفقر في النفس

لقد اتضح في العلوم العالية والحكمة المتعالية أنّ كلّ ما في دار التحقّق وتمام دائرة الوجود إنّما هو صرف الربط والتعلّق ومحض الفقر والفاقة. أمّا العزّة والملك والسلطان فمختصّة بذاته المقدس الكبريائي وليس لأحد نصيب من حظوظ العزّة والكبرياء. وإنّ ذلّ العبودية والفقر قد ثبت في ناصيتهم وفي حاقّ حقيقتهم. وإنما حقيقة العرفان والشهود ونتيجة الرياضة والسلوك هي رفع الحجاب عن وجه الحقيقة ورؤية ذلّ العبودية وأصل الفقر والتدلّي في النفس وفي جميع الموجودات، ولعلّ في الدعاء المنسوب إلى سيّد الكائنات ﷺ: «اللَّهمَّ أرني الأشياء كما هي»، إشارة إلى هذا المقام بمعنى أنه ﷺ سأل اللّه سبحانه أن يشهده ذلّ العبودية المستلزم لشهود عزّ الربوبيّة.

[الآداب المعنوية للصلاة]

الموجودات عين الربط والتعلق باللّه

إذا رأى السالك نفسه حاضراً في محضر الحقّ المقدّس جلّ وعلا، بل وجد باطنه وظاهره وسرّه وعلنه عين الحضور، كما رُوي في الكافي والتوحيد أنّ الصادق عليه السلام قال: «إنّ روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح اللّه من اتصال شعاع الشمس بها» بل ثبت بالبرهان القويّ المتين في العلوم العالية أنّ جميع دائرة الوجود من أعلى مراتب الغيب إلى أدنى منازل الشهود هي عين التعلُّق والربط، ومحض التدلّي والفقر، إلى القيّوم المطلق جلّت عظمته، ولعلّه أشير إلى هذا

المعنى في الآية المباركة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].. فإذا لم يكن لموجود من الموجودات في حال من الحالات وآن من الآناء وحيثيّة من الحيثيّات تعلّق بعزّ القدس الربوبي لخرج عن بقعة الإمكان الذاتيّ والفقر، ودخل في حريم الوجوب الذاتيّ والغنى. وعلى العارف باللّه والسالك إلى اللّه أن يكتب هذا المطلب البرهانيّ الحقّ وهذه اللطيفة الإلهيّة العرفانيّة على لوح القلب بوساطة الرياضات القلبية، ويخرجها من حدّ العقل والبرهان إلى حدّ العرفان، حتّى تتجلّى في قلبه حقيقة الإيمان ونوره. فإنّ أصحاب القلوب وأهل اللّه ينتقلون من حدِّ الإيمان إلى منزل الكشف والشهود. وهو يحصل بالمجاهدة الشديدة والخلوة مع اللّه والعشق باللّه، كما في مصباح الشريعة أنّ الصادق عليه السلام قال:

«العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع اللّه، لو سها قلبه عن اللّه طرفة عين لمات شوقاً إليه. والعارف أمين ودائع اللّه، وكنز أسراره، ومعدن نوره، ودليل رحمته على خلقه، ومطيّة علومه، وميزان فضله وعدله، قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مؤنس له سوى اللّه ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا باللّه، للّه، من اللّه، مع اللّه».

[الآداب المعنوية للصلاة]

فقر الموجودات

بُنيّ أحمد - رزقك اللّه هدايته: اعلم، أنّ العالم سواء كان أزليّاً وأبديّاً أم لا، وسواء كانت سلاسل الموجودات غير متناهية أم

لا، فإنّها جميعا محتاجةٌ، لأنّ الوجود ليس ذاتيّاً لها، ولو تفكرت وأحطت عقليّاً بجميع السلاسل غير المتناهية فإنّك ستدرك الفقر الذاتيّ والاحتياج سواءٌ في وجودها أم كمالها، إلى الوجود الموجود بذاته والذي تمثّل الكمالات عين ذاته. ولو تمكنت من مخاطبة سلاسل الموجودات المحتاجة بذاتها خطاباً عقليّاً وسألتها:

أيتها الموجودات الفقيرة، من يستطيع تأمين احتياجاتك؟

فإنّها ستردُّ جميعاً بلسان الفطرة: «إننا محتاجون إلى من ليس محتاجاً مثلنا إلى الوجود، وكمال الوجود». وهذه الفطرة أيضاً ليست من ذاتها، ففطرة التوحيد ﴿... فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ من اللّه، والمخلوقات الفقيرة بذاتها لن تتبدل إلى غنية بذاتها، فمثل هذا التبدُّل غير ممكن الوقوع، ولأنّها فقيرة بذاتها ومحتاجة، فلن يستطيع سوى الغنيّ بذاته أن يرفع فقرها واحتياجها. كما أنّ هذا الفقر الذي هو لازم ذاتيّ لها، هو صفة دائمةٌ أيضا، سواء كانت هذه السلسلة أبديّة أم لا، أزليّة أم لا، وليس سواه تعالى من يستطيع حلَّ مشاكلها وتأمين احتياجاتها. كذلك فإن أيّ كمال أو جمال ينطوي عليه أي موجود ليس منه بالذات، وإنما هو مظهر لكمال اللّه تعالى وجماله وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ حقيقةٌ تصدق على كلّ شيء وكلّ فعل وكلّ قول. وإنّ كلَّ من يدرك هذه الحقيقة ويتذوّقها، لن يتعلّق قلبه بغير اللّه تعالى، ولن يرجوَ غيره تعالى.

هذه بارقةٌ إلهيّة، حاول أن تفكر فيها في خلواتك، ولقّنها قلبك الرقيق، وكرّرها عليه إلى أن ينصاع اللسان لها وتسطع هذه الحقيقة في ملك وملكوت وجودك. وارتبط بالغنيّ المطلق حتى تستغني عمّن سواه، واطلب التوفيق منه حتى يجذبك من نفسك ومن جميع مَنْ سواه، ويأذن لك بالدخول والتشرّف بالحضور في ساحته المقدّسة.

السير والسلوك إلى اللّه

على السالك إلى اللّه أن يبدّل أوصافه وأخلاقه السيّئة إلى الأوصاف الكاملة، ويفنى في بحر الأوصاف الكماليّة للحقّ، هذا البحر المتلاطم غير المتناهي، ويبدّل الأرض المظلمة الشيطانيّة بأرض بيضاء مشرقة ويجد في نفسه ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]، ويحقق في مملكة وجوده مقام أسماء الجمال والجلال للذات المقدسة، فيقع في هذا المقام في ستر الجمال والجلال، ويتخلّق بأخلاق اللّه، ويستر قبائح التعيُّنات النفسيّة والظلمات الوهمية بشكل كامل. فإذا تحقّق هذا المقام يقع مورداً للعنايات الخاصّة للحقّ جلّ جلاله، ويؤيِّده الحقّ بلطفه الخفيّ الخاصّ، ويستره تحت حجاب كبريائه على نحو لا يعرفه غيره، وهو أيضاً لا يعرف غير الحقّ «إنْ أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»؛ وفي الكتاب الإلهيّ المقدّس إشارات كثيرة في هذا الموضوع لأهلها كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

[الآداب المعنوية للصلاة]

الإنسان الكامل

إنّ الإنسان الكامل هو مظهر الاسم الجامع، ومرآة تجلّي الاسم الأعظم، كما أشير إلى هذا المعنى في الكتاب والسنّة كثيراً. قال اللّه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾. وقد تمّ هذا التعليم الإلهيّ على يدي الجمال والجلال تجاه باطن آدم بوساطة التخمير الغيبيّ الجمعيّ لدى الحضرة الواحدية، كما أنه تمّ التعليم الإلهيّ تجاه صورة آدم وظاهره، في عالم الشهادة بمظهره الطبيعيّ الماديّ، بوساطة ظهور يدي الجلال والجمال. قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا أبداً ﴾.

وتكون الأمانة لدى العرفاء الولاية المطلقة التي لا يليق بها غير الإنسان، وهذه الولاية المطلقة، هي مقام الفيض المقدّس. وقد أشير إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾. وفي كتاب (الكافي) بسنده إلى (أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ: (نحْنُ حُجّةُ اللّهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللّهِ وَنَحْنُ وَجْهُ اللّهِ

وَنَحْنُ عَيْنُ اللّه فِي خَلْقِهِ وَنَحنُ وُلاةُ أَمْرِ اللّهِ فِي عِبَادِهِ). وفي دعاء الندبة: «أَيْنَ وَجْهُ اللّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبُ المُتَّصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟». وفي زيارة الجامعة الكبيرة «وَالْمَثَلُ الأَعْلَى». وهذا المثل الأعلى وذلك الوجه الإلهيّ، هو الوارد في الحديث الشريف: «إِنَّ اللّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ومعناه أنّ الإنسان هو المثل الأعلى للحقّ سبحانه، وآيته الكبرى، ومظهره الأتمّ، وأنه مرآة لتجلّي الأسماء والصفات وأنه وجه اللّه وعين اللّه ويد اللّه وجنب اللّه، «هُوَ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَبْطِشُ بِاللّهِ، واللّهُ يُبْصِرُ وَيَسْمَعُ وَيَبْطِشُ بِهِ». ووجه اللّه هذا هو النور المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وقال الإمام الباقر عليه السلام كما في كتاب (الكافي) بسنده إلى أبي خالد الكابليّ (قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ فَقَالَ يَا أَبَا خَالِد النُّورُ واللّهِ نُورُ الأَئِمَةِ مِنْ آلِ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ القِيَامِةِ وَهُمْ وَاللّهِ نُورُ اللّهِ الَّذِي أَنْزَلَ، وَهُمْ وَاللّهِ نُورُ اللّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ). وفي كتاب الكافي الشريف بسنده إلى الإمام الباقر عليه السلام، روحي لتراب مقدمه الفداء، في تفسيره عليه السلام للآية الشريفة: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قائلاً: «هِيَ فِي أمير المُؤْمِنِينَ، كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِين صلوات اللّه عليه يَقولُ: مَا لِلّهِ تَعَالَى آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَلاَ لِلَّهِ مِنْ نَبَأٍ أَعْظَمُ مِنِّي».

وملخّص الحديث أنّ الإنسان الكامل الذي يكون آدم أبو البشر فرداً منه، أكبر آية ومظهر لأسماء وصفات الحق سبحانه، وأنه مَثَل الحق المتعالي وآيته. ولا بدّ من تنزيه اللّه سبحانه وتقديسه عن المِثْل

بمعنى الشبه ولا يلزم تنزيه ذاته المقدَّسة عن المَثَل الذي هو بمعنى الآية والعلامة (وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى).

إنّ كافة ذرّات الكون، آيات ومرآة تجلي ذاك الجمال الجميل عزّ وجلّ كلّ حسب حجمه ومنزلته الوجودية. ولكن لا يكون شيء آية للاسم الأعظم الجامع أي «اللّه» عدا الكون الجامع، والبرزخية الكبرى المقدّسة جلّت عَظَمَتُه بِعَظَمَةِ باريه.

فَاللّهُ تَعَالَى خَلَقَ الإِنْسَانَ الْكَامِلَ وَالآدَمَ الأَوَّلَ عَلَى صُورَتِهِ الْجَامِعَةَ وَجَعَلَهُ مِرْآة أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

[الأربعون حديثاً]

تعليم الأسماء الإلهيّة

ونتفكّر أيضاً في هذه القصّة الشريفة، ونرى ما هو السبّب لمزيّة آدم وأفضليته على ملائكة اللّه، فنتصف نحن أيضاً بمقدار الطاقة به. فنرى أن سبب التفضيل هو تعليم الأسماء كما قال تعالى: «وعلّم آدم الأسماء كلّها» والمرتبة العالية من تعليم الأسماء هي التحقّق بمقام أسماء اللّه. كما أنّ المرتبة العالية من إحصاء الأسماء المذكور في الرواية الشريفة أنّ للّه تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، هو التحقّق بحقيقتها التي توصل الإنسان إلى جنّة الأسماء.

الإنسان يستطيع أن يكون مظهراً لأسماء اللّه، والآية الكبرى الإلهيّة بالرياضات القلبية، ويكون وجوده وجوداً ربّانيّاً، ويكون

المتصرّف في مملكته يدي الجمال والجلال الإلهيّ. وفي الحديث ما يقرب من هذا المعنى من أنّ «روح المؤمن أشدّ اتصالاً بالله تعالى من اتصال شعاع الشمس بها أو بنورها». وفي الحديث الصحيح «لا يزال يتقرّب إليّ عبدي بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يأخذ بها». وفي الحديث «عليٌّ عين الله ويد الله» إلى غير ذلك.. وفي الحديث «نحن أسماؤه الحسنى» والشواهد العقلية والنقلية في هذا الخصوص كثيرة.

[الآداب المعنوية للصلاة]

الله مفيض بكلّ كمال

«أسألك»، السؤال بلسان الاستعداد غير مردود ودعاؤه مقبول مستجاب؛ لأنّ الفاعل تامّ وفوق التمام والفيض كامل وفوق الكمال، وعدم ظهور الفيض وإفاضته من قبل نقصان الاستعداد. فإذا استعدّ القابل لقبوله فيفيض عليه من الخزائن التي لا تنتهي ولا تنفذ ومن المعادن التي لا تنتهي ولا تنقص. فينبغي للداعي أن يبالغ في تنزيه باطنه وتخلية قلبه من الأرجاس والملكات الرذيلة حتى يسري دعاء قالِه إلى حاله، وحاله إلى استعداده، وعلنه إلى سرّه ليستجاب دعاه ويصل إلى مناه. فاجتهد لأن يكون سرّك داعياً، وباطنك طالباً، حتى ينفتح على قلبك أبواب الملكوت. وينكشف على سرّك أسرار الجبروت. ويجري فُلك عقلك في بحار الخير والبركات حتى يصل إلى ساحل النجاة، وينجي من ورطة الهلكات

ويطير بجناحيه إلى عالم الأنوار عن هذه القرية الظلمانّية ودار البوار.

[دعاء السحر]

الله يفيض بالنّعم بدون سؤال

اعلم، أنّ للإنسان العارف بالحقائق والمطلع على النسبة بين الممكن والواجب جلّ وعلا، نظرتين: الأولى: نظرته إلى نقصه الذاتيّ وإلى نقص جميع الممكنات وانحطاط الكائنات فهو يدرك في هذه النظرة، عيناً أو علماً، أنّ الممكن غارق بكلّيته في الذلّ والنقص وفي بحر ظلام الإمكان والفقر والاحتياج أزلاً وأبداً، وأنه لا يملك بذاته شيئاً إطلاقاً، وهو محض لا شيء، ومجرد ضعة، ونقص مطلق، بل إنّ هذه التعبيرات نفسها لا تصدق عليه حقيقة وإنما هي من ضيق أفق التعبير والكلام، وإلّا فإن النقص والحاجة من سمات الشيئية، وليس لجميع الممكنات والخلائق كافّة، شيئية بذواتها. وهو في هذه النظرة، لو تقدم إلى أعتاب الربوبية بكلّ العبادات والطاعات والعلوم والمعارف، فلن يكون أمامه سوى أن يطأطئ رأسه خَجَلاً وذلّاً وخوفاً، فما هذه العبادة والطاعة؟ ممن؟ ولمن؟ إنّ كلّ المحامد تعود إليه تعالى، وليس للممكن أيّ تصرّف فيه، بل إنّ تصرف الممكن يبعث على نقص في إظهار محامد اللّه والثناء عليه. وهذا ما سألوي عنه عنان القلم، ففي هذا المقام يقول عزَّ وجلّ: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ...﴾. كما يقول في المقام الأول ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

والنظرة الأخرى نظرته إلى الكمال الواجب، وبسط رحمته، وسعة لطفه تعالى وعنايته. فهو يرى أنه سبحانه قد بسط هذه النِّعم والرحمات المتنوّعة، التي لا يمكن الإحاطة بها ولا حصرها وتحديدها، من دون استعداد وتهيُّؤ مسبّق لها. وإنه قد فتح أبواب لطفه وعفوه على العباد دون استحقاق. فنعمه مبتدئة لا يسبقها سؤال.

كما أشار إلى ذلك حضرة الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام كثيراً في أدعية الصحيفة وغيرها، فيقوى رجاؤه برحمة الحقّ تعالى ويزداد أمله، بالكريم الذي لا يسبغ كرمه إلاّ من باب الرحمة واللطف، وبمالك الملوك الذي يفيض علينا بنعمه من دون سؤال أو استعداد. تلك النعم التي تعجز العقول عن إدراك بعضها وتقصر. والمالك الذي لا تنقص من ملكه الواسع معصية العاصين، ولا تزيده طاعة المطيعين، بل إنّ هداية ذاته المقدّسة لنا إلى طرق الطاعات، ومنعه إيّانا عن العصيان، إنما هو من عناياته الكريمة ونعمه وآلائه، لأجل وصولنا إلى مقامات الكمال ومدارجه الرفيعة، وللتنزه عن النقص والقبح والتشوّه.

فإذا جئونا عند أعتاب رحمته وعنايته، لوجب أن نقول: اللَّهمَّ إنك إذ ألبستنا لباس الوجود، ووهبتنا كلّ أسباب الحياة والرفاه بما يفوق إدراك المدركين، وأريتنا طرق الهداية، وأسبغت علينا من نعمك، إنما كان ذلك لمصلحتنا لننعم بأفضالك ونعمك. وها نحن وفدنا إلى دار كرامتك، وعلى أعتاب سلطنتك، مثقلين بذنوب الثقلين، مع أنّ ذنوب المذنبين لم تنقص من خزائن رحمتك، ولم تخلّ خطاياهم

بمملكتك. فماذا أنت صانع بقبضة تراب لا تساوي شيئاً عند أعتاب عظمتك سوى أن تشملها برحمتك وعنايتك؟ أيمكن أن نأمل غير الرحمة من لطفك؟

فعلى الإنسان، إذاً، أن يتردّد بين هاتين النظرتين. فلا هو يغمض عينيه عمّا فيه من نقص وقصور في القيام بالعبودية، ولا هو ينسى سعة رحمة الحقّ جلّ جلاله، وعنايته وشموليّتهما.

[الأربعون حديثاً]

تفتّح القابليّات والاستعدادات

اعلم أنّ النفوس البشرية منذ ظهورها وتعلّقها بالأجساد، وهبوطها إلى عالم المُلُك - عالم المادة - تكون على نحو القوّة والأهلية والقابلية، تجاه جميع العلوم والمعارف والملكات والحالات الراسخة المتمركزة في الإنسان، الحسنة والسيئة، بل تجاه جميع الإدراكات والفعليّات - الحاضرة التي هي ذات آثار - ثم تتدرّج بعناية الحق - جلّ جلاله - نحو الفعلية شيئاً فشيئاً، فتبدو أوّلاً الإدراكات الضعيفة الجزئية مثل حاسّة اللمس والحواسّ الظاهرية الأخرى الأخسّ فالأخسّ، ثم تظهر ثانياً الإدراكات الباطنية متدرّجة أيضاً. ولكن الملكات لا تزال موجودة بالقوة، فإن لم تتأثر بعوامل تفجّر فيها الطاقات الخيرة وتركت لوحدها لانتصرت الخبائث وتحقّقت الملكات الفاسدة، وانعطفت نحو القبائح والمساوئ، لأنّ الدواعي الداخلية الباطنية كالشهوة والغضب وغيرها تسوقُ الإنسان

إلى الفجور والتعدّي والظلم وبعد انقياده لها يتحوّل في فترة قصيرة إلى حيوان عجيب وشيطان غريب. ولمّا كانت عناية الحقّ تعالى ورحمته قد وسعتا بني الإنسان في الأزل، جعل لهم سبحانه، حسب تقدير دقيق، نوعين من المربّي والمهذّب، بمثابة جناحين يطير بهما من حضيض الجهل والنقص والقباحة والشقاء إلى أوج العلم والمعرفة والكمال والجمال والسعادة ويحرّر نفسه من ضغط ضيق عالم الطبيعة إلى الفضاء الرحب الملكوتيّ الأعلى. وهما: المربّي الباطني المتجسد في العقل والقدرة على التمييز بين الحسن والقبح، والمربّي الخارجيّ المتمثّل في الأنبياء والأدلّاء لطرق السعادة والشقاء. وكلّ منهما لا يؤدي دوره بدون الآخر، إذ إنّ العقل البشريّ عاجز عن معرفة طرق السعادة والشقاء واكتشاف الطريق إلى عالم الغيب، ونشأة الآخرة، كما أنّ هداية الأنبياء، وإرشادهم لا يكونان مؤثّرين بدون إدراك العقل والقدرة على التمييز. فالحقّ - تبارك وتعالى - منحنا هذين النوعين من الموجّه لكي نجعل الطاقات المكتنزة والاستعدادات الكامنة في النفوس تتحرّك من القوّة إلى الفعليّة والظهور. وقد وهبنا الحقّ المتعالي هاتين النعمتين الكبيرتين امتحاناً واختباراً؛ لأنّ الإنسان يتميز أفراده بعضهم من بعض، ويتمّ الفصل بين السعيد والشقيّ والمطيع والعاصي والكامل والناقص كما قال وليّ المؤمنين عليه السلام: «وَالَّذي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً».

[الأربعون حديثاً]

الفطرة الإنسانيّة تعشق الكمال المطلق

لا يخفى على كلّ ذي وجدان أنّ الإنسان، بحسب فطرته الأصيلة وجبلّته الذاتية، يعشق الكمال التامّ المطلق، ويتوجّه قلبه شطر الجميل على الإطلاق والكامل من جميع الوجوه. وهذا من فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، وبهذا الحبّ للكمال، تتوفّر إرادة المُلك والملكوت، وتتحقّق أسباب وصول عشّاق الجمال المطلق إلى معشوقهم.

غير أنّ كلّ امرئ يرى الكمال في شيء ما، حسب حاله ومقامه، فيتوجّه قلبه إليه. فأهل الآخرة يرون الكمال في مقامات الآخرة ودرجاتها، فقلوبهم متوجّهة إليها. وأهل اللّه يرون الكمال في جمال الحقّ، والجمال في كماله سبحانه يقولون ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. ويقولون: «لي مَعَ اللَّهِ حال» وفيهم حبّ وصاله وعشق جماله. وأهل الدنيا عندما رأوا أنّ الكمال في لذائذها، وتبيّن لأعينهم جمالها، اتجهوا فطريّاً نحوها. ولكن على الرغم من كلّ ذلك، فإنه لمّا كانَ التوجُّه الفطريّ والعشق الذاتيّ قد تعلّقا بالكمال المطلق، كان ما عدا ذلك من التعلّقات عرضيّاً ومن باب الخطأ في التطبيق. إنّ الإنسان مهما كثر مُلكه وملكوته، ومهما نال من الكمالات النفسيّة أو الكنوز الدنيوية أو الجاه والسلطان، ازداد اشتياقه شدّةً، ونار عشقه التهاباً. فصاحب الشهوة، كلّما ازدادت أمامه المشتهيات، ازداد تعلّق قلبه بمشتهيات أخرى ليست في متناول يده، واشتدّت نار شوقه إليها. وكذلك النفس التي تطلب

الرئاسة، فهي عندما تبسط لواء قدرتها على قطر من الأقطار، تتوجّه بنظرة طامعة إلى آخر، بل لو أنّها سيطرت على الكرة الأرضية برمّتها، لرغبت في التحليق نحو الكرات الأخرى للاستيلاء عليها. إلّا أنّ هذه النفس المسكينة لا تدري بأنّ الفطرة إنّما تتطلّع إلى شيءٍ آخر. إنّ العشق الفطريّ الجِبِلّيّ يتّجه إلى المحبوب المطلق، إنّ جميع الحركات الجوهرية والطبيعية والإرادية، وجميع التوجّهات القلبية والميول النفسيّة تتوجّه نحو جمال الجميل الأعلى على الإِطلاق، ولكنّهم لا يعلمون، فينحرفون بهذا الحبّ والعشق والاشتياق، التي هي بُراق المعراج وأجنحة الوصول إلى وجهة هي خلاف وجهتها، فيحرّرونها ويقيدونها بلا فائدة.

لقد بعدنا عن القصد، وهو أنه لمّا كان الإنسان متوجّهاً قلبيّاً إلى الكمال المطلق، فإنه مهما جمع من زخرف الحياة فإنّ قلبه يزداد تعلّقاً بها؛ فإذا اعتقد أنّ الدنيا وزخارفها هي الكمال ازداد ولعه بها، واشتدت حاجته إليها، وتجلّى أمام بصره فقره إليها. بعكس أهل الآخرة الذين أشاحوا بوجوههم عن الدنيا، فكلّما ازداد توجُّههم نحو الآخرة، قلّ التفاتهم واهتمامهم بهذه الدنيا، وتلاشت حاجتهم إليها، وظهر في قلوبهم الغِنى، وزهدوا في الدنيا وزخارفها. كما أنّ أهل اللّه مستغنون عن كلا العالمين (الدنيا والآخرة)، متحرّرون من كلتا النشأتين وكلّ حاجتهم نحو الغنى المطلق، وقد تجلّى الغِنَى بالذات في قلوبهم، فهنيئاً لهم.

إذاً، مضمون الحديث الشريف يمكن أن يكون إشارة لما مرّ

شرحه من قوله: «مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللّٰهُ الفقرَ بَيْنَ عَيْنيْهِ، وَشَتَّتَ أَمْرَه، وَلَمْ يَنَلْ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا قُسِمَ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللّٰهُ الغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ».

ومن المعلوم، أنّ من يتجه قلبه إلى الآخرة، تغدو أمور الدنيا وصعابها في نظره حقيرة سهلة، ويجد هذه الدنيا متصرّمة، ومتغيرة، ويراها معبراً ومتجراً وداراً للابتلاء والتربية، ولا يهتمّ بما فيها من ألم وسرور، فتخفّ حاجاته ويقلّ افتقاره إلى أمور الدنيا وإلى الناس، بل يصل إلى حيث لا تبقى له حاجة، فيجتمع له أمره، وتنتظم أعماله، ويفوز بالغِنى الذاتيّ والقلبيّ.

إذاً، كلّما نظرتَ إلى هذه الدنيا بعين المحبة والتعظيم، وتعلق قلبَك بها، ازدادت حاجتك بحسب درجات حبّك لها، وبان الفقر في باطنك وعلى ظاهرك، وتشتَّتَتْ أمورك واضطربت، وتزلزل قلبك، واستولى عليه الخوف والهمّ، ولا تجري أمورك كما تشتهي، وتكثر تمنياتك ويزداد جشعك، ويغلبك الغمّ والتحسُّر، ويتمكّن اليأس من قلبك والحيرة، كما وردت الإشارة إلى بعض ذلك في الحديث الشريف. فقد رُوي في «الكافي» بإسناده عن حفص بن قرط، عن أبي عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ كَثُرَ اشْتبَاكُه بالدُّنْيَا كَانَ أَشَدَّ لِحَسْرتَهِ عِنْدَ فِرَاقِهَا».

وعن أبي يعفور قال، سمعت أبا عبداللّه (الصادق) عليه السلام يقول: «مَنْ تَعَلَّق قَلْبُهُ بالدُّنْيا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِثَلاثِ خِصَالٍ هَمٍّ لاَ يَفْنَى وَأَمَلٍ لاَ يُدْرَكُ وَرَجَاءٍ لا يُنالُ».

أمّا أهل الآخرة، فإنهم كلّما ازدادوا قرباً من دار كرم اللّه، ازدادت قلوبهم سروراً واطمئناناً، وازداد انصرافهم عن الدنيا وما فيها. ولولا أنّ اللّه قد عيّن لهم آجالهم لما مكثوا في هذه الدنيا لحظة واحدة. فَهُم، كما يقول أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام: «نُزِّلَتْ أَنْفُسَهُم فِي البَلاءِ، كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيهم، لَمْ تَسْتَقِر أَرْوَاحُهُم فِي أَجْسَادِهم طَرَفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ» جعلنا اللّه وإياكم منهم، إن شاء اللّه.

[الأربعون حديثاً]

عقل الإنسان يميل إلى الخير والكمال

العقل هو القوّة العاقلة أي القوة الروحانية التي هي بدافع الذات مجردة، وبدافع الفطرة مائلة إلى الخيرات والكمالات، وداعية إلى العدل والإحسان، وفي مقابلها القوّة الواهمة التي تميل إلى الدنيا ما لم تخضع للنظام العقليّ ولم تكن مسخّرة في ظلّ كبرياء النفس المجرّدة.

[جنود العقل والجهل]

التفكّر مقدّمة لازمة لسلوك الإنسان

اعلم أنّ للتفكّر فضائل كثيرة. فالتفكّر هو مفتاح أبواب المعارف وخزائن الكمالات والعلوم، وهو مقدّمة لازمة وحتمية للسلوك الإنسانيّ، وله في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تعظيم بليغ

وتمجيد كامل، كما أنّ تاركه معيّر ومذموم. وقد جاء في (الكافي) الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إدمانُ التَّفَكّرِ فِي اللّه وَفِي قُدْرَتِهِ». ويرد ذكر لهذا الحديث فيما بعد. وفي حديث آخر: «تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ».

وفي حديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ»... إنّ للتفكّر درجات ومراتب، ولكل مرتبة نتيجة أو نتائج، وسوف نتناول بعضها.

الأول: هو التفكّر في الحقّ تعالى، وأسمائه وصفاته وكمالاته. ونتيجة ذلك هو العلم بوجوده وبأنواع تجلّياته، التي منها الأعيان الواقعية والمظاهر الخارجية. وهذا أفضل مراتب التفكّر، وأعلى مراتب العلوم، وأتقن مراتب البرهان.

[الأربعون حديثاً]

السفر إلى اللّه يكون بخرق الحجب

اعلم أنّ للسالك إلى اللّه، والمهاجر من بيت النفس المظلم، إلى الكعبة الحقيقيّة، سفراً روحانيّاً وسلوكاً عرفانيّاً، حيث يكون مبدأ هذه الرحلة بيت النفس والأنانية، ومنازل هذه الرحلة مراتب التعيّنات الآفاقية والأنفسية والمُلكية والملكوتية التي عبر عنها بالحجب النورانية والظلمانية «إِنَّ لِلّه سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ» أي أنوار الوجود، وظلمات التعيُّن أو أنوار الملكوت وظلمات المُلك أو الظُلمة الناتجة من التعلّقات النفسية والأنوار الطاهرة المنبعثة من

التعلّقات القلبية. وقد يعبّر عن سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، بحجب سبعة بصورة مضغوطة كما ورد عن الأئمّة الأطهار عليهم السّلام، في التكبيرات الافتتاحية السبعة للصلاة، والتي تخرق كلّ تكبيرة حجاباً. وورد في السجود على التربة الحسينيّة المطهّرة، خرق للحجب السبعة.

... وإنّ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قد أوجز ذلك السفر الروحانيّ نحو الحقّ المتعالي الذي يقصه القرآن بمنازل ثلاثة: أحدهما الكوكب والآخر القمر والثالث الشمس.

وعلى أيّ حال إنّ مبدأ السفر الروحاني إلى اللّه سبحانه هو بيت النفس المظلم. ومنازل هذه الرحلة، المراتب الآفاقية والمراحل الأنفسيّة. ونهاية هذا السفر الذات الحقّ المقدس حيث يكون للإنسان الكامل في المرحلة الأولى الذات مع جميع الصفات والأسماء. وفي المرحلة الأخيرة الذات مضمحلاً فيها الأسماء والصفات. ولغير الإنسان الكامل الذات المقدَّسة مع اسم وصفة وتعيّن من الأسماء والصفات والتعيّنات.

[الأربعون حديثاً]

التحرُّر من أسر النفس يجعل القلب محلّاً لسلطان اللّه

أيها العزيز، على الرغم من أنّ هذا العالم ليس بدار الجزاء والمكافأة، وليس بمحلّ لظهور سلطة الحقّ المتعالي، وإنما هو

سجن المؤمن، فلو تحرّرت من أسر النفس، وأصبحت عبداً للحق المتعالي، وجعلت القلب موحَّداً، وأجليت مرآة روحك من غبار النفاق والإثنينيّة، وأرسلت قلبك إلى النقطة المركزية للكمال المطلق، لشاهدت بعينك آثار ذلك في هذا العالم، ولتوسع قلبك بقدر يغدو محلّاً لظهور السلطنة التامّة الإلهيّة حيث تصير مساحتها أوسع من جميع العوالم «لاَ يَسعُني أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَلكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِن» ولشعرت غنى واضحاً في النفس، حيث لم تعبأ بكلّ العوالم الغيبية والمادية، ولأصبحت إرادتك قوية، حيث لم تفكّر في عالمي المُلك والملكوت، ولم تجد لهما اللياقة لاحتضانك. بيت شعر: هل رأيت تحليق الطير؟. انسلخ من أغلال الشهوة حتى ترى تحليق الإنسان!.

[الأربعون حديثاً]

لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه

فلا بدّ للسالك أن يُحكم أوّلاً بالبرهان الحكميّ، حقيقة لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه، ولا يفرّ من المعارف الإلهيّة التي هي غاية بعثة الأنبياء ولا يعرض عن تذكر الحقّ والشؤون الذاتيّة والصفاتيّة. فإنّ منبع جميع السعادات هو تذكر الحق: ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً.. وإذا وصل بقدم التفكّر والبرهان إلى حقيقة هذه اللطيفة الإلهية التي هي منبع المعارف الإلهية وباب أبواب الحقائق الغيبيّة، عليه أن يؤنس القلب بها بالتذكر والرياضة حتى يؤمن بها. وهذه هي أوّل مرتبة لصدق مقالته، وعلامته الانقطاع إلى

الحقّ وغضّ بصر الطمع والرجاء عن جميع الموجودات. ونتيجته التوحيد الفعليّ الذي هو من أجلّ مقامات أهل المعرفة. فإذا قصر السالك جميع التأثيرات على الحقّ وأغمض عين الطمع عن جميع الموجودات سوى الذات المقدّسة يكون لائقاً للمحضر المقدّس، بل يكون قلبه متوجّهاً إلى ذلك المحضر فطرةً وذاتاً.

[الآداب المعنوية للصلاة]

النظام الأصلح

إنّ من بين المعارف التي يصدّقها الحكماء والمتكلمون وعامّة الناس من أهل الشرائع، ولا يشكون فيها أبداً، أنّ ما جرى به قلم الحكيم المطلق جلّت قدرته من الوجود والكمال، ومن بسط النعمة وتقسيم الآجال والأرزاق، جاء على خير تقدير وأجمل نظام، وهو يتطابق كلّ التطابق مع المصالح التامّة والنظام الكليّ لأتمّ نظام متصوّر. ولكن يعبّر كلّ واحد - من الحكماء والمتكلّمين - بلسانه الخاصّ واصطلاحه الذي يختصّ بفنّه الذي اتخذه وسيلة لتبيان هذه النعمة الإلهيّة والحكمة الكاملة.

يقول العارف: ظلّ الجميل جميل على الإطلاق. ويقول الحكيم: النظام العينيّ المطابق للنظام العلميّ خال من النقص والشرور، والشرور المتوهمة الجزئية هي من أجل إيصال الكائنات إلى كمالاتها التي تليق بها. ويقول المتكلّم وأهل الشرائع: أفعال الحكيم تكون على أساس من الحكمة والصلاح، وإنّ العقول البشرية الجزئية

المحدودة قاصرة عن إدراك المصالح العالية في التقديرات الإلهيّة.
هذا الموضوع يدور على ألسنة الجميع، وكلّ ما يستدل على ذلك بأدلة تتناسب مع مدى سعة علمه وعقله. ولكن بما أنه لم يتعدّ حدود الأقوال إلى حيث القلوب والأحوال، فإنّ ألسنة الاعتراض مطلقة، وإنّ من لم يكن له حظ من الإيمان يقوم بتفنيد برهانه وتكذيب قوله. وعلى هذا الأساس تكون المفاسد الأخلاقية.

[الأربعون حديثاً]

ابتلاء الله المؤمن لصلاحه

يفهم من هذا الحديث الشريف القائل: «وَإنَّ مِنْ عِبادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُهُ إلّا الْغِنى وَلَوْ صَرَفْتُهُ إلى غَيْر ذلِكَ لَهَلَكَ، وَإنَّ مِنْ عِبادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُه إلّا الْفَقْرُ وَلَوْ صَرَفْتُه إلى غَيْرِ ذلِكَ لَهَلَكَ» إنّ كلّ ما يوفّره الحقّ سبحانه، للمؤمنين من الغنى والفقر، والصحة والمرض والأمن والاضطراب وغير ذلك، فهو لأجل إصلاح المؤمنين وصيرورة قلوبهم للّه سبحانه.

ولا يتنافى هذا الحديث الشريف مع الأحاديث الأخرى الكثيرة الواردة في باب شدّة ابتلاء المؤمنين بالأسقام والأوجاع والفقر والفاقة وكافّة البلايا؛ لأنّ الحقّ المتعالي نتيجة لرحمته الواسعة وفضله العميم، يعامل كلّ إنسان حسب وضعه وظروفه حتى يكون الإنسان بعيداً عن الدنيا. مَثَلُهُ في ذلك مَثل الطبيب الذي يعالج مرضاه لإبعادهم عمّا لا يكون صالحاً لهم.

فقد يعطي لأحد ثروة، وفي الوقت نفسه يصيبه ببلايا أُخَر حسب شدّة إيمانه وضعفه، كماله ونقصه، بل إنّ ثروته وغناه يحفّان بمصائب ومحن تصرفه عن الدنيا وحبّها. إنّ تكوين هذا الشخص يكون على شاكلة، لو كان فقيراً لأصبح من الهالكين بصورة دائمة؛ لأنّه يرى السعادة في المال والجاه، وأَنَّ أهل الدنيا هم السعداء فيتوجّه إلى الدنيا وينهمك فيها، ولكنّه لو تمكّن من الدنيا، المحفوفة بالمكاره والآلام الخارجيّة والداخليّة لانصرف عنها.

كان أحد مشايخنا العظام يقول: يحسب الإنسان أنّ في تعدّد الزوجات دخولاً في الدنيا ورغبة فيها، في حين أنّ من الإبداع الفريد هو أنّ الإنسان عندما يدخل ويُبتلى بها يخرج منها وينصرف عنها.

فإذاً قد يصيب اللّه المؤمنين بالفقر، لإصلاحهم ولإبعادهم عن الدنيا مع أنه سبحانه يسلّيهم ويهوّن عليهم الفقر، وقد يُغْدِقُ عليهم الثراء والغنى ويتراءى للآخرين بأنّ الأثرياء في رفاه ورغد وبهجة وراحة، ولكنهم يعيشون في محن وصعوبات وضيق. ولا منافاة في أن يكون أجر الفقراء المسلمين عند الحقّ المتعالي أكثر أيضاً.

[الأربعون حديثاً]

ذكر اللّه يبعث على صفاء النفس

إذا عاش الإنسان مع الحقّ سبحانه وتعالى في جميع الأحوال وكافّة المستجدّات، وشاهد نفسه أمام الذات المقدّسة عزّ شأنها، لأحجم عن الأمور التي تسخط اللّه، وردع نفسه عن

الطغيان. إنّ المشاكل والمصائب المنبثقة من النفس الأمّارة والشيطان الرجيم قد نشأت عن الغفلة عن ذكر الحقّ وعذابه وعقابه. إنّ الغفلة عن الحقّ تضاعف كدورة القلب، وتمكّن النفس والشيطان من التحكّم في الإنسان وتسبّب زيادة المفاسد على مرّ الأيام.

وإنّ التذكر للحقّ جلّ شأنه يبعث على صفاء النفس وصقلها، ويجعلها مظهراً للمحبوب ويوجب صفاء الروح ونقاءها، ويحرّر الإنسان من أغلال الأسر، ويُخرج حبّ الدنيا الذي هو رأس الخطايا ومصدر السّيئات من القلب، ويجعل الهموم همّاً واحداً، والقلب نظيفاً وطاهراً لورود صاحبه الحق جلّ وعلا.

فيا أيها العزيز، مهما تتحمّل من الصعاب في سبيل الذكر والتذكّر للحبيب الحق سبحانه، كان ذلك قليلاً. روّض قلبك على التذكّر للمحبوب، لعلّ اللّه يجعل صورة القلب، صورة لذكر الحقّ، وكلمة لا إله إلّا اللّه الطيبة، الصورة النهائيّة والكمال الأقصى للنفس، فإنه لا زاد أفضل منه للسلوك إلى اللّه، ولا مصلح أحسن منه لعيوب النفس، ولا رفيق أجدى منه في المعارف الإلهيّة. فإذا كنت طالباً للكمالات الصورية والمعنوية، وسالكاً لطريق الآخرة ومهاجراً ومسافراً إلى اللّه، اجعل قلبك معتاداً على تذكّر المحبوب، واعجن قلبك مع ذكر الحقّ تبارك وتعالى.

[الأربعون حديثاً]

الطهارة من القذارات الظاهرية والباطنية

... ويلزم للسالك إلى اللّه في بدء الأمر رفع الموانع والقذارات كي يتّصف بالطهارة ويتيسّر له حصول الطهور الذي هو من عالم النور. وما لم يتطهّر من جميع القذارات الظاهرية والباطنية والعلنيّة والسرية، لا يكون للسالك أيّ حظّ من المحضر والحضور.

فأول مرتبة من مراتب القذارات هي تلوّث الآلات والقوى الظاهريّة للنفس بلوث المعاصي وتقذّرها بقذارة التمرّد على وليّ النِّعم. وهذا هو الفخّ الصوريّ الظاهريّ لإبليس. وما دام الإنسان أسير هذا الفخّ فهو من فيض المحضر وحصول القرب الإلهي محروم. ولا يظنّنَّ أحد أنه يمكن أن يرقى إلى مقام حقيقة الإنسانيّة، أو يستطيع أن يطهّر باطن قلبه من دون تطهير ظاهر مملكة الإنسانيّة. فهذا غرور الشيطان ومن مكائده العظيمة؛ وذلك لأن الكدورات والظلمات القلبية تزداد بالمعاصي التي هي غلبة الطبيعة على الروحانيّة. وما دام السالك لم يفتتح المملكة الظاهريّة فهو محروم بالكامل من الفتوحات الباطنيّة التي هي المقصد الأعلى، ولا ينفتح له طريق إلى السعادة. فأحد الموانع الكبيرة لهذا السلوك هو قذارات المعاصي التي لا بدّ أن تطهّر بماء التوبة النصوح الطاهر الطهور.

وليُعلم أنّ جميع القوى الظاهرية والباطنية التي أعطانا اللّه إيّاها وأنزلها من عالم الغيب، هي أمانات إلهيّة كانت طاهرة من جميع القذارات، وكانت طاهرة مطهّرة، بل كانت متنوّرة بنور

الفطرة الإلهيّة وبعيدة عن ظلمة تصرّف إبليس وكدورته. فلما نزلت إلى ظلمات عالم الطبيعة وامتدت يد تصرّف شيطان الواهمة ويد الخيانة الإبليسية إليها، خرجت عن الطهارة الأصلية والفطرة الأوّليّة، وتلوّثت بأنواع القذارات والأرجاس الشيطانية. فالسالك إلى اللّه إذا أبعد يد الشيطان بالتمسّك بذيل عناية وليّ اللّه، وطهّر المملكة الظاهرية وردّ الأمانات الإلهيّة كما أخذها، فهو ما خان الأمانة حينئذ. وإن صدرت عنه خيانة فهو مورد للغفران والستارية، فيستريح خاطره من ناحية الظاهر، ويقوم بتخلية الباطن من أرجاس الأخلاق الفاسدة؛ وهذه هي المرتبة الثانية من القذارات التي فسادها أكثر وعلاجها أصعب، وعند أصحاب الارتياض أهمّ؛ لأنه ما دام الخلق الباطني للنفس فاسداً والقذارات المعنوية محيطة بها، لا تليق بمقام القدس وخلوة الأنس بل مبدأ فساد المملكة الظاهرية للنفس هو الأخلاق الفاسدة والملكات الخبيثة. وما دام السالك لم يبدّل الملكات السيئة بالملكات الحسنة فليس مأموناً من شرور الأعمال. وإذا وُفّق للتوبة، فإنّ الاستقامة عليها، التي هي من المهمّات، لا تتيسّر له. فتطهير الظاهر أيضاً متوقّف على تطهير الباطن، مضافاً إلى أنّ القذارات الباطنية موجبة للحرمان من السعادة ومنشأ لجهنّم الأخلاق التي هي كما يقول «أهل المعرفة» أشدّ حرّاً من جهنّم الأعمال، وقد أشير كثيراً إلى هذا المعنى في أخبار أحاديث أهل بيت العصمة.

فيلزم للسالك إلى اللّه هذه الطهارة أيضاً. وبعد أن غسل عن لوح النفس التلوّث بالأخلاق الفاسدة بماء العلم النافع الطاهر الطهور،

وبالارتياض الشرعيّ الصالح، عليه أن يشتغل بتطهير القلب الذي هو أمّ القرى، وبصلاحه تصلح الممالك كلّها، وبفساده تفسد كلّها. وقذارات عالم القلب مبدأ القذارات كلّها؛ وهي عبارة عن التعلّق بغير الحقّ والتوجّه إلى النفس وإلى العالم. ومنشؤها جميعاً حبّ الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة وحبّ النفس الذي هو أمّ الأمراض. وما دامت جذور هذه المحبّة في قلب السالك لا يحصل فيها أثر من محبّة اللّه، ولا يهتدي طريقاً إلى منزل المقصد والمقصود. وما دام للسالك في قلبه بقايا من هذه المحبة، لا يكون سيره إلى اللّه، بل يكون إلى النفس وإلى الدنيا وإلى الشيطان، فالتطهير من حبّ النفس والدنيا هو أول مراتب تطهير السلوك إلى اللّه في الحقيقة؛ لأنه قبل هذا التطهير لا يكون السلوك سلوكاً، وإنما يطلق السلوك والسالك على سبيل المسامحة... فإنّ أعظم القذارات المعنوية التي لا يمكن تطهيرها بسبعة أبحر، وأعجزت الأنبياء العظام هي قذارة الجهل المركّب، الذي هو منشأ ذاك الداء العضال ألا وهو إنكار مقامات أهل اللّه وأرباب المعرفة ومبدأ سوء الظنّ بأصحاب القلوب. وما دام الإنسان ملوّثاً بهذه القذارة، لا يتقدّم خطوة إلى المعارف. بل ربما تطفئ هذه الكدورة نور الفطرة الذي هو مصباح طريق الهداية، وتنطفئ بها نار العشق التي هي بُراق العروج إلى المقامات وتخلّد الإنسان في أرض الطبيعة.

فالواجب على الإنسان أن يغسل هذه القذارة من باطن القلب بالتفكّر في حال الأنبياء والأولياء الكمَّل (صلوات اللّه عليهم)، وتذكر مقاماتهم، وألّا يقنع بالحدّ الذي هو فيه. فإنّ التوقّف عند

الحدّ والقناعة في المعارف، من التلبيسات العظيمة لإبليس والنفس الأمّارة نعوذ باللّه منهما. وحيث إنّ هذه الرسالة كتبت وفق مذاق العامّة، فقد أمسكنا عن التطهيرات الثلاثة للأولياء والحمد للّه.

[الآداب المعنوية للصلاة]

التوبة رجوع من عالم المادّة إلى عالم روحانيّة النفس

اعلم، أنّ التوبة من المنازل المهمّة الصعبة. وهي عبارة عن الرجوع من عالم المادّة إلى روحانيّة النفس، بعد أن حُجبت هذه الروحانية ونور الفطرة، بغشاوات ظلمانية من جرّاء الذنوب والمعاصي.

وتفصيل هذا الإجمال بإيجاز هو: أنّ النفس في بدء فطرتها خالية من كلّ أنواع الكمال والجمال والنور والبهجة، كما أنها تكون خالية أيضاً من أضداد هذه الصفات - المذكورة الأربعة - فكأنّ النفس صفحة نقيّة من كلّ رسم ونقش، لا توجد فيها الكمالات الروحيّة ولا تتَّصف بالنعوت المضادّة لها. ولكن قد أُودع فيها نور الاستعداد والأهليّة لنيل أيّ مقام رفيع أو وضيع، وأُنشئت فطرتها على الاستقامة، وعُجنت طينتها بالأنوار الذاتية. وعندما تُجترح سيِّئة، تحصل في القلب ظلمة وسواد. وكلّما ازدادت المعاصي تضاعفت الظلمة والسواد، إلى أن يغشى الظلام والسواد القلب كلّه، وينطفئ نور الفطرة ويبلغ مرتبة الشقاء الأبديّ. فإذا انتبه الإنسان قبل أن

يستوعب الظلام القلب كلَّه، ثمّ اجتاز منزل اليقظة ودخل إلى منزل التوبة، واستوفى حظوظ هذا المنزل حسب الشرائط التي سنأتي على ذكرها إجمالاً في هذه الصفحات، زالت الحالات الظلمانية والكدورات الطبيعية وعاد إلى الحالة الفطرية النورية الأصيلة والروحانية الذاتية وكأنّها تنقلب - النفس - إلى صفحة خالية من جميع الكمالات وأضدادها، كما ورد في الحديث الشريف المشهور «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ».

فتبيّن أنّ حقيقة التوبة هي الرجوع من عالم الطبيعة وآثارها ومضاعفاتها إلى عالم الروحانية والفطرة. كما أنّ حقيقة الإنابة رجوع من الفطرة والروحانية إلى اللّه والسفر والهجرة من بيت النفس نحو بيت القصيد. فمنزل التوبة سابق ومقدّم على منزل الإنابة، ولا يناسب تفصيل ذلك في هذا المقال.

[الأربعون حديثاً]

غاية خلقة الإنسان عالم الغيب المطلق

وهذا الذي ذكرناه هو في الأفعال الجزئية وبالنظر إلى مراتب الوجود؛ وإلا فبحسب الفعل المطلق ليس لفعل الحقّ تعالى غاية سوى ذاته المقدسة كما هو مبرهن في محلّه. وإذا نظرنا إلى الأفعال الجزئية أيضاً فغاية خلقة الإنسان عالم الغيب المطلق كما ورد في القدسيّات «يابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي».. وفي القرآن الشريف يخاطب موسى بن عمران، على نبينا وآله وعليهم

السلام، ويقول «اصطنعتك لنفسي». وأيضاً يقول: «وأنا اخترتك». فالإنسان مخلوق لأجل اللّه ومصنوع لذاته المقدسة وهو المصطفى والمختار من بين الموجودات، وغاية سيره الوصول إلى باب اللّه والفناء في ذات اللّه والعكوف بفِناء اللّه، ومعاده إلى اللّه ومن اللّه وفي اللّه وباللّه؛ كما يقول سبحانه في القرآن: «إنّ إلينا إيابهم».. وسائر الموجودات ترجع إلى الحق تعالى بوساطة الإنسان؛ بل مرجعها ومعادها إلى الإنسان، كما يقول في الزيارة الجامعة المظهرة لنبذة من مقامات الولاية «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم». ويقول: «بكم فتح اللّه وبكم يختم».. وفي قول اللّه تعالى: «إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم..» وقوله عليه السلام في الزيارة الجامعة «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» سِرٌّ من أسرار التوحيد وإشارة إلى أنّ الرجوع إلى الإنسان الكامل هو الرجوع إلى اللّه؛ لأنّ الإنسان الكامل فانٍ مطلق وباقٍ ببقاء اللّه، وليس له من عند نفسه تعيّن وإنّيّة وأنانية؛ بل هو نفسه من الأسماء الحسنى، وهو الاسم الأعظم.

[الآداب المعنوية للصلاة]

ليس للّه غاية وراء ذاته المقدّسة

يقول المحقّقون من الفلاسفة إنّه لا يوجد غرض وغاية لأفعال الحقّ المتعالي سوى ذاته، وتجلّياته الذاتية، ولا يمكن أن يكون لذاته الأقدس في إيجاد الأشياء هدف آخر وراء ذاته وظهوره وتجلّيه المقدس؛ لأنّ كلّ فاعل عندما أوجد شيئاً وابتغى من

عمله غير ذاته مهما كانت هذه الغاية، حتى إذا كانت إيصال الفائدة والمثوبة للغير، أو كان الغاية العبادة والمعرفة أو الثناء والحمد كان هذا الفاعل مستكملاً بهذه الغاية، وكان وجود هذا الهدف بالنسبة إليه أولى من عدمه، وهذا يستلزم النقص والقصور فيه وانتفاع الفاعل به، وهو محال على الذات المقدس الكامل على الإطلاق، الغني بالذات الواجب من جميع الجهات، فلا يستفسر عن أفعاله ولا يوجَّه إليه لِمَ و«لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ». وأما الموجودات الأخرى فإنها تستبطن في أفعالها أغراض ومقاصد أخرى غير ذواتها. فإنّ عشّاق جمال الحقّ والمقرّبين إليه والمجذوبين نحوه يكون هدفهم الوصول إلى باب اللّه، والوصول إلى لقاء اللّه، والتقرّب نحو ساحة قدسه الإلهيّ. وإنّ الكائنات الأخرى فهي، حسب كمالها ونقصانها وقوّتها وضعفها تستهدف ما هو زائد على ذواتها.

وخلاصة القول أنّ ما يكون كمالاً مطلقاً وواجباً بالذات، كان واجباً من جميع الجهات. وعندما لا يصحّ توجيه الاستفسار نحو ذاته المقدسة كانت أفعاله أيضاً بعيدة عن توجيه السؤال نحوها. على خلاف سائر الموجودات فإنه يصحّ السؤال عن سبب وجودها كما يصحّ الاستفهام عن أفعالها.

وأيضاً لما كانت ذاته المقدسة كاملة مطلقاً وجميلة مطلقاً، صار كعبة لآمال كافّة الموجودات وهدفاً منشوداً لجميع الكائنات، في حين أنه سبحانه لا مقصد من خلقه وأفعاله ولا كعبة لآماله وراء ذاته،

لأنّ الموجودات الأخرى ناقصة بالذات، وإنّ كلّ ناقص مهروب منه بالفطرة، كما أنّ كلّ كامل مرغوب فيه، فالذات المقدسة غاية جميع الحركات والأفعال، ولا توجد غاية وراء ذاته المقدسة ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. وأيضاً لمّا كانت ذاته المقدسة في المنتهى الأقصى من الجمال والكمال، كان نظام دائرة الوجود الذي هو ظل ذلك الجمال الحقّ سبحانه، في الغاية القصوى من الكمال الممكن، وعليه يكون هذا النظام الكلّيّ الموجود أتمّ الأنظمة المتصوّرة، فيكون الاستفهام عن الغاية والغرض والفائدة، منبعثاً من الجهل والنقص. كما أنّ إبليس اللعين وجّه أسئلة سبعة معروفة من جرّاء جهله، وأجابه اللّه سبحانه إجمالاً وعلى أساس ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ جواباً واحداً عن أسئلته السبعة فاللّه سبحانه لا يُسأل لأنّ فعله في منتهى الكمال، وتُسأل الكائنات الأخرى لنقصها الذاتيّ والفعليّ.

وأيضاً إنّ الحقّ المتعالي حكيم بصورة مطلقة، فما يصدر عنه من الأفعال يكون في منتهى الإتقان فلا يُسأل، في حين أنّ الموجودات الأخرى تُسأل؛ لأنّها ليست كذلك.

[الأربعون حديثاً]

غاية الخلقة الوصول إلى فناء اللّه

اعلم أنّ للسالك إلى اللّه بحسب النشآت الوجودية أمكنة... الأول: النشأة الطبيعية والمرتبة الظاهرية الدنيوية، ومكانها أرض

الطبيعة. قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».. فالسالك في هذه المرتبة أدبه أنّ يفهّم قلبه أن نزوله من النشأة الغيبية وهبوط النفس من المحلّ الأعلى الأرفع إلى أرض الطبيعة السفلى وردّه من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين إنّما هو لأجل سلوكه الاختياري إلى اللّه وعروجه إلى معراج القرب ووصوله إلى فِناء اللّه وجناب الربوبية، الذي هو غاية الخلقة ونهاية مقصد أهل اللّه. رحم اللّه امرأً علم من أين وفي أين وإلى أين.

[الآداب المعنوية للصلاة]

الرحمة والوصول إلى اللّه

إعلم أنّ للإنسان السالك في الوصول إلى المقصد الأعلى ومقام القرب الربوبيّ طريقين على نحو كلّيّ. أحدهما وله مقام الأولّية والأصالة، هو السير إلى اللّه بالتوجّه إلى مقام الرحمة المطلقة وخصوصاً الرحمة الرحيميّة، وهي رحمة توصل كلّ موجود إلى كماله اللائق به. ومن شعب هذه الرحمة الرحيمية ومظاهرها بعث الأنبياء والرسل (صلوات اللّه عليهم) الذين هم هداة السبل والآخذون بأيدي المتخلّفين. بل إن دار التحقّق في نظر أهل المعرفة وأصحاب القلوب هي صورة الرحمة الإلهيّة، والخلائق مستغرقون دوماً في بحار رحمة الحقّ تعالى ولا يستفيدون منها.

[الآداب المعنوية للصلاة]

الوصول إلى الكمال المطلق يحصل في الصلاة

لأنّ الفلاح والنجاح هما السعادة المطلقة، وفطرة جميع البشر عاشقة للسعادة المطلقة؛ لأنّ الفطرة طالبة للكمال وتطلب الراحة؛ وحقيقة السعادة هي الكمال المطلق والراحة المطلقة... فالكمال المطلق إذاً وهو الوصول إلى فِناء اللّه والاتصال بالبحر الوجوبيّ غير المتناهي، وشهود جمال الأزل والاستغراق في بحر النور المطلق يحصل في الصلاة.

[الآداب المعنوية للصلاة]

الإنسان هو الكون الجامع

واعلم أنّ الإنسان هو الكون الجامع لجميع المراتب العينية والمثالية والحسية، منطوٍ فيه العوالم الغيبية والشهادية وما فيها، كما قال اللّه تعالى: وعلَّم آدم الأسماء كلّها، وقال مولانا ومولى الموحّدين صلوات اللّه عليه على ما نُقل:

أتزعم أنّك جرم صغيرٌ   وفيك انطوى العالَمُ الأكبرُ!

فهو مع الملك ملك، ومع الملكوت ملكوت، ومع الجبروت جبروت. ورُوي عنه وعن الصادق عليهما السلام: إعلم أنّ الصورة الإنسانية هي أكبر حجج اللّه على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صورة العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كلّ غائب،

وهي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، والصراط الممدود بين الجنة والنار، انتهى. فهو خليفة اللّه على خلقه، مخلوق على صورته، متصرّف في بلاده، مخلَع بخلع أسمائه وصفاته، نافذ في خزائن ملكه وملكوته، منفوخ فيه الروح من الحضرة الإلهيّة، ظاهره نسخة الملك والملكوت وباطنه خزانة الحيّ الذي لا يموت. ولمّا كان جامعاً لجميع الصور الكونية الإلهيّة كان مربى بالاسم الأعظم، المحيط لجميع الأسماء والصفات، الحاكم على جميع الرسوم والتعيُّنات. فالحضرة الإلهيّة ربّ الإنسان الجامع الكامل.

[دعاء السحر]

لقاء اللّه

إعلم بأنه قد ذهب بعض العلماء والمفسرين إلى سدّ باب السبيل إلى (لقاء اللّه) نهائيّاً، والجحود للمشاهدات العينية والتجلّيات الذاتية والأسمائية، زاعمين بذلك أنهم منزِّهون الذات المقدسة، ومفسِّرون جميع آيات لقاء اللّه وأحاديثها، بلقاء يوم الآخرة، ولقاء الجزاء والثواب والعقاب.

وهذا التوجيه ليس ببعيد كثيراً، بالنسبة إلى مطلق اللقاء واتجاه بعض الآيات والروايات، ولكنّه بالنسبة إلى بعض الأدعية المعتبرة والأحاديث المأثورة في الكتب المعتبرة، والأحاديث المشهورة التي ارتكز عليها علماؤنا العظام، موهون وبعيد جدّاً.

ولا بدّ أن تعرف بأنه ليس مقصود من أجاز فتح الطريق على

لقاء اللّه ومشاهدة جمال الحقّ وجلاله، جواز اكتناه التعرف على الحقيقة والذات - ذاته المقدسة، أو إمكان الإحاطة في العلم الحضوري والمشاهدة العينية الروحانية، على ذاته، المحيطة بكلّ شيء على الإطلاق، فإنّ امتناع الاكتناه لذاته المقدسة بالفكر في العلم الكلّيّ - الفلسفة - وامتناع الإحاطة بالبصيرة في العرفان، من الأمور البرهانيّة، ومتّفق عليه لدى جميع العقلاء، وأرباب القلوب والمعارف. بل المقصود لدى من يدّعي مقام لقاء اللّه هو: أنه بعد حصول التقوى التامّة والكاملة، وانصراف القلب نهائياً عن جميع العوالم، ورفض التوجّه نحو النشأتين - المُلك والملكوت - ووطْء الأنانية والإنيّة، والإقبال الكلّيّ نحو الحقّ المتعالي وأسماء ذاته المقدسة وصفاته، والانصهار في عشق ذاته المقدسة وحبّه، وتحمّل جهد وترويض القلب، يحصل صفاء في القلب لدى السالك يبعث على تجلّي أسمائه وصفاته، وتمزّق الحجب الغليظة التي أسدلت بين العبد من جهة والأسماء والصفات، من جهة أخرى، والفناء في الأسماء والصفات، والتعلّق بعزّ قدسه وجلاله والتدلّي التامّ بذاته. وفي هذا الحال لا يوجد حاجز بين روح السالك المقدّسة والحقّ المتعالي سوى حجاب الأسماء والصفات.

ويمكن أن يرفع الستار النوريّ للأسماء والصفات لبعض أرباب السلوك أيضاً، وينال التجلّيات الذاتية الغيبية، ويرى نفسه متدلّياً ومتعلّقاً بالذات المقدسة، ويشهد الإحاطة القيومية للحق والفناء الذاتي لنفسه، ويرى بالعيان أنّ وجوده ووجود كافّة الكائنات، ظلٌّ للحقّ المتعالي.

وكما قامت البراهين على أنه لا حجاب بين الحقّ سبحانه وتعالى والمخلوق الأول المجرّد عن جميع الموادّ والتعلُّقات، بل البرهان قائم على عدم وجود حجاب بين الحقّ وكافّة المجرّدات بشكل عامّ، فكذلك لا يوجد حجاب بين هذا القلب الذي يبلغ في سعته وإحاطته الموجودات المجرّدة، بل اجتازها ووطئ بأقدامه على رؤوسها، وبين الحقّ المتعالي. كما في الحديث الشريف المنقول عن (الكافي) و(التوحيد):

«إنَّ رُوحَ المُؤْمِنِ لأَشَدُّ اتِّصالاً بِرُوحِ اللّهِ مِنْ اتِّصالِ شُعاعِ الشَّمْسِ بِهَا» وفي المناجاة الشعبانية المقبولة لدى العلماء، والتي يدلّ مضمونها على أنّ هذه المناجاة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام: «إلهي هَبْ لِي كَمَالَ الانْقِطَاعِ إِلَيْكَ، وَأَنِرْ أَبْصَارَ قُلوبِنَا بِضِياءِ نَظَرِها إِلَيْكَ حَتّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ القُلوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ العَظَمَةِ وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ. إلهي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتَهُ فأجابَكَ وَلاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلالِكَ فَناجَيْتَهُ سِرّاً وعَمِلَ لَكَ جَهْراً». وفي الكتاب الإلهيّ الشريف، لدى حكاية معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ولا تتنافى هذه المشاهدة الحضورية الفنائيّة، مع البرهان على عدم الاكتناه والإحاطة للذات المقدسة، ومع الأخبار والآيات التي تدل على تنزيه الحقّ جلَّ وعلا من كلّ عيب ونقص وحدّ. بل يكون مؤكّداً ومؤيّداً لها. فانظر الآن ما جدوى هذه التوجيهات والتأويلات البعيدة؟ هل نستطيع أن نوجه كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول «فَهَبْني صَبَرْتُ عَلى عَذابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ؟» هل إنّ تحرّق وتألّم أولياء اللّه،

من فراق الحور العين وقصور الجنة؟ وهل يمكن تفسير هذه الجملة (ما عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نارِكَ وَلا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ بَلْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبادَةِ فَعَبَدْتُكَ عِبادَةَ الأَحْرارِ) على أن هذا الأنين هل هو من جرّاء الفراق عن الجنه وأطعمتها؟ هيهات أن يكون ذلك، إنه لكلام غير موزون، وتوجيه غير مقبول.

هل يمكن القول إنّ تجلّي جمال الحقّ سبحانه ليلة المعراج، والمجلس الذي أقيم في تلك الليلة من دون أن يحضرها أحد من الكائنات، أو لم يطّلع على أسراره أحد، حتى أمين الوحي جبرائيل، بأنه مشاهدة للجنّة وقصورها المشيّدة، وأنّ أنوار العظمة والجلال هي رؤية لنعم الحق؟

هل إنّ التجلّيات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام، التي ورد ذكرها في الأدعية المعتبرة، هي من قبيل النعم والمأكول والمشروب أو البساتين والقصور؟

ومن المؤسف أننا نحن المساكين، المسجونين في الحجب المظلمة، والمصفّدين بسلاسل الآمال والأمنيات، لا نفهم إلّا المطعومات والمشروبات والمنكوحات وأمثالها، وإذا أراد فيلسوف أو عارف أن يرفع هذه الحجب، اعتبرنا سعيه هذا غلطاً وخطأً، وما دمنا مسجونين في البئر المظلمة، عالم المُلك لم نستوعب شيئاً من أصحاب المعارف والمشاهدات.

ولكن عزيزي، لا تقارن نفسك بالأولياء، ولا تظنّ بأنّ قلبك يضاهي قلوب الأنبياء وأهل المعارف. إنّ قلوبنا المشحونة بغبار

التعلّق بالدنيا وملذّاتها، وإنّ انغماسنا في الشهوات يمنع قلوبنا من أن تكون مرآة لتجلّي الحقّ سبحانه، ومحلاً لظهور المحبوب. ومن المعلوم أننا لا نعي شيئاً من تجلّيات الحقّ وجماله وجلاله عندما نشعر بالأنانية والذاتية والمحورية، بل يجب أن نكذب في هذا الحال أحاديث الأولياء وأهل المعرفة، فإن لم نكذّبها بألسنتنا في الظاهر، لكذّبناها في قلوبنا. وإن لم نجد سبيلاً للتكذيب، بأن كانت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمّة المعصومين عليهم السلام، لفتحنا باب التأويل والتفسير، وفي النهاية نسدّ باب معرفة اللّه.

فنفسر قوله: (مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلاّ وَرَأَيْتُ اللّهَ مَعَهُ وَقَبْلَهُ وَفِيهِ) على رؤية الآثار. وقوله: «لَمْ أَعْبُدْ رَبّاً لَمْ أَرَهُ» بالعلم بالمفاهيم الكلية التي تضارع علومنا، وقوله في آياته الكريمة التي تتحدث عن لقاء اللّه، بلقاء يوم الجزاء. وقوله: «لي مَعَ اللّه حَالَةٌ» بحالة الرقّة في القلب. وقوله: «وَارْزُقْنِي النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيم» وتأوّه الأولياء وتحرّقهم في معاناة الفراق، بالبعد عن الحور العين، وطيور الجنة وهذه التفاسير لا تكون إلّا نتيجة أننا لا نكون رجال تلك الساحات، ولا نفهم إلّا المتع الحيوانية والجسمانية دون غيرها، ولهذا ننكر جميع المعارف. والأنكى من كلّ ذلك، هذا الإنكار الذي يفضي إلى غلق باب كلّ المعارف، ويحجزنا عن السعي والطلب، ويجعلنا نقتنع بمستوى الحيوانية والبهيمية، ويحرمنا من عوالم الغيب والأنوار الإلهية. لقد أصبحنا نحن المساكين المحرومين نهائياً من المشاهدات والتجلّيات في منأى حتى عن الإيمان بهذه المعاني التي هي درجة من الكمال النفسي، والتي يمكن أن تسوقنا

إلى مرحلة متقدّمة. إننا نهرب من العلم الذي قد يكون منطلقاً وبذرة للمشاهدات، ونغلق عيوننا وأسماعنا نهائياً ونضع القطن في آذاننا حتى لا يتطرق كلام الحقّ إليها. وإذا سمعنا حقيقة من لسان عارف هائم أو سالك حزين أو فيلسوف متألّه، نتصدّى فوراً نتيجة عدم طاقة آذاننا على استماع تلك الحقيقة، ونتيجة أن حُبَّ النفس يمنعنا من جعل هذه الحقائق أسمى من قدرة استيعابنا لها، ونتصدى فوراً للطعن فيه ولعنه وتكفيره وتفسيقه، ولا نأبى من أي غيبة أو تهمة.

[الأربعون حديثاً]

السفر إلى الله

إنّ الشرط الأول في السير إلى اللّه، هو الخروج من البيت المظلم للنفس والذات والأنانية. فكما أنّ الإنسان في السفر الخارجيّ العينيّ المحسوس، لا يكون مسافراً ما دام هو في مكانه وبيته رغم تخيّله السفر وتحدّثه عن كونه مسافراً، بل لا بدّ من ترك المكان ومغادرة البيت حتى يقال إنّه مسافر، وكما أنّ السفر الشرعيّ لا يتحقّق إلّا بعد مغادرة البلد واختفاء آثاره، فكذلك لا يتحقّق هذا السفر العرفانيّ إلى اللّه، والهجرة الشهوديّة إلّا بعد التخلّي عن البيت المظلم للنفس واختفاء آثارها ومعالمها، لأنه ما دامت آثار التعيُّنات مشهودة وأصوات الكثرات مسموعة، لا يكون الإنسان مسافراً، بل إنّه تخيّل السفر ودواعي السير والسلوك، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

فبعد أن يغادر السالك إلى اللّه بخطوات ترويض النفس والتقوى الكاملة من بيت النفس، ولم يصطحب معه في هذا الخروج العُلقة الدنيوية، والتعيّنات، ويتحقّق له السفر إلى اللّه سبحانه، يتجلّى له الحقّ المتعالي قبل كلّ شيء، على قلبه المقدّس بالألوهية ومقام ظهور الأسماء والصفات. ويكون هذا التجلّي أيضاً مرتّباً ومنظّماً، حيث ينطلق من الأسماء المحاطة مروراً بالأسماء المحيطة حسب شدّة السير وضعفه، وحسب قوّة قلب السالك وضعفه على التفصيل الذي لا يستوعبه هذا الكتاب المختصر، حتى ينتهي إلى رفض كلّ تعينات عالم الوجود سواء كانت تعينات تعود إلى نفسه أو تعينات راجعة إلى غيره والتي تعتبر - أي هذه التعيينات الغيرية - في المنازل والمراحل التالية من التعيّنات العائدة إلى نفسه أيضاً وبعد الرفض المطلق، يتمّ التجلّي بالألوهية، ومقام اللّه الذي هو مقام أحدية جمع ظهور الأسماء، وتظهر «إِعرِفُوا اللّهَ بِاللّهِ» في مرتبتها الأولى النازلة.

ولدى وصول العارف إلى هذا المقام والمنزلة، يفنى في هذا التجلّي، فإذا وسعته العناية الأزلية، لحصل للعارف الفاني في هذا التجلّي، استيناسٌ، ولزالت عنه وحشة الطريق ونَصَب السفر، واستفاق، فلم يقتنع بهذا المقام، ويستمرّ بخطوات ملؤها الشوق والعشق، وفي سفر العشق هذا يكون الحقّ المتعالي مبدأ السفر والباعث على السفر ونهاية السفر، وتتمّ خطواته في أنوار التجلّي، فيسمع هاتفاً يقول له «تَقَدَّمْ» ويستمرّ في التقدّم إلى أن تتجلّى في قلبه بصورة مرتّبة ومنظّمة، الأسماء والصفات في مقام الواحديّة، حتى يبلغ مقام الأحديّة ومَقام الاسم الأعظم الذي هو اسم اللّه،

فيتحقّق في هذا المقام «إِعْرِفُوا اللّهَ بِاللّهِ» في مرتبة عالية. ويوجد أيضاً بعد هذا المقام، مقام آخر لا مجال لذكره فعلاً.

[الأربعون حديثاً]

تجلّيات شؤون الحق على العبد

وأمّا حضور القلب في المعبود فله مراتب أيضاً وعمدتها مراتب ثلاث:

إحداها: حضور القلب في تجلّيات الأفعال. ثانيتُها: حضور القلب في تجلّيات الأسماء والصفات، وثالثتها: حضور القلب في تجلّيات الذات. ولكلّ واحدة من هذه المراتب الثلاث بصورة كلّيّة أربع مراتب:

المرتبة العلميّة، المرتّبة الإيمانية، المرتبة الشهودية، المرتّبة الفنائيّة. والمقصود من حضور القلب في تجلّيات الأفعال العلمية، هو أنّ الشخص العابد السالك يدرك عن يقين وبرها بأنّ مراتب الوجود كافّة، ومشاهد الغيب والشهود بأسرها، قبس من فيوضات تجلّي الذات الأقدس، وأنّ من أدنى مرتبة في عالم الطبيعة إلى مبدأ الملكوت الأعلى والجبروت الأعظم، حاضر عند ساحة قدسه، بحضور واحد، وأنّ الجميع شعاع مظهر مشيئته، كما ورد في الحديث الشريف المنقول عن الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: «خَلَقَ اللّهُ المَشيَّةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الأشْيَاءَ بِالمَشِيَّةِ». فالمشية تكون بنفسها مظهراً للذات، وسائر المجودات مخلوقه بها. ونحن لسنا بصدد الاستدلال على هذا المعنى

الشريف. فإذا علم العابد هذا المعنى عن علم ودليل، فهم بأنه هو وعبادته وعلمه وإرادته وقلبه وحركات قلبه وظاهره وباطنه والجميع حاضرون في ساحة قدسه، بل الكلّ عين الحضور.

وإذا سَجّل مع قلم العقل هذا المعنى الثاني بالدليل، على لوح القلب، واعتقد عبر الترويض العلميّ والعمليّ، بهذه القضية اليقينية الإيمانية، لبلغ حضور القلب مرتبة تجلّي الإيمان. وبعد حصول الكمال لهذا الإيمان والمجاهدة والترويض والتقوى الكاملة للقلب، تشمله الهداية الإلهيّة، ويحصل في قلبه قدرٌ من تجلّيات الأفعال بالعيان والشهود، ثم يتكامل حتى يصبح القلب كلياً مرآة للتجليات، ويحصل للسالك الصعق والفناء. وهذه هي المرتبة الأخيرة للحضور، التي تنتهي إلى فناء الحاضر في تجلّيات الأفعال. وكثير من أهل السلوك يبقون في هذا الصعق إلى الأبد ولا يصحون.

وإذا كان قلب السالك مؤهّلاً لأكثر من ذلك من جرّاء إشعاع الفيض الأقدس في عالم الأزل، يصحو السالك من الصعقة، ويحصل له الأنس ويعود إلى عالمه ويكون مورداً لتجلّيات الأسماء، ويطوي تلك المراتب الأربع، ويصل إلى مرحلة الفناء في الصفات، وبمناسبة عينه الثابتة يفنى في اسم من الأسماء الإلهية. وإنّ كثيراً من أهل السلوك يبقون في هذا الفناء الأسمائي ولا يصحون. ولعلّ الكلمة القائلة «إنَّ أوليائي تَحْتَ قبابي لا يَعْرِفُهُمْ غَيْري»، إشارة إلى هؤلاء الأولياء.

وإذا كان هناك استعداد أكثر من جرّاء تجلّي الفيض الأقدس

في عالم الأزل، يحصل للسالك بعد الصعقة والفناء، الأنس أيضاً ويصحو، ويصير محلّاً للتجلّيات الذاتية ويطوي المراحل الأربع حتى مرتبة الفناء الذاتي، والصعق الكلّي فينتهي السير إلى اللّه ويحصل الفناء التامّ.

قال البعض إنّ الآية الكريمة: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ تشير إلى هذه الطائفة من أولياء اللّه والسالكين إليه وأجرهم لا يكون إلّا على الذات المقدس تبارك وتعالى.

وقد يتفق أن يفيق السالك من فنائه فينهض حسب استعداده، وقدر إحاطة عينه الثابتة، لهداية الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾. وإن كانت عينه الثابتة تابعة للاسم الأعظم، لاختتمت به دائرة النبوّة ـ كما اختتمت بالنبيّ المعظّم الخاتم ﷺ، ولم يوجد شخص آخر من الأوّلين والآخرين ومن الأنبياء والمرسلين، كانت عينه الثابتة، تابعة للاسم الأعظم وكان ظهور ذاته بجميع الشؤون ـ ولهذا حصل له ﷺ ظهور بجميع الشؤون وحصلت الغاية من الظهور في الهداية، وتمّ الكشف الكلّيّ، واختتمت النبوّة بوجوده المقدّس.

وإذا فرضنا أنّ شخصاً من أولياء اللّه تبعاً لذات النبيّ المقدّس وهدايته سبحانه، بلغ نفس المقام المقدّس، لكان كشفه عين النبيّ، إذ لا يجوز التكرار في التشريع. فإذاً انتهت دائرة النبوّة في وجوده المقدس ﷺ ووضع اللبنة الأخيرة في دائرة النبوّة، كما ورد في الحديث.

[الأربعون حديثاً]

عزّ الربوبية وذلّ العبودية

من الآداب القلبية في العبادات والوظائف الباطنية لسالك طريق الآخرة، التوجّه إلى عزّ الربوبية وذلّ العبودية، وهو بالنسبة إلى السالك من منازل السلوك المهمّة بحيث تكوْن قوّة سلوك أيّ إنسان بحسب قوّة هذا التوجُّه والنظر، بل الكمال والنقص في الإنسانية يكونان تابعين لنقصانه وكماله. وكلّما كان النظر إلى الإنّية والأنانية ورؤية النفس وحبّها في الإنسان غالباً، كان بعيدًا عن كمال الإنسانية، ومهجوراً من مقام القرب الربوبي، وإنّ حجاب رؤية النفس وعبادتها لأضخم الحجب وأظلمها، وخرق هذا الحجاب أصعب من خرق جميع الحجب التي يعدّ خرقها مقدمة له. بل إنّ مفتاح مفاتيح الغيب والشهادة وباب أبواب العروج إلى كمال الروحانية هو خرق هذا الحجاب. وما دام الإنسان قاصر النظر إلى نفسه وكماله وجماله الموهوم، فهو محجوب وبعيد عن الجمال المطلق والكمال الصِّرف. والخروج من هذا المنزل هو أول شرط للسلوك إلى اللّه، بل هو الميزان في حقّانية الرياضة وبطلانها. فكلّ سالك يسلك بقدم الأنانية ورؤية النفس ويطوي منازل السلوك في حجاب الإنيّة وحب النفس، تكون رياضته باطلة.

ولا يكون سلوكه إلى اللّه بل إلى النفس (نفسك هي أمّ الأصنام) (مصراع بيت للعارف الرومي المشهور) قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:

١٠٠]. فالهجرة الصورية وصورة الهجرة عبارة عن الهجرة بالبدن الذي هو «المنزل الصوريّ» إلى الكعبة أو إلى مشاهد الأولياء عليهم السلام، والهجرة المعنوية هي الخروج من بيت النفس ومنزل الدنيا إلى اللّه ورسوله، والهجرة إلى الرسول والوليّ هي أيضاً هجرة إلى اللّه. وما دام التعلّق بالنفس والتوجّه إلى الإنيّة موجودين، فلا يكون مسافراً، وما دامت بقايا الأنانية أمام نظر السالك، وجدران مدينة النفس غير مختفية، وأذان إعلان حبّ النفس مسموعاً، فهو في حكم الحاضر لا المسافر ولا المهاجر.

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «العبودية جوهرة كنهها الربوبية، فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية، وما خفي من الربوبية أُصيب في العبودية».

فمن سعى بخطوة العبودية ووسم ناصيته بسمة ذلّها، سيجد سبيل الوصول إلى عزّ الربوبية، وطريق الوصول إلى الحقائق الربوبية هو السير في مدارج العبودية؛ فما فقد من الإنّيّة والأنانية في عبوديّته يجده في ظّل حمى الربوبية، حتى يصل إلى مقام يكون الحقّ تعالى سمعه وبصره ويده ورجله، كما ورد في الحديث الصحيح المشهور عند الفريقين. فإذا أسقط العبد تصرفاته وسلّم مملكة وجوده كلّها إلى الحقّ وخلّى بين البيت وصاحبه وفني في عزّ الربوبية، فحينئذ يكون المتصرّف في الدار صاحبها، فتصير تدبيراته تدبيرات إلهية، فيكون بصره بصراً إلهياً وينظر ببصر الحق، ويكون سمعه سمعاً إلهياً فيسمع بسمع الحق. وبمقدار ما تزداد ربوبية النفس ويكون عزّها

غاية في نظره، ينقص من عزّ الربوبية؛ لأنّ هذين متقابلان «الدنيا والآخرة ضرّتان».

فمن الضروريّ أن يدرك السالك مقام ذلّه، ويضع ذلّ العبودية وعزّ الربوبية نصب عينيه. وكلّما قوي هذا النظر زادت روحانيته في العبادة وكانت روح العبادة أقوى؛ حتى إذا تمكّن العبد بنصرة الحقّ وأوليائه الكُمّل عليهم السلام من الوصول إلى حقيقة العبودية وكنهها، أدرك لمحة من سرّ العبادة. وهذان المقامان - أعني مقام عزّ الربوبية الذي هو الحقيقة، ومقام ذلّ العبودية الذي هو رقيقته - مرموزان في جميع العبادات وبالأخصّ في الصلاة التي لها مقام الجامعية، ومنزلتها بين العبادات منزلة الإنسان الكامل، ومنزلة الاسم الأعظم، بل هي عينه. وللقنوت الذي هو من الأعمال المستحبّة، وللسجدة الواجبة اختصاص بهذه الخصوصية، وسنشير إليها فيما يأتي إن شاء اللّه.

وليُعلم أنّ العبودية المطلقة من أعلى مراتب الكمال وأرفع مقامات الإنسانية، وليس لأحد فيها نصيب بالأصالة سوى الأكمل من خلق اللّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولأولياء اللّه الكمّل بالتبعية. وأمّا بقية العباد فهم في طريق العبادة عُرج وعبادتهم وعبوديّتهم عليلة. ولا يُنال المعراج الحقيقيّ المطلق إلّا بقدم العبوديّة، ولهذا قال اللّه تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فقد أسرى اللّه سبحانه بتلك الذات المقدّسة إلى معراج القرب والوصول بقدم العبودية والجذبة الربوبية.

وفي التشهُّد الصلاتيّ الذي هو رجوع من الفناء المطلق الذي

يحصل للمصلّي في السجدة، نجد التوجّه إلى العبودية أيضاً قبل التوجّه إلى الرسالة. ويمكن أيضا أن يكون إشارة إلى أن مقام الرسالة هو نتيجة لجوهرة العبودية.

[الآداب المعنوية للصلاة]

تربية اللّه للإنسان

اعلم أنّ ربوبية الحقّ جلّ شأنه للعالمين على نحوين:

الأول: الربوبية العامّة التي تتشارك فيها جميع موجودات العالم. وهي التربية التكوينية التي توصل كلّ موجود من حد النقص إلى الكمال اللائق له تحت تصرّف الربوبية. وتقع جميع الترقيات الطبيعية والجوهرية والحركات والتطوّرات الذاتية والعرضية تحت التصرُّفات الربوبية.

وبالجملة، تكون التربية التكوينية من منزل مادة المواد والهيولى الأولى إلى منزل الحيوانية وحصول القوى الجسمانية والروحانية الحيوانية، وكلٌّ منها يشهد بأنّ اللّه جلّ جلاله ربّي.

والثاني: الربوبية التشريعية المختصة بالنوع الإنساني، وليس لسائر الموجودات فيها نصيب، وهذه التربية هي هداية طرق النجاة، وإراءة سبل السعادة والإنسانية، والتحذير من منافياتها التي أظهرها اللّه سبحانه بوساطة الأنبياء عليهم السلام. فإذا دخل إنسان بقدم اختياره تحت تربية ربّ العالمين وتصرّفه وصار مربًّى بتلك التربية بحيث لم

تكن تصرَفات أعضائه وقواه الظاهرية والباطنية تصرفات نفسانية، بل كانت تصرَفات إلهية وربوبية، يصل إلى مرتبة الكمال الإنساني المختصّ بالنوع الإنسانيّ.

ما دام الإنسان في منزل الحيوانية يكون متماشياً مع سائر الحيوانات ومن هذا المنزل يكون أمامه سبيلان لا بدّ أن يسلكهما بقدم الاختيار، أحدُهما طريق السعادة، وهو الصراط المستقيم لربّ العالمين، إنّ ربّي على صراط مستقيم. والثاني: طريق الشقاوة، وهو الطريق المعوجّ للشيطان الرجيم. فإن جعل قواه وأعضاء مملكته في تصرّف ربّ العالمين وصار مربّى بتربيته فيسلّم القلب وهو سلطان هذه المملكة له. وإذا صار القلب مربوباً لربّ العالمين فتنقاد سائر جنوده له وتصير المملكة كلّها مربوبة له، وفي هذا الوقت يتمكّن لسانه الغيبيّ وهو ظل القلب، من أن يجيب ملائكة عالم القبر حين تقول له: من ربك؟ بأنّ: اللّه جلّ جلاله ربّي. وحيث إنّ هذا الشخص قد أطاع رسول اللّه واقتدى بأئمّة الهدى وعمل بكتاب اللّه، فينطق لسانه بقوله: محمد صلّى اللّه عليه وآله نبيّي، وعليّ وأولاده المعصومون أئمّتي والقرآن كتابي. لكن إذا لم يصبح القلب إلهيّاً وربوبيّاً، ولم ينتقش نقش لا إله إلّا اللّه ومحمد رسول اللّه وعليٌّ وليّ اللّه على لوحه، ولم يصبح صورة باطنية للنفس ولم ينتسب إلى القرآن بالعمل به والتفكّر والتذكّر والتدبّر فيه، ولم يرتبط بالقرآن ارتباطاً روحيّاً ومعنويّاً، ففي سكرات الموت وشدائده وفي حال الموت الذي هو الداهية العظمى تنمحي جميع المعارف من خاطره.

[الآداب المعنوية للصلاة]

عبودية الله في الظاهر والباطن

ويشير عليه السلام إلى عمدة الآداب وهي أنه كما أنّك تعبد اللّه في الظاهر وتدّعي العبودية فاعبده في السرّ أيضاً حتى تسري العبودية السريّة القلبية إلى الأعمال الجوارحية أيضاً، ويكون العمل والقول نقشاً على الباطن والسرّ وتسري حقيقة العبودية إلى جميع أجزاء الوجود الظاهريّ منها والباطنيّ، ويحظى كلٌّ من الأعضاء بحظّ من التوحيد ويوصل اللسان الذاكر الذكر إلى القلب، وينقل القلب الموحّد المخلص التوحيدَ والإخلاصَ إلى اللسان، ويطلب العبد الربوبية من حقيقة العبودية، ويخرج من عبادة النفس، ويوصل ألوهيّة الحقّ إلى القلب، وليعلم أنّ ناصية العباد بيد الحقّ تعالى ولا يقدرون على التنفّس والنظر إلّا بقدرة الحقّ تعالى ومشيئته، وهم عاجزون عن التصرف في مملكة الحقّ بجميع أنواع التصرّفات، وإن كان تصرُّفاً تافهاً إلّا بإذن وإرادة ذاته المقدّسة كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. فإذا أوصلْتَ هذه اللطيفة إلى القلب يكون شكرك للحقّ على الحقيقة ويسري الشكر إلى أعضائك وأعمالك، فكما أنّ اللسان والقلب لا بدّ أن يكونا مترافقين في طريق العبودية، ففي هذا التوحيد الفعليّ أيضاً لا بدّ أن يكون صدق اللسان موصولا بصفاء سرّ القلب؛ لأنّ الحقّ جلّ وعلا هو الخالق ولا مؤثّر غيره. وجميع الإرادات والمشيئات ظلّ إرادته ومشيئته الأزليّة السابقة.

[الآداب المعنوية للصلاة]

الشريعة لا تكون إلّا من عند الله

ولقد تبيّن أنّ ذات اللّه المقدّسة منزهة عن كلّ ذلك، فهو الكامل على الإِطلاق والمفيض على الإطلاق، وإنّ إهمال بيان الطرق الموصلة إلى السعادة والشقاء يعدّ خللاً كبيراً في الحكمة، ويبعث على الفساد والاختلال في النظام والحكم. إذاً، أصبح من اللازم بيان طرق السعادة والهداية في النظام الأتم.

وقد حصلت من هذا نتيجتان واضحتان:

الأولى: هي أنّ الشريعة - وهي الوصفة الخاصّة بإصلاح الأمراض النفسيّة - لا توجد إلّا عند ذات الحقّ المقدّس.

والثانية: هي أنّ اللّه تعالى يعلنها - الشريعة - حتماً. ومعلوم أنّ مثل هذا الهدف العظيم، وهذا العلم الكامل الدقيق الذي يعجز عن إدراكه أعقل العقلاء، الذي يربط بين المُلك والملكوت وتأثير الصور الملكية في باطن النفس، لا يقع لأحد إلّا عن طريق الوحي والإِلهام. أي يجب أن يكون تعليمه من جانب الحقّ تعالى. وبديهيٌّ، أنّ جميع أفراد البشر ليسوا خليقين بمثل هذه الهبة، وليست لهم القابلية والقدرة على القيام بمثل هذه المهمّة. ولكن يظهر خلال بضعة قرون من يكون جديراً بالاضطلاع بمثل هذا الواجب وتحقيق مثل هذا الهدف العظيم، فيبعثه الحقّ تعالى ليبيّن للناس الطريق إلى السعادة والطريق إلى الشقاء، ليعلّم الناس كيف يصلحون أنفسهم. وهذه هي النبوّة العامّة.

ولمّا انتهى بنا الحديث إلى هنا، خطر لي أن أشير استطراداً إلى موضوع أراه من البديهيّات.

وهو أننا وبعد أن علمنا ضرورة وجود شريعة إلهية لبني البشر، ولزوم رجوعنا إلى الشرائع السائدة بين الناس، وهي على الأغلب الشرائع الإِلهية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإِسلام، نرى بأن الشريعة الإسلامية هي أكمل من الشرائع الأخرى في أبعادها الثلاثة، التي هي أساس الشرائع ومدار التشريع، أحدها، ما يعود إلى العقائد الحقّة، والمعارف الإِلهية وتوصيف الحقّ وتنزيهه وكيفية ذلك. والعلم بالملائكة وتوصيف الأنبياء عليهم السلام وتنزيههم، ممّا هو أصل الشريعة وأساسها. وثانيها، ما يعود إلى الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة وإصلاح النفس. وثالثها هو جانب الأعمال الفردية والاجتماعية والسياسية والمدنية وغير ذلك - بل إنّ كل ناظر منصف وغير مغرض في هدفه يدرك أنّ الإِسلام أرقى من أن يقارن بدين آخر، وأنّ الحياة البشرية لم تشهد قانوناً ولا شريعة بهذا الإتقان بحيث تكون تامّة وكاملة في جميع مراحل الحياتين الدنيوية والأخروية. وهذا بذاته خير دليل على أحقِّيَّة الإسلام وصدقه.

وعليه، وبعد إثبات النبوّة العامّة، وأنّ اللّه قد شرع لبني البشر شريعة، وبيّن لهم طريق الهداية، ووضعهم ضمن إطار نظم ونظام، لم يعد إثبات أحقية الدين الإسلامي بحاجة إلى مقدّمات أبداً، سوى التمعّن فيه ومقارنته بسائر الأديان والشرائع في جميع المراحل التي يمكن تصوّرها، ابتداء من حاجة الإِنسان إلى الملكات

الحقّة والمعارف النفسانية، وحتى بلوغ الواجبات النوعية الفردية والاجتماعية. وهذا معنى من معاني الحديث الشريف: «الإِسْلامُ يَعْلُو وَلا يُعْلَى عليه» إذ كلّما ازداد العقل البشريّ تقدّماً وتطوّراً في مدركاته وتمعّناً في حجج الإسلام وبراهينه، ازداد خضوعاً لنور هدايته وقوّة أمام الحجج، فلا تظهر حجة ودليل في العالم ضدّ الإسلام إلّا وينتصر عليه.

والمستخلص من أدلّتنا على إثبات نبوّة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه لمَّا كان إتقان خلق الكائنات وحسن تربيتها وتنظيمها دليلاً يهدينا إلى الاعتراف بوجود الخالق والمنظِّم الذي يحيط علمه بكلّ الدقائق واللطائف والجلائل، كذلك يهدينا إتقان أحكام شريعة وحسن نظامها وتربيتها الكامل وكونها تتكفَّل بكلّ الحاجات المعنوية والمادية، الدنيوية والأخروية، الفردية والاجتماعية، إلى أنّ مشرّعها ومنظّمها عالم محيط بجميع حاجات العائلة البشرية. وكما أنّ العقل يهدينا إلى أنّ عقل ذلك الإنسان، الذي كتب تاريخه جميع المؤرخين من مختلف الأمم قائلين إنه كان أمّياً وعاش في محيط خال من الكمالات والمعارف، لا يمكن أن يكون قادراً على وضع مثل هذا الترتيب الكامل والنظام التامّ بنفسه. كذلك ندرك بالضرورة أنّ هذه الشريعة قد شرّعت في الغيب وفيما وراء الطبيعة، ونزلت عن طريق الوحي والإلهام على ذلك الإنسان العظيم. والحمد للّه على وضوح الحجّة.

[الأربعون حديثاً]

الدعوة إلى الدنيا خارج مقصد الأنبياء

إنّ حبّ الشيء يحصل من إدراك نتائجه. فنحن نحبّ الدنيا لأننا أدركنا نتيجتها، وآمنت قلوبنا بها. ولهذا لا نحتاج في اكتساب الدنيا إلى الدعوة والوعظ والاتعاظ.

وإنّ الذين يظنّون أنّ لدعوة النبيّ الخاتم والرسول الهاشميّ ﷺ، جهتين، دنيوية وأخروية، ويحسبون هذا فخراً لصاحب الشريعة وكمالاً لنبوّته، ليس لديهم معرفة بالدين، وهم عن مقصد النبوّة ودعوتها في تمام البعد.

إنّ الدعوة إلى الدنيا خارجة عن مقصد الأنبياء العظام بالكلّيّة، ويكفي في الدعوة إلى الدنيا حسّ الشهوة والغضب والشيطان الباطن والظاهر دون حاجة إلى بعث الرسل. إنّ إدارة الشهوة والغضب لا تحتاج إلى القرآن والنبيّ، وإنما بعث الأنبياء لينهوا الناس عن الدنيا ولتقييد إطلاق الشهوة والغضب وتحديد موارد المنافع. والغافل يظنّ أنهم يدعون إلى الدنيا. إنّ الأنبياء يقولون إنّ المال لا يجوز تحصيله كيفما كان، ونار الشهوة لا يجوز إطفاؤها بأيّ نحو بل لا بدّ من إطفائها من طريق النكاح وتحصيل المال بوساطة التجارة والصناعة والزراعة. مع أنّ في أصل الشهوة والغضب إطلاقاً. فالأنبياء يقفون بوجه إطلاقهما، لا أنهم يدعون إلى الدنيا. فروح الدعوة إلى التجارة هو التقييد والنهي عن التكسّب الباطل، وروح الدعوة إلى النكاح هي تحديد الطبيعة والنهي عن الفجور وعن إطلاق قوّة الشهوة.

أجل، هم عليهم السلام ليسوا مخالفين بشكل مطلق؛ لأنّ هذا مخالف للنظام الأتمّ.

وبالجملة نحن لمّا شعرنا بالاحتياج إلى الدنيا ووجدناها رأسمال الحياة ومنبع اللّذات، توجّهنا إليها وسعينا لتحصيلها. فإذا آمنّا بالحياة الآخرة، وشعرنا أنّا محتاجون إلى عيشها، وأدركنا أنّ العبادات كلّها والصلاة خصوصاً هي رأسمال العيش في ذلك العالم وأصل سعادة تلك النشأة، فسنسعى لا محالة في تحصيلها، ولن نجد في أنفسنا من هذا السعي والاجتهاد أيّ تعب أو مشقّة أو تكلّف. بل نكون في صدد تحصيله مع الاشتياق والشوق الكامل، ونحصّل شرائط حصوله وقبوله بإقبال من أرواحنا وقلوبنا.

إنّ هذه البرودة الموجودة فينا إنما هي من برودة أشعّة الإيمان، وهذا الوهن الذي نجده إنما هو من وهن أساس الإيمان. ولو أحدثت أخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وبراهين الحكماء والعرفاء عليهم الرضوان، في أنفسنا مجرّد الاحتمال، لكان اللازم علينا أن نقوم بالأمر ونجتهد في تحصيله بأحسن ممّا نحن فيه. ولكن مع آلاف التأسّفات، إنّ الشيطان قد تسلّط على باطننا وتصرّف بمجامع قلوبنا ومسامع باطننا، وهو لا يدع كلام الحقّ وأنبيائه وكلمات العلماء ومواعظ الكتاب الإلهيّ تصل إلى سمعنا، فسمعنا الآن إنّما هو السمع الحيوانيّ الدنيويّ ومواعظ الحقّ تعالى لا تتجاوز الحدّ الظاهر، ولا تصل إلى الباطن، وذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومن الوظائف المهمّة للسالك إلى اللّه والمجاهد في سبيل اللّه أن يرفع اليد تماماً أثناء مجاهدته وسلوكه عن الاعتماد على نفسه، ويتوجه بجِبلّته إلى مسبّب الأسباب، ويتعلّق بفطرته بمبدأ المبادئ، ويطلب من ذاته المقدّسة العصمة والحفظ، ويعتمد على تأييد ذاته الأقدس ويتضرّع في خلواته إلى حضرته، ويطلب إصلاح حاله مع كمال الجدّ في الطلب منه تعالى، فإنه لا ملجأ دون ذاته المقدّسة والحمد للّه.

[الآداب المعنوية للصلاة]

حبُّ الدنيا منشأ جميع المفاسد

فليُعلم، أنّ القلب بحسب فطرته إذا تعلّق بشيء وأحبّه يكون ذاك المحبوب قبلة لتوجّهه. وإنْ شغله أمر ومنعه من التفكّر في حال المحبوب وجمال المطلوب، فبمجرّد أن يخفّ الاشتغال ويرتفع ذلك المانع، يطير القلب شطر محبوبه فوراً ويتعلّق بذيله، فأهل المعارف وأرباب الجذبة الإلهيّة إذا كانت قلوبهم قويّة وكانوا متمكّنين في الجذبة والحبّ يشاهدون في كلّ مرآة جمال المحبوب وفي كلّ موجود كمال المطلوب ويقولون: «ما رأيت شيئا إلّا ورأيت اللّه فيه ومعه».

وإذا قال سيّدهم: «إنه لَيُغان على قلبي وإني لأستغفر اللّه في كلّ يوم سبعين مرة» فذلك لأنّ مشاهدة جمال المحبوب في المرآة خصوصاً المرائي الكدرة، كمرآة أبي جهل هي بنفسها موجبة

للكدورة في قلوب الكمّل. وإذا كانت قلوبهم غير قوّية وكان الاشتغال بالكثرات مانعاً من الحضور، فبمجرد أن يقلّ الاشتغال تطير قلوبهم إلى وكر قدسه وتتعلّق بجمال الجميل.

وبالنسبة إلى طلّاب غير الحقّ، الذين هم عند أهل المعرفة طلّاب دنيا، فإنّ كلّ ما يطلبونه يتوجّهون إليه ويتعلّقون به. فهؤلاء إن كانوا مفرطين في حبّ محبوبهم، وكان حبُّ الدنيا آخذاً بمجامع قلوبهم، فلا يُسلبون عن التوجّه إليه في أيّ وقت ويعيشون مع جمال محبوبهم في كلّ حال ومع كلّ شيء.

وأمّا إذا كان حبّهم قليلاً، فإنّ قلوبهم في وقت الفراغ سترجع إلى محبوبها. أولئك الذين يكون في قلوبهم حبّ المال والرياسة والشرف، فإنّهم يشاهدونِ مطلوبهم في المنام أيضاً، ويتفكّرون في محبوبهم في يقظتهم. وما داموا مشغولين بالدنيا فهم في عناق مع محبوبهم. فإذا حان وقت الصلاة وحصل للقلب فراغ، فإنه يتعلّق بمحبوبه فوراً. فكأنما تكبيرة الإحرام هي مفتاح دكّان أو رافعة للحجاب بينه وبين محبوبه، فيتنبّه وقد سلّم في صلاته وما توجّه إليها أصلاً، وقد كان في تمام الصلاة معانقاً همّ الدنيا.

فلهذا نرى صلاتنا على مدى أربعين أو خمسين سنة لم تؤثر في قلوبنا غير الظلمة والكدورة.. وما هو معراج قرب جناب الحقّ ووسيلة الأنس بذلك المقام المقدّس قد صار سبباً لهجرنا ساحة القرب وأبعدنا عن العروج إلى مقام الأنس مسافات طويلة. ولو كان في صلاتنا رائحة من العبودية، لكانت ثمرتها المتربة والتواضع، لا

العُجْب والكِبْر والافتخار، التي يكون كلّ واحد منها سبباً مستقلّاً لهلاك الإنسان وشقاوته.

وبالجملة، فإنّ قلوبنا لمّا كانت مختلطة بحبّ الدنيا، وليس لها مقصد ولا مقصود غير تعميرها، فلا محالة أن يكون هذا الحبّ مانعاً من فراغ القلب وحضوره في ذلك المحضر القدسيّ، وعلاج هذا المرض المهلك والفساد المبيد هو العلم والعمل النافعان.

أمّا العلم النافع لهذا المرض فهو التفكّر في ثمراته ونتائجه والمقارنة بينها وبين مضارِّه ومهالكه الحاصلة منه. ففي الكافي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «رأس كلّ خطيئة حبُّ الدنيا». والروايات بهذا المضمون كثيرة مع اختلاف في التعبير.

ويكفي للإنسان اليقظان هذا الحديث الشريف. ويكفي لهذه الخطيئة العظيمة المهلكة أنها منبع جميع الخطايا وأساس جميع المفاسد. فبقليل من التأمّل يُعلم أنّ جميع المفاسد الخُلقية والعملية تقريباً من ثمرات هذه الشجرة الخبيثة. فما أُسّس في العالم دين كاذب ولا مذهب باطل، وما حدث في هذه الدنيا من فساد إلّا بوساطة هذه الموبقة العظيمة. وإنّ القتل والنهب والظلم والتعدّي هي نتائج هذه الخطيئة. وإنّ الفجور والفحشاء والسرقة وسائر الفجائع وليدة هذه الجرثومة المفسدة. والإنسان الذي وقر فيه هذا الحبّ مجانب لجميع الفضائل المعنوية، وإنّ الشجاعة والعفّة والسخاء والعدالة التي هي مبدأ جميع الفضائل النفسانية لا تجتمع مع حبّ الدنيا. وإنّ المعارف الإلهيّة والتوحيد في الأسماء والصفات والأفعال والذات

وطلب الحقّ ورؤية الحقّ متضادّة مع حبّ الدنيا؛ وإنّ طمأنينة النفس وسكون الخاطر واستراحة القلب التي هي روح السعادة في العالمين لا تجتمع مع حبّ الدنيا؛ وإنّ غنى القلب والكرامة وعزّة النفس والحرية كلّها من لوازم عدم الاعتناء بالدنيا؛ كما أنّ الفقر والذلّة والطمع والحرص والاستعباد والتملّق من لوازم حبّ الدنيا. وأنّ العطف والرحمة والتواصل والمودّة والمحبّة متعارضة مع حبّ الدنيا؛ وأنّ البغض والحقد والجور وقطع الرحم والنفاق وسائر الأخلاق الفاسدة وليدة أمّ الأمراض هذه.

وفي مصباح الشريعة، قال الصادق عليه السلام: «الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكِبْرُ، وعينها الحرص، وأذنها الطمع، ولسانها الرياء، ويدها الشهوة، ورجلها العُجْب، وقلبها الغفلة، وكونها الفناء، وحاصلها الزوال. فمن أحبّها أورثته الكِبْر، ومن استحسنها أورثته الحرص، ومن طلبها أوردته إلى الطمع، ومن مدحها ألبسته الرياء، ومن أرادها مكّنته من العُجْب، ومن اطمأنّ إليها أولته الغفلة، ومن أعجبته متاعها أفنته، ومن جمعها وبخل بها ردّته إلى مستقرّها وهو النار».

وروى الديلميّ في إرشاد القلوب عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، في ليلة المعراج ممّا خاطب اللّه به نبيّه «يا أحمد لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض، وصام صيام أهل السماء والأرض، وطوى من الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العابدين؛ ثمّ أرى في قلبه من حبّ الدنيا ذرّة أو سمعتها أو رياستها أو حليتها أو زينتها لا يجاورني في داري، ولأنزعنّ من قلبه محبّتي ولأظلمنّ

قلبه حتى ينساني ولا أذيقه حلاوة محبّتي». والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تسعها هذه الأوراق.

فإذا عُلم أنّ حبّ الدنيا هو مبدأ ومنشأ جميع المفاسد، فعلى الإنسان العاقل المعتني بسعادته أن يقتلع هذه الشجرة من جذورها من القلب.

وأمّا طريق العلاج العمليّ فهو التعامل بالضدّ. فإذا كان متعلّقاً بالمال والمنال، فليقطع جذورها من القلب ببسط اليد والصدقات الواجبة والمستحبّة. وإنّ من أسرار الصدقات تقليل التعلّق بالدنيا، ولهذا يستحبّ للإنسان أن يتصدّق بالشيء الذي يحبّه ويتعلّق قلبه به، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وإن كان متعلّقاً بالتفاخر والتفوّق على غيره والرئاسة والاستطالة، فليعمل ضدّها ويرغم أنف النفس بالتراب حتّى تصير إلى الصلاح.

وليعلم الإنسان أنّ مثل الدنيا كلّما اتبعها وكان في صدد تحصيلها أكثر كان تعلّقه بها أشدّ، ويكون أسفه على فقدانها أزيد. فكأنّ الإنسان طالب لشيء لا يناله. فهو يظن أنه طالب للحدّ الفلاني من الدنيا، فما دام فاقداً لذلك الحدّ، يطلبه ويتحمّل في سبيل تحصيله المشقّات ويلقي بنفسه إلى المهالك، وبمجرد أن ينال ذلك الحدّ من الدنيا يغدو في نظره أمرا عاديّاً. ويرتبط عشقه وتعلّقه بشيء آخر فوق ذلك الحدّ، فيتعب نفسه لأجله ولا تنطفئ نار عشقه أبداً، بل تزداد اتّقاداً يوماً بعد يوم ويشتدّ تعبه ومشقّته أكثر. وليس لهذه الفطرة والجِبلّة

توقف أبداً. وأهل المعرفة قد أثبتوا بهذه الفطرة الكثير من المعارف؛ مما يكون بيانها خارج مجال هذه الأوراق، وقد أشير إلى بعض هذه المطالب في الأحاديث الشريفة، كما في الكافي الشريف عن باقر العلوم عليه السلام:

«مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً». ورُوي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «مثل الدنيا كماء البحر كلّما شرب العطشان منه ازداد عطشاً حتى يقتله».

فأنت يا طالب الحقّ والسالك إلى اللّه، إذا طوّعت طائر الخيال وقيّدت شيطان الواهمة، وخلعت نعليْ حبّ النساء والأولاد وسائر الشؤون الدنيوية، واستأنست بجذوة نار العشق لفطرة اللّه، وقلت إنّي آنست ناراً، ورأيت نفسك خالياً من موانع السير، وهيّأت أسباب السفر، فقم من مكانك واهجر هذا البيت المظلم للطبيعة والمعبر الضيِّق المظلم للدنيا، واقطع سلاسل الزمان وقيوده، وانج بنفسك من هذا السجن، وحلّق بطائر القدس إلى محفل الأنس.

فقوّ عزمك وأحكم إرادتك؛ فإنّ أوّل شرط للسلوك هو العزم؛ وبدونه لا يمكن أن يُسلك أي طريق أو يُنال أي كمال. والشيخ الأجلّ الشاه آبادي (روحي فداه) كان يعبّر عنه بلبّ الإنسانية. بل يمكن أن يقال إنّ من إحدى الجهات المهمّة للتقوى والتجنّب عن المشتهيات النفسانية وترك أهوائها، والرياضات الشرعية والعبادات والمناسك الإلهيّة تقوية العزم وانقهار القوى الملكية تحت ملكوت

النفس، كما ذُكر من قبل. ونحن نختم هذه المقالة بالتحميد والتسبيح للذات المقدّسة الكبريائية جلّ وعلا وبالثناء على السيّد المصطفى والنبيّ المجتبى وآله الأطهار عليهم سلام اللّه، ونستمدّ لهذا السفر الروحانيّ والمعراج الإيمانيّ من تلك الذوات المقدّسة.

[الآداب المعنوية للصلاة]

التقوى سبيل سلوك مدارج الكمال

اعلم أنّ التقوى من «الوقاية» بمعنى المحافظة. وهي في العرف وفي مصطلح الأخبار والأحاديث تعني: «وقاية النفس من عصيان أوامر اللّه ونواهيه وما يمنع رضاه» وكثيراً ما عرفت بأنها «حفظ النفس حفظاً تامّاً عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات» فقد قيل: «وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهاتِ وَقَعَ فِي المُحَرَّماتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ» «فَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الحِمى أوشَكَ أَنْ يَقَعَ فيهِ» .

لا بُدَّ أن نعرف أنّ التقوى، وإن لم تكن من مدارج الكمال والمقامات، ولكنّه لا يمكن بدونها بلوغ أي مقام؛ وذلك لأنّ النفس ما دامت ملوّثة بالمحرّمات، لا تكون داخلة في الإنسانية، ولا سالكة طريقها، وما دامت تميل إلى المشتهيات واللذائذ النفسية وتستطيب حلاوتها، لن تصل إلى أول مقامات الكمال الإنسانيّ، وما دام حبّ الدنيا والتعلّق بها في القلب، فلا يمكن أن يصل إلى مقام المتوسّطين والزاهدين، وما دام حبّ الذات باقياً في دخيلة ذاته، لن ينال مقام المخلصين والمحبين، وما دامت الكثرة المُلكيّة والملكوتية ظاهرة

في قلبه، لن ينال مقام المنجذبين، وما دامت كثرة الأسماء متجلّية في باطنه، لن يصل إلى الفناء الكلّيّ، وما دام القلب يلتفت إلى المقامات، لن يبلغ مقام كمال الفناء، وما دام هناك تلوين، لن يصل إلى مقام التمكين، ولن تتجلى في سرّه الذاتُ في مقام الاسم الذاتيّ تجلّياً أزليّاً وأبديّاً. فتقوى العامّة إذاً تكون من المحرّمات، وتقوى الخاصّة تكون من المشتهيات، وتقوى الزاهدين من حبّ الدنيا، والمخلصين من حبّ الذات، والمنجذبين من كثرة ظهور الأفعال، والفانين من كثرة الأسماء، والواصلين من التوجّه إلى الفناء، والمتمكّنين من التلوينات ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾.

اعلم أيها العزيز، أنه مثلما يكون لهذا الجسد صحة ومرض، وعلاج ومعالج، فإنّ للنفس الإنسانية أيضاً صحة ومرضاً، وسقماً وسلامة، وعلاجاً ومعالجاً. إنّ صحّة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانية، ومرضها وسقمها هو الاعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانية، وإن الأمراض النفسية أشدّ فتكاً آلاف المرات من الأمراض الجسمية؛ وذلك لأنّ هذه الأمراض إنّما تصل إلى غايتها بحلول الموت. فما إن يحلّ الموت، وتفارق الروح البدن، حتى تزول جميع الأمراض الجسمية والاختلافات المادية، ولا يبقى أثر للآلام أو الأسقام في الجسد. ولكنّه إذا كان ذا أمراض روحية وأسقام نفسية - لا سمح اللّه - فإنه ما إن تفارق الروح البدن، وتتوجه إلى ملكوتها الخاصّ، حتى تظهر آلامها وأسقامها.

إنّ مَثَل التوجُّه إلى الدنيا والتعلّق بها، كمثل المخدر الذي يسلب

الإنسان شعوره بنفسه. فعندما يزول ارتباط الروح بدنيا البدن، يرجع إليها الشعور بذاتها، ومن ثَمّ الإحساس بالآلام والأسقام التي كانت في باطنها، فتظهر مهاجمة لها بعد أن كانت مختفية كالنار تحت الرماد. وتلك الآلام والأسقام إمّا أن تكون ملازمة لها (للروح) ولا تزول عنها أبداً، وإمّا أن تكون قابلة للزوال. وفي هذه الحال يقتضيها أن تبقى آلاف السنين تحت الضغط والعناء والنار والاحتراق قبل أن تزول، إذ إنّ آخر الدواء الكيّ. قال رسول اللّه تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾.

إنّ الأنبياء هم بمنزلة الأطبّاء المشفقين، الذين جاءوا بكلّ لطف ومحبّة لمعالجة المرضى، بأنواع العلاج المناسب لحالهم، وقاموا بهدايتهم إلى طريق الرشاد. «إننا أطبّاء وتلاميذ الحقّ» وإنّ الأعمال الروحية القلبية والظاهرية والبدنية هي بمثابة الدواء للمرض كما أنّ التقوى، في كلّ مرتبة من مراتبها، بمثابة الوقاية من الأمور المضرّة للأمراض. ومن دون الحِمية لا يمكن أن ينفع العلاج، ولا أن يتبدّل المرض إلى صحّة.

قد يغلب الدواء والطبيعة على المرض في الأمراض الجسميَّة حتى مع عدم الحِمْية جزئيّاً. وذلك لأنّ الطبيعة هي نفسها حافظة للصحّة ودواء لها. ولكنّ الأمر في الأمراض النفسيّة صعب، وذلك لأنّ الطبيعة قد تغلّبت على النفس منذ البداية، فتوجّهت هذه نحو الفساد والانتكاس ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، وعليه، فإن من

يتهاون في الحمية، تصرعه الأمراض، وتجد مناطق للنفوذ إليه، حتى تقضي على صحّته قضاء مبرماً.

إذاً، فالإنسان الراغب في صحّة النفس، والمترفّق بحاله، يتنبَّه إلى أنّ وسيلة الخلاص من العذاب تنحصر في أمرين: الأوّل: الإتيان بما يصلح النفس ويجعلها سليمة. والآخر، هو الامتناع عن كلّ ما يضرّها ويؤلمها.

ومن المعلوم أنّ ضرر المحرّمات أكثر تأثيراً في النفس من أيّ شيءٍ آخر، ولهذا كانت محرّمة، كما أنّ الواجبات لها أكبر الأثر في مصلحة الأمور، ولهذا كانت واجبة وأفضل من أيّ شيء، ومقدّمة على كلّ هدف، وممهّدة للتطوُّر إلى ما هو أحسن.

إنّ الطريق الوحيد إلى المقامات والمدارج الإنسانية يمرّ عبر هاتين المرحلتين، بحيث إنّ من يواظب عليهما يكون من الناجين السعداء، وأهمُّهما هي التقوى من المحرّمات، وأنّ أهل السلوك يحسبون هذه المرحلة مقدّمة على المرحلة الأولى، إذ يتضح من الرجوع إلى الأخبار والروايات وخطب «نهج البلاغة» أنّ المعصومين عليهم السلام كانوا يعتنون كثيراً بهذه المرحلة.

إذاً، أيها العزيز! بعد أن عرفت بأن المرحلة مهمّة جداً، ثابر عليها بدقّة، فإذا أنت خطوت الخطوة الأولى وكانت صحيحة، وبنيت هذا الأساس قويّاً، كان هناك أمل بوصولك إلى مقامات أخرى، وإلّا امتنع الوصول، وصعبت النجاة.

كان شيخنا العارف الجليل يقول: إنّ المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة، من الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾. إلى آخر السورة المباركة، مع تدبر معانيها، في تعقيبات الصلوات، وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثرة جدّاً في إصلاح النفس، وفي الوقاية من شرّ النفس والشيطان. وكان يوصي بدوام حال الوضوء، قائلاً: إن الوضوء مثل «بزّة جندي». وعلى كل حال، عليك أن تطلب من القادر ذي الجلال، من اللّه المتعال جلّ جلاله، مع التضرّع والبكاء والالتماس كي يوفقك في هذه المرحلة ويعينك في الحصول على خصلة التقوى.

واعلم، أنّ بدايات الأمر صعبة وشاقّة، ولكن بعد فترة من الاستمرار والمثابرة تتحوّل المشقّة إلى راحة، والعسر إلى يُسر، بل تتبدّل إلى لذة روحية، خصوصاً، وأنّ أصحاب هذه اللذة لا يستبدلونها بجميع اللذائذ. ويمكن، إن شاء اللّه، وبعد المواظبة الشديدة والتقوى التامّة، أن تنتقل من هذا المقام إلى مقام تقوى الخاصّة. وهي التقوى التي تتلذّذ الروح بها. إذ إنّك بعد أن تذوق طعم اللذة الروحية تترك شيئاً فشيئاً اللذائذ الجسدية وتتجنّبها. وعندئذٍ يسهل عليك المسير حتى لا تعود تقيم وزناً للذات الجسدية الزائلة، بل تنفر منها، وتقبّح زخارف الدنيا في عينيك، وتنظر في باطنك فتجد أنّ كلّ لذّة من لذّات هذا العالم قد أوجدت في النفس أثراً وأبقت في القلوب لطخة سوداء تبعث على شدّة الأنس بهذه الدنيا والتعلّق بها. وهذه هي نفسها

تكون سبب الإخلاد إلى الأرض. وعند سكرات الموت تتبدّل إلى صعوبة ومشقّة ومعاناة. والواقع أنّ صعوبة سكرات الموت وحالة النزع الأخير القاسية ناجمة عن هذه اللذّات وحبّ الدنيا، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فإذا أدرك الإنسان هذا المعنى سقطت لذّات العالم من عينه كلّيّاً، ونفر من الدنيا وما فيها من مباهج وزخارف. وهذا هو التقدّم الثاني إلى المقام الثالث من التقوى.

وبذلك يصبح سبيل السلوك إلى اللّه سهلاً ميسوراً، وطريق الإنسانية نيّراً واسعاً، وتصبح خطوته شيئاً فشيئاً خطوة الحقّ، ورياضته رياضة الحق، ويتهرّب من النفس وآثارها وأطوارها. إذ يجد في ذاته عشقاً للحقّ، فلا يعود يقنع بوعود الجنة والحور العين والقصور، بل يكون مطلوبه ومقصوده أمراً آخر، وينفر من الأنانية وحبّ الذات. فيتّقي حب النفس ويتّقي ذاته وأنانيته. وهذا مقام على قدر كبير من الشموخ والرفعة، وهو أوّل مراتب هبوب نسيم الولاية، فيدرجه الحق المتعال في كنف لطفه ويعينه ويجعله موضع ألطافه الخاصة.

أمّا ما يحدث للسالك بعد ذلك فخارج عن قدرة القلم. والحمد للّه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

[الأربعون حديثاً]

الالتزام بظاهر الشريعة دوماً

والعزم الذي يتناسب وهذا المقام، هو أن يوطن الإنسان نفسه على ترك المعاصي وأداء الواجبات، ويتخذ قراراً بذلك، ويتدارك ما فاته في أيام حياته، وبالتالي يسعى لأنْ يجعل من ظاهره إنساناً عاقلاً وشرعيّاً، بحيث يحكم الشرع والعقل حسب الظاهر بأن هذا الشخص إنسان. والإنسان الشرعيّ هو الذي ينظّم سلوكه وفق ما يتطلّبه الشرع، يكون ظاهره كظاهر الرسول الأكرم ﷺ، يقتدي بالنبيّ العظيم ﷺ ويتأسّى به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع ما يفعل وما يترك. وهذا أمر ممكن، لأنّ جعل الظاهر مثل هذا القائد أمر مقدور لأيّ فرد من عباد اللّه.

واعلم... أنّ طيّ أيّ طريق في المعارف الإلهية، لا يمكن إلّا بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدّب الإنسان بآداب الشريعة الحقّة، لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلّى في قلبه نور المعرفة وتتكشّف له العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه لا بدّ من الاستمرار في التأدّب بالآداب الشرعية الظاهرية أيضاً.

ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول: (إنّ الوصول إلى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر)، أو (لا حاجة إلى الآداب الظاهرية بعد الوصول إلى العلم الباطن). فهذه الدعوى ترجع إلى جهل من يقول بها، وجهله بمقامات العبادة ودرجات الإنسانية.

[الأربعون حديثاً]

اتباع الهوى يحجب تجلّي أنوار الحقّ في الإنسان

اعلم أنّ النفس الإنسانية، على الرغم من كونها - في معنى من المعاني الخارجة عن نطاق بحثنا - مفطورة على التوحيد، بل هي مفطورة على جميع العقائد الحقّة. ولكنّها منذ ولادتها وخروجها إلى هذا العالم تنمو معها الميول النفسية والشهوات الحيوانية، إلّا من أيّده اللّه وكان له حافظ قدسيّ. ولمّا كان هذا الاستثناء من النوادر فإنه لا يدخل في حسابنا، لأنّنا نتناول نوع الإنسان عموماً.

لقد ثبت في محلّه بالبراهين أنّ الإنسان منذ أول ظهوره، وبعد مروره بمراحل عدّة، لا يعدو أن يكون حيواناً ضعيفاً لا يمتاز من سائر الحيوانات إلّا بقابلياته الإنسانية. وأنّ تلك القابليات ليست بمقياس إنسانيته الفعلية.

فالإنسان حيوان بالفعل عند دخوله هذا العالم، ولا معيار له سوى شريعة الحيوانات التي تديرها الشهوة والغضب. ولكن لمّا كان أعجوبة الدهر هذا - الإنسان - ذاتاً جامعة، أو قابلة على الجمع، فإنه لكي يدبّر هاتين القوّتين، تجده يلتجئ إلى استعمال الصفات الشيطانية، مثل الكذب والخديعة والنفاق والنميمة، وسائر الصفات الشيطانية الأخرى. وهو بهذه القوى الثلاث - الشهوة، الغضب، هوى النفس - التي هي أصل كلّ المفاسد المهلكة، يخطو نحو التقدّم، فتنمو فيه كذلك هذه القوى وتتقدّم وتتعاظم. وإذا لم تقع تحت تأثير مربّ أو معلّم، فإنه يصبح عند الرشد والبلوغ حيواناً عجيباً يفوز بقصب السبق في تلك الأمور المذكورة على

سائر الحيوانات والشياطين، ويكون أقوى وأكمل في مقام الحيوانية والصفات الشيطانية من الجميع. وإذا ما استمرّت حاله على هذا المنوال، ولم يتّبع في هذه الشئون الثلاثة سوى أهوائه النفسية، فلن يبرز فيه شيء من المعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، بل تنطفئ فيه جميع الأنوار الفطرية.

فتقع جميع مراتب الحقّ التي لا تعدو هذه المقامات الثلاثة التي ذكرناها، أي المعارف الإلهية، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة ، تحت أقدام الأهواء النفسيّة. وعندئذ يصبح اتباع الأهواء النفسيّة والرغبات الحيوانية حائلاً دون أن يتجلّى فيه الحقّ من خلال أية واحدة من تلك المراتب، ويطفئ ظلام النفس وأهواؤها كلّ أنوار العقل والإيمان، ولن تتاح له ولادة ثانية، أي الولادة الإنسانية، بل يمكث على تلك الحال ويكون ممنوعاً ومصدوداً عن الحقّ والحقيقة إلى أن يرحل عن هذا العالم. إنّ مثل هذا الشخص إذا رحل عن هذا العالم بتلك الحالة، فلن يرى نفسه في ذلك العالم، عالم كشف السرائر، إلّا حيواناً أو شيطاناً. لا تُشمّ منه رائحة الإنسان والإنسانية أبداً، فيبقى في تلك الحال من الظلام والعذاب والخوف الذي لا ينتهي حتى يقضي اللّه أمراً كان مفعولاً. إذاً، هذه هي حال التبعية الكاملة لأهواء النفس والتي تُبعد الإنسان نهائيّاً عن الحقّ.

ومن هنا يمكن أن نعرف أنّ ميزان البعد عن الحقّ هو اتّباع هوى النفس. ومسافة هذا البعد تُقدَّر أيضاً بمقدار التبعية. فمثلاً، لو أن هذا الإنسان، استطاع أن يجعل مملكة إنسانية هذا الإنسان الذي اقترن

منذ ولادته بالقوى الثلاث وترعرعت وتكاملت تلك القوى أيضاً مع نمو الإنسان وتكامله، لو استطاع أن يجعل هذه المملكة متأثّرة بتربية تعاليم الأنبياء والعلماء والمرشدين لاستسلم شيئاً فشيئاً لسلطة تربية الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فقد لا يمضي عليه وقت طويل حتى تصبح القوّة الكاملة الإنسانية، التي أودعت فيه على أساس القابلية، فعلية تظهر للعيان، وترجع جميع شؤون مملكته وقواها إلى شأن الإنسانية بحيث يجعل شيطان نفسه يؤمن على يديه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ شَيْطَانِي آمَنَ بِيَدي» فتستسلم حيوانيّته لإنسانيّته، حتى تصبح مطيّة مروّضة على طريق عالم الكمال والرقي، وبُراقاً يرتاد السماء نحو الآخرة، ويمتنع عن كلّ معاندة وتمرّد. وبعد أن تستسلم الشهوة والغضب لمقام العدل والشرع تنتشر العدالة في المملكة، وتتشكّل حكومة عادلة حقّة يكون فيها العمل والسيادة للحقّ وللقوانين الحقّة، بحيث لا تتَّخذ فيها خطوة واحدة ضدّ الحقّ، وتكون خالية من كلّ باطل وجور. وعليه، فكما أنّ ميزان منع الحقّ والصدّ عنها اتباع الهوى، فكذلك ميزان اجتذاب الحقّ وسيادته هو متابعة الشرع والعقل. وبين هذين المقياسين وهما التبعية التامّة لهوى النفس والتبعيّة التامّة المطلقة للعقل، منازل غير متناهية، بحيث إنّ كلّ خطوة يخطوها في اتّباع هوى النفس، يكون بالمقدار نفسه قد منع الحقّ، وحجب الحقيقة، وابتعد عن أنوار الكمال الإنساني وأسرار وجوده. وبعكس ذلك، كلّما خطا خطوة مخالفة لهوى النفس ورغبتها، يكون بالمقدار نفسه قد أزاح الحجاب وتجلّى نور الحقّ في المملكة.

[الأربعون حديثاً]

خدمة الحقّ في صورة خدمة الخلق

ولا يعني ما ذكرت أن تترك خدمة المجتمع وتعتزل وتكون كَلّاً على خلق اللّه، فإنّ هذه صفات الجاهلين المتنسِّكين أو الدراويش أصحاب الدكاكين. سيرة الأنبياء العظام (صلّى اللّه على نبيِّنا وعليهم أجمعين) والأئمة الأطهار عليهم السلام الذين هم صفوة العارفين باللّه والمتحرّرين من كلّ قيد وغلّ والمتمسكين بالساحة الإلهية، هي القيام بكلّ قوّة ضدّ الحكومات الطاغوتية فراعنة الزمان.. وقد تجرّعوا كؤوس الآلام من أجل إجراء العدالة في العالم وبذلوا الجهود.. التى تلقّننا الدروس.. وإذا كانت لنا عين بصيرة وأذن سميعة فسنجد فيها ما يفتح أمامنا الطريق.. «من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم».

بني، لا الاعتزال الصوفيّ دليل الارتباط بالحقّ، ولا الانخراط في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الانفصال عن الحقّ، الميزان في الأعمال هو دوافعها، فقد يكون العابد والزاهد مبتلىً بشَرَك إبليس، وهو يوسّع ذلك الشَّرك بما يناسبه من الأنانية والغرور والعُجْب والتكبّر وتحقير خلق اللّه والشِّرك الخفيّ وأمثال ذلك مما يبعده عن الحقّ ويؤدّي به إلى الشِّرك.. وقد يكون المتصدّي لشؤون الحكومة ذا دافع إلهيّ فيحظى بمعدن قرب الحقّ كداود النبيّ وسليمان النبيّ (عليهما السلام) وأعلى منهما وأسمى كالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته بالحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكحضرة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أرواحنا لمقدمه الفداء في عصر حكومته العالمية.

إذاً، ميزان العرفان والحرمان هو الدافع. كلّما كانت الدوافع أقرب

إلى نور الفطرة وأكثر تحرّراً من الحجب، حتى حجب النور، تكون أكثر ارتباطاً بمبدأ النور إلى حيث يصبح الكلام عن الارتباط كفراً.

بنـيّ، لا تُلقِ عن كاهلك حمل المسـؤولية الإنسانية التي هي خدمة الحقّ في صورة خدمة الخلق.. فإنّ جولات الشيطان وصولاته في هذا الميدان ليست بأقلّ من جولاته وصولاته بين المسؤولين والمتصدّين للأمور العامّة. ولا تتعب نفسك للحصول على مقام مهما كان - سواء المقام المعنويّ أم الماديّ - متذرّعاً بأني أريد أن أقترب من المعارف الإلهية أكثر.. أو أني أريد أن أخدم عباد اللّه. فإن التوجّه إلى ذلك من الشيطان.. فضلاً عن بذل الجهد للحصول عليه.

الموعظة الإلهية الفريدة، اسمعها بالقلب والروح، واقبلها بكلّ قوّتك وسر في خطِّها. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ..﴾ الميزان في أوّل السير هو القيام للّه، سواء في الأعمال الشخصية والفردية أم في النشاطات الاجتماعية.

[وصايا عرفانية]

التفكّر في مقاصد آيات القرآن

من آداب قراءة القرآن حضور القلب، وقد ذكرناه في الآداب المطلقة للعبادات في هذه الرسالة ولا يلزم إعادته، ومن آدابه المهمّة: التفكّر، والمقصود من التفكّر أن يبحث في الآيات الشريفة عن المقصد والمقصود، وحيث إنّ مقصد القرآن كما تبيّن نفس الصحيفة النورانية هو الهداية إلى سبل السلام والإخراج من جميع

مراتب الظلمات إلى عالم النور، والهداية إلى الطريق المستقيم فلا بد أن يحصّل الإنسان بالتفكّر في الآيات الشريفة مراتب السلامة من المرتبة الدانية الراجعة إلى القوى الملكية إلى منتهى النهاية فيها، وهي حقيقة القلب السليم، على ما ورد تفسيره عن أهل البيت، وهو أن يلاقي الحقّ وليس فيه غيره؛ وتكون سلامة القوى الملكية والملكوتية ضالّة قارئ القرآن، فإنّها موجودة في هذا الكتاب السماويّ، ولا بد أن يستخرجها بالتفكّر، وإذا صارت القوى الإنسانية سالمة من التصرّف الشيطانيّ وسلك طرق السلامة وعمل بها ففي كلّ مرتبة من السلامة تحصل ينجو من ظلمة ويتجلّى فيه النور الإلهيّ الساطع قهراً، حتى إذا خلص من جميع أنواع الظلمات التي أوّلها ظلمات عالم الطبيعة بجميع شؤونها، وآخرها ظلمة التوجّه إلى الكثرة بتمام شؤونها، يتجلّى النور المطلق في قلبه ويهديه إلى طريق الإنسانية المستقيم، وهو في هذا المقام طريق الربّ (إنّ ربي على صراط مستقيم).

وقد كثرت الدعوة إلى التفكّر وتمجيده وتحسينه في القرآن الشريف، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وفي هذه الآية مدح عظيم للتفكّر، لأنّها جعلت غاية إنزال الكتاب السماويّ العظيم والصحيفة النورانية المجيدة احتمال التفكّر، وهذا من شدّة الاعتناء به حيث إنّ مجرّد احتماله صار موجباً لهذه الكرامة العظيمة، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[الآداب المعنوية للصلاة]

آداب قراءة القرآن

أحد الآداب المهمّة لقراءة الكتاب الإلهيّ الذي يشترك فيه العارف والعامّيّ، وتحصل منه النتائج الحسنة، ويوجب نورانية القلب وحياة الباطن:

التعظيم؛ وهو موقوف على فهم عظمته وجلاله وكبريائه، وهذا المعنى وإن كان بحسب الحقيقة خارجاً عن نطاق البيان وفوق طاقة البشر، لأنّ فهم عظمة كلّ شيء بفهم حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهيّ الشريف قبل تنزُّله إلى المنازل الخلقية وتلبُّسه بالأطوار الفعلية هي من الشؤون الذاتية والحقائق العلميّة للحضرة الواحدية، وهو حقيقة الكلام النفسيّ الذي هو مقارعة ذاتية في الحضرة الأسمائية، وهذه الحقيقة لا تحصل لأحد لا بالعلوم الرسمية ولا بالمعارف القلبية ولا بالمكاشفة الغيبية، إلّا بالمكاشفة الإلهية التامّة لذات النبيّ الخاتم المباركة صلى الله عليه وآله وسلم، في محفل أنس قاب قوسين بل في خلوة سرّ مقام أو أدنى، وأيدي آمال العائلة البشرية قاصرة عنها إلّا الخلّص من أولياء اللّه الذين اشتركوا في روحانية تلك الذات المقدّسة بحسب الأنوار المعنوية والحقائق الإلهيّة وفنوا بوساطة التبعية التامّة فيه، فإنهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة منه صلى الله عليه وآله وسلم، وتنعكس حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس النورانية والكمال التي تجلّت لقلبه المبارك من دون التنزّل إلى المنازل والتطوّر بالأطوار. وهذا القرآن لا تحريف فيه ولا تغيير، ومن كتاب الوحي الإلهيّ. والذي يقدر على تحمّل هذا القرآن هو النفس الشريفة لوليّ اللّه المطلق عليّ

بن أبي طالب عليه السلام، وأمّا سائر الخلق فلا قدرة لهم على أخذ هذه الحقيقة إلّا مع تنزّلها من مقام الغيب إلى موطن الشهادة والتطوّر بالأطوار الملكية والاكتساء بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويَّة. وكما علمت أنّ فهم عظمة القرآن خارج عن طاقة الإدراك ولكن الإشارة الإجمالية إلى عظمة هذا الكتاب المتنزّل الموجود في متناول جميع البشر موجبة لفوائد كثيرة.

اعلم أيها العزيز، أنّ عظمة كلّ كلام وكتاب إمّا بعظمة متكلّمه وكاتبه وإمّا بعظمة مطالبه ومقاصده، وإمّا بعظمة نتائجه وثمراته، وإمّا بعظمة الرسول والوساطة فيه، وإمّا بعظمة المرسل إليه وحامله، وإمّا بعظمة حافظه وحارسه، وإمّا بعظمة شارحه ومبيّنه، وإمّا بعظمة وقت إرساله وكيفيّته. وبعض هذه الأمور دخيل في العظمة ذاتاً وجوهراً، وبعضها عرضاً وبالوساطة وبعضها كاشف عن العظمة. وجميع هذه الأمور التي ذكرناها موجودة في هذه الصحيفة النورانية بالوجه الأعلى والأوفى بل هي من مختصّاتها بحيث إنّ غيره من الكتب إمّا ألاّ يشترك معه في شيء منها أصلاً، أو لا يشترك معه في جميع المراتب.

أمّا عظمة متكلّمه ومنشئه وصاحبه فهي للعظيم المطلق الذي كانت جميع أنواع العظمة المتصوّرة في الملك والملكوت وجميع أنواع القدرة النازلة من الغيب إلى الشهادة، رشحة من تجلّيات عظمة فعل ذاته المقدّسة، ولا يمكن أن يتجلّى الحقّ تعالى بالعظمة لأحد، وإنما يتجلّى من وراء آلاف الحجب والسرادقات، كما في الحديث:

«إنّ للّه تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه دونه».

وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحقّ تعالى بمبدئية جميع الشؤون الذاتية والصفاتية والفعلية، وبجميع التجلّيات الجمالية والجلالية، وليس لسائر الكتب السماوية هذه المرتبة والمنزلة.

وأمّا عظمته بسبب محتوياته ومقاصده ومطالبه فيستدعي ذلك عقد فصل على حدة، بل فصول وأبواب ورسالة مستقلّة وكتاب مستقلّ حتى تخرج نبذة منها إلى حيّز البيان والتحرير...

وأمّا عظمة رسول الوحي ووساطة الإيصال فهو جبرائيل الأمين والروح الأعظم الذي يتصل بذاك الروح الأعظم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد خروجه من الجلباب البشريّ وتوجيه شطر قلبه إلى حضرة الجبروت، وهو أحد أركان دار التحقّق الأربعة بل هو أعظم أركانها وأشرف أنواعها لأنّ تلك الذات النورانية ملك موكل للعلم والحكمة وصاحب الأرزاق المعنوية والأطعمة الروحانية، ويُستفاد من كتاب اللّه والأحاديث الشريفة تعظيم جبرائيل وتقدّمه على سائر الملائكة.

وأمّا عظمة المرسل إليه ومتحمّله، فهو القلب التقيّ النقيّ الأحمديّ الأحديّ الجمعيّ المحمديّ الذي تجلّى له الحقّ تعالى بجميع الشؤون الذاتية والصفاتية والأسمائية والأفعالية وهو صاحب النبوة الختمية والولاية المطلقة، وهو أكرم البرية وأعظم

الخليقة وخلاصة الكون وجوهرة الوجود وعصارة دار التحقّق واللبنة الأخيرة وصاحب البرزخية الكبرى والخلافة العظمى.

وأمّا حافظه وحارسه فهو ذات الحقّ المقدّسة جلّ جلاله، كما قال في الآية الكريمة المباركة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وأمّا شارحه ومبيّنه فالذوات المطهّرة للمعصومين من رسول اللّه ﷺ إلى حجّة العصر عجّل الله فرجه الشريف، الذين هم مفاتيح الوجود، ومخازن الكبرياء، ومعادن الحكمة والوحي، وأصول المعارف والعوارف، وأصحاب مقام الجمع والتفصيل.

وأمّا وقت الوحي فليلة القدر أعظم الليالي وخير من ألف شهر وأنور الأزمنة، وهي في الحقيقة وقت وصول الوليّ المطلق والرسول الخاتم ﷺ.

وأمّا كيفية الوحي وحيثيّاته فهي خارجة عن نطاق البيان في هذا المختصر وتحتاج إلى فصل مستقلّ قد صرفت النظر عنه لطوله.

[الآداب المعنوية للصلاة]

مقام الأئمة عليهم السلام

اعلم أنّ لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مقاماً روحانياً شامخاً، في السير المعنوي إلى اللّه، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتى من الناحية العلمية، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من

شهود أصحاب العرفان. كما يُستفاد من الأحاديث الشريفة، أنهم صلوات اللّه عليهم يشاركون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الروحانية وأنّ أنوارهم المطهّرة كانت تسبّح وتقدّس للذات المتعال قبل خلق العالم.

الكافي: بإسناده عن محمَّد بن سنان قالَ: «كُنْتُ عنْدَ أبي جعفر الثّاني عليه السلام فَأجْرَيْتُ اخْتِلافَ الشِّيعَةِ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللّهَ تَبارَكَ وَتَعالى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّداً بِوَحْدانِيَّتِهِ، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفاطِمَةَ فَمَكثُوا أَلْفَ دَهْرٍ، ثُمَّ خَلَقَ جَميعَ الأشْياءِ فَأشْهَدَهُمْ خَلْقَها وَأجْرى طاعَتَهُمْ عَلَيْها وَفَوَّضَ أُمورَها إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يُحِلُّونَ ما يَشاؤُونَ وَيُحَرِّمونَ ما يَشاؤُونَ وَلَنْ يَشاؤُوا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ تعالى.

ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، هذِهِ الدِّيانَةُ الَّتي مَنْ تَقَدَّمَها مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها مُحِقَ، وَمَنْ لَزِمَها لَحِقَ، خُذْها إلَيْكَ يا مُحَمَّدُ».

وبإسناده عَنِ الْمُفَضَّلِ قالَ: قُلْتُ لأبي عبد اللّه عليه السلام: «كَيْفَ كُنْتُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ فِي الأظِلَّةِ؟ فَقالَ: يا مُفَضَّلُ، كُنّا عِنْدَ رَبِّنا، لَيْسَ عِنْدَهُ أحَدٌ غَيْرُنا فِي ظِلَّةٍ خَضْراء، نُسَبِّحُهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُهَلِّلُهُ وَنُمجِّدُهُ، وَما مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلا ذي رُوحٍ غَيْرنا حَتّى بَدا لَهُ فِي خَلْقِ الأشْياء فَخَلَقَ ما شاءَ كَيْفَ شاءَ مِنَ الْمَلائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ أنْهى عِلْمَ ذلِكَ إِلَيْنا» .

إنّ الأحاديث المأثورة في طينة أبدانهم، وخلق أرواحهم ونفوسهم، وفيما منحوا من الاسم الأعظم، والعلوم الغيبية الإلهية من علوم الأنبياء والملائكة، وممّا هو أعظم ممّا لا يخطر على بال أحد، وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من

الكتب المعتبرة، وخاصّة كتاب أصول الكافي، إنّ مثل هذه الأخبار كثيرة بقدر يبعث على تحيّر العقول، ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم الصلوات إلّا أنفسهم. وهذا الحديث الشريف الذي بين أيدينا يحتوي على إيمانه لفضيلة واحدة من فضائلهم، وهذه الفضيلة هي آية التطهير التي نزلت حسب الأخبار المتواترة المنقولة عن طرق العامّة والخاصّة في أهل بيت العصمة عليهم السلام، والمقصود من أهل البيت في آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ المباركة في ضوء اتفاق الشيعة والأخبار المستفيضة أو المتواترة المأثورة في تفسيرها، هم آل بيت العصمة والطهارة الذين هم يكونون من قبيل توضيح الواضحات.

[الأربعون حديثاً]

حقيقة الاسم الأعظم

الاسم الأعظم عبارة عن ذلك الاسم وتلك العلامة الحاوية لجميع كمالات الحقّ تعالى على نحو النقص الإمكاني، فهو واجد لكافّة الكمالات الإلهيّة نسبة إلى سائر الموجودات على نحو الكمال، هذا هو الاسم. والموجودات التي تأتي بعد هذا الاسم، واجدة لنفس الكمالات ولكن بمقدار سعتها الوجودية، حتى نصل إلى هذه الموجودات المادية التي نتصور عدم وجود العلم فيها، ولا القدرة ولا أيّ من الكمالات، في حين أنّ الأمر ليس كذلك.

[تفسير سورة الحمد]

الاسم الأعظم هو نفس رسول الله ﷺ

أولئك الذين يسمون علواً بقدم المعرفة حتى يصلوا إلى حيث تتجلّى الذات بتمام التجلّيات، وبالطبع ليس الذات بل على نحو التجلّي في قلوبهم، وقلوبهم ليست من هذه القلوب، بل القلب الذي يدخله القرآن، القلب الذي فيه مبدأ الوحي، القلب الذي يتخذه جبرائيل منزلاً، في هذا القلب تتجلّى الذات بذاك التجلّي الجامع لكافّة التجليّات، وهو نفسه «الاسم الأعظم» والمتجلّي بتجلّي «الاسم الأعظم»، و«الاسم الأعظم» هو نفسه «نحن الأسماء الحسنى».

الاسم الأعظم هو نفس رسول الله ﷺ، وهو أعظم الأسماء في مقام التجلّي.

[تفسير سورة الحمد]

ليس هناك من موجود مقابل الله

واقع الأمر هو أن لا مقابل للحقّ تعالى، أي ليس هناك موجود مقابل مستقلّ عنه، بل إنّ «مقابل الوجود المطلق» لا معنى له أصلاً، فالموجود هو الذات المقدّسة وتجلّياتها، سواء التجلّي في مقام الذات، أو في مقام الصفات، أو في مقام الفعل، ونفس الآيات التي نشير إليها أحياناً يمكن أن تكون شاهداً على أن ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. فواقع الأمر هو أن لا مقابل للحق تعالى.

ولعلّ أقرب الأمثلة الموضّحة هو مثال موج البحر، فالموج ليس خارجاً مستقلّاً عن البحر، بمعنى أنه هناك موج وهناك بحر، بل هناك موج البحر، هذه الأمواج الحاصلة إنما هي البحر يتموّج، ولكن عندما ننظر إلى الأمر بحسب إدراكنا، نرى بحراً وأمواج البحر، كأنه هناك بحر وموجٌ، ولكن الموج معنى عارض للبحر، وحقيقة الأمر أن ليس هناك سوى البحر، وموج البحر هو البحر، وكذلك حال العالم فهو كموجة.

[تفسير سورة الحمد]



ولاية الحديث

الإمام الخامنئي

وقت الخلوة مع اللّه

النهار ليس وقت فراغ البال. إنّ وقت الفراغ والخلوة مع اللّه هو الليل، بالأخصّ القسم الأخير منه. وبالرغم من أنّ ظاهر الرواية «يا عليّ كلُّ عين باكية يوم القيّامة، إلّا ثلاث أعين، عين سهرت في سبيل اللّه، وعين غضّت عن محارم اللّه، وعين فاضت من خشية اللّه» هو الاستيقاظ لأجل العبادة، إلّا أنّ الشخص الذي يبقى مستيقظاً في خنادق الجهاد والدفاع أو المطالعة وتحصيل العلم في سبيل اللّه (لا لأجل التفاخر وإظهار النفس أو المراء والجدال) فهو مشمول أيضاً في هذه الرواية. ولعل المراد من غضّ النظر عن «محارم اللّه» ليس المعنى الحرفيّ للعبارة بل المقصود هو صرف النظر عن كلّ حرام.

[جلسة بحث الخارج]

الدنيا إلى فناء

عن النبي ﷺ: «الدنيا دول، فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك، ومن انقطع رجاؤه بما فات استراح بدنه، ومن رضي بما قسمه اللّه قرّت عينه».

إنّ طبيعة المظاهر الدنيوية هي التغيير والتحوّل الدائم. فلا نظُنَّنَّ أنّ ما في أيدينا من المال والجاه والإمكانات والصحة والعافية باق إلى آخر العمر. فليس الأمر كذلك. وما أكثر ما نُسلَبه!.

والمراد من الدنيا التي إذا قطع المرء أمله عنها أراح نفسه، هو الدنيا المذمومة. يعني ذلك الشيء الذي يطلبه الإنسان لأجل أهوائه وليس معالي الأمور والخيرات الأخروية، أو تلك الأشياء التي يحتاجها الإنسان لأداء التكليف أو عمران الدنيا، فالمراد ليس هذه الأمور.

[جلسة بحث الخارج]

خياركم أحسنكم أخلاقاً

إنّ معنى الرواية الواردة عن النبي «خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون»، أنّ أفضلكم هم أولئك الذين يتعاملون مع الناس بالنحو الأحسن، أصحاب الوجوه البشوشة الذين يألفون الناس بهم ويألفونهم. وهذا لا يعني أنّ الشخص التارك للعمل بالتكليف الشرعيّ، ولكنه بشوش مرجح على ذلك الذي يؤدّي

تكاليفه الدينية، ولكنه مقطّب الوجه دائماً. بل المراد أنّ المؤمن العامل بالتكليف وصاحب الخلق الحسن أفضل من المؤمن الفاقد للأخلاق الحميدة تلك.

[جلسة بحث الخارج]

التعزّي بعزاء الله

المؤمن ينبغي أن يتسلّى بتسلية الله، وأن يعزّي نفسه بما عند ربّه من الرحمة المطلقة والأجر الذي أعدّه للمؤمنين يوم القيامة. وإذا خالف ومدّ عينيه إلى مال الآخرين ومقاماتهم وإمكاناتهم، فإنه إمّا أن يعيش في حسرة وغصة وعدم رضا بتقدير الله بشكل دائم، وإمّا أن يرد الامتحانات الصعبة ويتعدّى حدود الله ويسعى لإيصال نفسه ولو بطريق غير مشروع إلى الآخرين.

ولهذا وحتى لا تحترقوا بنار الحسرة على دنيا الآخرين، ولا تبتلوا بميادين المواجهة التي لا طائل منها، الجئوا إلى العزاء الإلهيّ وتعزّوا به.

[جلسة بحث الخارج]

الاهتمام بأمور المسلمين

من أصبح وليس لرضا الله دور أو تأثير في دوافعه ونواياه فإنه لا يُحسب من جند الله العاملين لله. ومن أصبح غير مبال بمصالح ومفاسد المسلمين والمجتمع الإسلاميّ، فإنه لا يعدّ في زمرة المسلمين الواقعيّين. وللاهتمام بأمور المسلمين مصاديق مختلفة. المصداق

الأعلى هو الاهتمام بأمور الأمّة الإسلامية والحكومة الإسلامية وعزّتها واقتدارها، والمصداق الآخر هو قضاء حوائج الضعفاء والمساكين.

ومن قبل بالذلّ راغباً فليس منّا أهل البيت. ينبغي أن يعلم هنا أنّ التسليم بذلّة ليس محصوراً فقط أمام أصحاب السلطة السياسيين، بل يشمل أيضاً أصحاب الثروات ورؤوس الأموال. على الإنسان أن لا يذلّ نفسه لأجل الحرص والطمع وحطام الدنيا. وقد ورد أنّ المؤمن يرضى بكلّ شيء إلّا الذّلّة.

[جلسة بحث الخارج]

حقيقة الزهد

إنّ حقيقة الزهد، الذي اعتنى به الإسلام وأوصى به المعصومون طبق هذه الرواية «الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره»، أمران:

الأول: أن لا تغلب على الإنسان تلك الوساوس الشيطانية والرغبات الحيوانية التي تحركه نحو ارتكاب المحرّمات، فيستطيع أن يبقى صابراً ومستقيماً أمام هذه المسائل.

والثاني: أن لا ينشغل الإنسان بالنِّعم الإلهية بحيث يغفل عن شكر اللّه، ويكون غير حامد، أو يغفل عن أنّ هذه النعم ممّن؟. وحذار أن تجرّ هذه الغفلة الإنسان إلى الأودية الخطيرة.

[جلسة بحث الخارج]

اليقين

لليقين مراتب، وكلّ مرتبة تفترض منه، فإنّ مرتبة أعلى منها توجد أيضاً. ولهذا فإنّ الأئمّة الأطهار، مع كلّ تلك المراتب العالية من اليقين التي كانوا عليها، كانوا يسألون اللّه اليقين أيضاً.

وفي الحديث شُبِّه اليقين بالرأس. فمثلما أنّ الرأس هو منشأ هداية حركات الإنسان وسكناته، كذلك اليقين يقوم بنفس الدور في دين الإنسان. وتحصيل اليقين يمكن أن يتمّ عبر طريقين:

الأول: التأمّل والتفكّر في أدلة الدين ومبادئه وحقانية الشرع الإسلاميّ المقدس؛ والثاني: هو التوجُّه إلى الذات الإلهية المقدّسة والتضرّع والخضوع في محضر عظمة اللّه تعالى.

[جلسة بحث الخارج]

الحِلم والتحمّل

عوّدوا أنفسكم على الحِلم والتحمّل. فالحِلم ليس بمعنى كظم الغيظ فقط، بل بمعنى التحمّل والصبر أيضاً. فأمام تلك العوامل التي تغضب الإنسان، أو تغرّر به، أو تحمله على الفرح والسرور الفارغ، عليه أن يستوعب هذه العوامل كلّها وكالبحر يهدّئ الأنهار الهادرة بمجرد وصولها إليه.

[جلسة بحث الخارج]

الخصال المذمومة

كلّ من أبعد عن نفسه هذه الصفات الأربع، سواء أكان فرداً، أم مجموعة مرؤوسين، أم مسؤولين في المجتمع، فلن تصيبه أية حادثة أو واقعة مكروهة.

١ ـ العجلة، دون تأنٍّ أو دقّة، باتخاذ قرار أو إجراء عمل. (العجلة هي غير السرعة في العمل).

٢ـ اللجاجة، وهي من المسائل الخطيرة والبلاءات المطوّقة، وتعني الإصرار والتأكيد على الباطل. فاللَّجوج لأنه يكون قد قال كلاماً معيناً أو اتخذ موقفاً فلانياً، فإنه لا يكون حاضراً للتراجع عنه أبداً حتى ولو ثبت خلافه.

٣ـ العُجب والغرور، حيث يُعمى الإنسان عن نقائصه ونقاط ضعفه، وأحياناً يعظّم كلّ ما من شأنه أن يحسّن صورته.

٤ ـ التواني وتأجيل عمل اليوم إلى الغد بلا مبالاة وإهمال. وأنا العبد، على أثر تجاربي طوال السنوات المديدة، قد وصلت إلى هذه النتيجة بأنّ كلّ الأضرار والأذى الذي قد لحق بالمجتمع كان سببه هذه الأمور، أبعدنا اللّه بتوفيقه وبمجاهدتنا عن هذه الصفات إن شاء اللّه تعالى.

[جلسة بحث الخارج]

محاسبة النفس

أيّاً كان الإنسان فإنه ليس غنياً عن الموعظة. ولكن أفضل المواعظ هي تلك التي تنبع من داخل نفسه؛ لأنّ كلّ شخص بعيوبه وصفاته أعلم.

وينبغي أن تكون همّة الإنسان في محاسبة نفسه. إنّ عدم محاسبة الآخرين لنا ليس مسوِّغاً لعدم محاسبتنا أنفسنا. إنّ المحاسبة تحفظ الإنسان من زلّات المستقبل.

[جلسة بحث الخارج]

عدم الاغترار

ما أكثر الأفراد الذين ينخدعون من مديح الناس وتحسيناتهم. على الإنسان أن لا يفتتن من أحكام الناس وأقوالهم حوله فيغفل بسبب التسويلات النفسانية عن الحكم الصحيح على نفسه. والتوجّه إلى هذه المسألة يحوز أهمية خاصة بالنسبة إلى المسؤولين.

وكذلك لا ينبغي أن يغترّ الإنسان إذا ستر اللّه عيوبه، فيظنّ أنّ مساوئه ستبقى مستورة دائماً. فما أكثر ما يفضح اللّه تلك الأمور في الدنيا! وإذا سترها بلطفه وإحسانه فإنها ستظهر يوم القيامة (يوم ظهور بواطن الناس). ولهذا كان الأئمّة عليهم السلام يطلبون كما ورد في المناجاة الشعبانية أن:

«إلهي لا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد». وما أكثر المستدرجين بالنعم الإلهية! ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢]. وعليه، فلا ينبغي بسبب مديح الناس والستر الإلهيّ ونيل النعم الإلهية أن نغفل عن محاكمة أنفسنا بالنحو الصحيح.

[جلسة بحث الخارج]

الحبّ في الله

قال رجل للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: إني لأحبُّك في الله حبّاً شديداً، فنكّس عليه السلام ثم قال: اللَّهمَّ إني أعوذ بك أن أحبّ فيك وأنت مبغض. ثم قال له: أحبّك للذي تحبني فيه.

ولهذا عندما بيّن ذلك الرجل للإمام عليه السلام بأنه يحبه في اللّه لم يقل سلام اللّه عليه: أشكرك أو أحمدك يا اللّه على هذا الحبّ. بل لقد قال: أعوذ بك يا إلهي من أن يحبني الناس في سبيلك وتكون لي مبغضاً. وهذا خطر عظيم بالنسبة إلينا نحن. معاذ اللّه أن يرانا الناس من المخلصين الذين يعملون للّه ويسعون في سبيله، ولا نكون كذلك في الحقيقة. ولا يكون ظاهرنا وباطننا واحداً، أو تكون أعمالنا موجبة للغضب الإلهي، والناس تحبنا في اللّه ونكون من أعدائه، نعوذ به تعالى من ذلك.

[جلسة بحث الخارج]

الإلحاح على الله

إنّ إصرار الإنسان وإلحاحه في الطلب من الآخرين مكروه عند اللّه، ولكن الإلحاح والإصرار في الدعاء والطلب من ذات الحقّ المتعالي هو مورد رضاه. إنّ اللّه يحبّ أن يأتي الناس إلى بيته ويسألوه حوائجهم.

وسرّ هذه المسألة يكمن في أنّ تكامل الإنسان وتعاليه هما في عقد ارتباطه وتعلّقه بالذات الأحدية المقدّسة. وكلّما أحكم هذا الارتباط أكثر كان أشدّ تأثيراً في تكامل الروح. وكلّما ازدادت أنانية الإنسان واعتداده بنفسه فإنّ التوجّه إلى الذات المقدّسة الربوبية يمتنع. ولهذا لا ينبغي أن نقايس بين الطلب من اللّه والطلب من الخلق.

[جلسة بحث الخارج]

عقاب الله

إنّ اللّه تعالى يعذّب عباده أحياناً في الدنيا. بعض هذه العذابات يرتبط بحياة الإنسان المادية كصعوبة المعيشة (وبدون شكّ ينبغي أن يعلم هنا أن صعوبة العيش ليست دائماً عذاباً، بل هي امتحان وبلاء إلهيّ حيناً وأثر لمعاصي الإنسان وذنوبه حيناً آخر). وبعض هذه العذابات يرتبط بالجانب الروحي كالضعف والوهن في العبادة (ويغفل أكثر الناس عن هذا النوع من العقوبة). وأحياناً قد لا يجد الإنسان في نفسه رغبة في الدعاء أو إقبالاً على الصلاة، أو حضور

قلب عند تأديتها، أو أنه يحرم توفيق التهجّد والمناجاة وأداء النوافل، وكلّ هذه عقوبات جرّاء معاصي ابن آدم وذنوبه. ولهذا ورد في الدعاء: « اللَّهمَّ اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء». فيحتمل أن يكون معنى حبس هو أنّ الإنسان على أثر قساوة القلب لا يجد في نفسه ميلاً إلى الدعاء. وهذه أعظم العقوبات الإلهيّة.

[جلسة بحث الخارج]

هداية الآخرين

إنّ مسألة الهداية والضلالة هي على هذا النحو: لو أنّ شخصاً فتح باباً للهداية في المجتمع، فبمقدار أجر الأفراد الذين يستفيدون من هذه الهداية ويعملون بها، يُكتب أجر وثواب لفاتح ذلك الباب بدون أن ينقص من ثواب العاملين بها أيّ شيء. وكذلك من فتح في المجتمع باباً للضلالة يُكتب له بمقدار ضلالة من أضلّ بذلك الباب وارتكب المعاصي بوروده، ذنوب.

[جلسة بحث الخارج]

من وصية أبي عبد اللّه عليه السلام لابن جندب

يوصي أبو عبد اللّه عليه السلام ابن جندب أن أبلغ أتباعنا أن لا يقعوا فريسة الأوهام والخيالات لأجل الوصول إلى ولايتنا. فحقيقة نيل الولاية هي هذه الأمور:

- الورع وعدم ورود منطقة الذنوب الممنوعة بشكل كامل.

- الاجتهاد في الدين والسعي وبذل الوسع لأجل الوصول إلى قمّة كمال الإنسانية والأهداف المعنوية العالية.

- مواساة الإخوان في اللّه، ومشاركة إخواننا في الدين غمومهم وأفراحهم في سبيل اللّه، والامتناع عن ظلم الآخرين وتجاوز حقوقهم.

ومعنى الوصول إلى ولاية الأئمّة عليهم السلام هو إمّا حفظ الرابطة بين الفرد والإمام المعصوم وإمّا استقرار الولاية في المجتمع وإقامة حكومتهم عليهم السلام لأنّ التقدير الإلهيّ لم يكن انزواء الأئمّة عليهم السلام بل حكمه تعالى هو أن تحكم أنوارهم القدسية على محيط البشر الظلماني، وأن يتولّوا زمام أمور المجتمع بالفعل. واليوم فإن حفظ الولاية كما استقرارها هو في يد الفئة التي تراعي هذه التوصية.

[جلسة بحث الخارج]

دوام اللّذة المعنوية

يريد الإسلام أن يرفع الناس، وينوّر قلوبهم، وأن يخرج الرذائل والمفاسد منها فيرمي بها بعيداً، كي نشعر نحن بتلك الحالة من اللّذة المعنوية في جميع لحظات وأوقات حياتنا، وليس فقط في محراب العبادة، بل لنشعر بها حتى في محيط العمل، وحال الدرس، وفي ساحة الحرب، وعند التعليم والتعلّم، وخلال القيام بعملية الإعمار والنهوض بالبلد.. ومثل هكذا إنسان يصير مصدراً لإشعاع النور في أرجاء الحياة والعالم. ولو يُقدَّر للدنيا أن تربي مثل هؤلاء الناس،

فسوف تُقتلع جذور هذه الحروب والمظالم والمفاسد، وهذا التمييز والجور. هذه هي الحياة الطيبة.

إذاً، ليس معنى الحياة الطيبة هي أن يصلّي الناس ويؤدوا العبادات فقط دون أن يفكروا أصلاً بشؤون الحياة المادية. كلا! فالحياة الطيبة تعني حيازة الدنيا والآخرة معاً.. لكن في جميع هذه الحالات (الاهتمام بالأمور المادية) تكون قلوبهم مع اللّه، وتزداد معرفة به يوماً بعد يوم. هذا هو هدف النظام الإسلامي. وهذا هو الهدف الذي نادى به الأنبياء وجميع مصلحي العالم.

[حديث ولايت، ج٧، ص٦٣-٦٤]

اللّذة المعنوية هي أعلى اللّذات

إنكم حينما تؤدون العبادات، وتتوجّهون بالدعاء خاشعين، وتقيمون الصلاة بقلوب حاضرة، وتنفقون على مسكين مستحقّ، تلاحظون أيّ لذة هي تلك التي تشعرون بها، وأيّ حالة من البهجة تصيبكم. والوصول إلى مثل هذه اللّذة لا يمكن أن ينال بالأكل!

إنّ الناس الذين قد ذاقوا طعم عبودية اللّه ـ وكلّ مؤمن يعيش مثل هذه الحالات على مدى عمره الذي يحياه، وإن بدرجات متفاوتة ـ يشعرون في لحظة التوجُّه إلى اللّه تلك، وعبادته، ومناجاته، والبكاء شوقاً إليه وبين يديه، بلذة يكونون معها مستعدّين لترك الدنيا وما فيها من أجل أن تبقى تلك اللّذة حاضرة في نفوسهم.

وأمّا الماديات فإنها تخرج الإنسان من تلك الحالة، وتجعله يخسرها

شيئاً فشيئاً. اللذة المعنوية هي تلك الحالات، والناس الذين ليسوا على علاقة باللّه أو على معرفة بالأهداف المعنوية، لا يذوقون طعم هذه اللذة. وما أكثر الناس الذين يقضون عمراً مديداً في ظلّ الأنظمة المادية السيّئة الذكر، لكن لا تعرض لهم حالة التوجّه إلى اللّه واللّذة المعنوية تلك، ولو للحظة واحدة. فهؤلاء لا يفهمون معنى ما نتحدّث به الآن.

[حديث ولايت، ج٧،ص٦٣]

الأجر على قدر المشقة

إنّ المرء لا يحصل على الأجر الجزيل دون مشقّة وصعوبة. لا تتوهّموا أنّ بإمكان الإنسان أن يحصل على الثواب العظيم دون معاناة وتحمّل للمشاق. كلا! لأنّ (أفضل الأعمال أحمزها[×]).

[حديث ولايت، ج١، ص٣٢١]

الواجب أداء التكليف لا تحقيق النتيجة

إنّ هذا الدرس أيضاً قد علّمنا الإمام إياه، وهو أنّ العمل والمبادرة ليسا لأجل تحقيق النتيجة. فالنتيجة تتمثّل في تلك النية الخالصة التي تحملونها (في نفوسكم) حينما تبادرون إلى العمل. النتيجة هي مع اللّه، ونحن يجب علينا أن نؤدّي تكليفنا. ولحسن الحظّ، فإنّ القيام بالتكليف طوال هذه السنوات الإحدى عشرة قد ترافق مع حدوث النتائج.

[حديث ولايت، ج٤، ص ١٠]

الصيام سلّم إلى التقوى

قال اللّه الحكيم في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].. أي أن الصيام سلّم إلى التقوى، ووسيلة لتأمين ذلك في وجودكم وقلوبكم.

والتقوى هي أن يكون الإنسان في جميع أعماله وأفعاله في حالة مراقبة، ليرى هل إنّ هذا العمل موافق لرضى اللّه والأوامر الإلهية أم لا.

هذه الحالة من المراقبة والاحتراز والحذر الدائم اسمها التقوى. وما يقابلها هو الغفلة وعدم اليقظة والعمل دون بصيرة.

إنّ اللّه تعالى لا يرضى بغفلة المؤمن وفقدانه للبصيرة في شؤون الحياة، لذا يجب على المؤمن أن يمتلك نظراً ثاقباً وقلباً يقظاً في جميع أمور الحياة.

إنّ هذا النظر الثاقب، والقلب اليقظ والواعي ينبه الإنسان المؤمن إلى ضرورة أن لا تكون الأعمال التي يقوم بها مخالفة لإرادة اللّه، وطريقة الدين وأحكامه.. وفائدة الصيام تكمن في تحقيق هذا الأمر.

إنّ شعباً أو فرداً يتمتع بملكة التقوى سوف ينعم بجميع خيرات الدنيا والآخرة. إنّ فائدة التقوى ليست فقط في كسب رضى اللّه ونيل الجنان يوم القيامة؛ المتّقي يرى فائدة التقوى في الدنيا أيضاً. إن المجتمع المتّقي، المجتمع الذي يختار طريق اللّه ويعبره بدقة،

يتنعّم بالعطايا الإلهية في الدنيا وينال العزّة فيها، ويمنحه اللّه تعالى العلم والمعرفة بشؤونها أيضاً.

إنّ التقوى هي الوصيّة الأولى والأخيرة للأنبياء. ونحن نقرأ في سور مختلفة من القرآن أنّ أول كلام نقله الأنبياء إلى الناس كان الوصية بالتقوى. إنّ التقوى إذا توفّرت، وجدت معها الهداية الإلهية كذلك.. والصوم هذا مقدّمة التقوى).

[حديث ولايت، ج٤، ص ٤١-٤٣]

ببركة الدعاء ينشط المجتمع

اغتنموا شهر رمضان. أحيوا أيامه بالصيام ولياليه بالذكر والدعاء. إنّ رابطة الدعاء هي رابطتكم القلبية مع اللّه. الدعاء معناه الطلب والمناجاة، والطلب معناه الأمل. فما لم تمتلكوا الأمل، لن تطلبوا من اللّه شيئاً. إنّ الإنسان اليائس هو الذي لا يطلب شيئاً.

إذاً، الدعاء يعني الأمل، الأمل بالإجابة. وهذا الأمل بالإجابة هو الذي يشعل القلوب وينوّرها. وببركة الدعاء ينشط المجتمع.

[حديث ولايت، ج٤، ٤٤]

فلنترك المعاصي

.. تعدّ مسألة ترك المعاصي المسألة الرئيسية لأجل نيل القرب من اللّه، بينما يعدّ أداء المستحبّات والنوافل، وقراءة أدعية التوسّل وسائر الأدعية الأخرى، من المسائل الفرعية.

إنّ النقطة الأساس في هذه القضية هي أن يحول الإنسان دون صدور الذنب والمعصية منه، وهذا ما يتطلّب التقوى. إنّ التقوى هي أهمّ - أو لنقل - أول صفة ينبغي أن يتحلّى بها وجود الإنسان، وهي التي تمنع وقوعه في المعصية.

إنّ المعصية تمنع الإنسان من أن يوصل نفسه إلى شاطئ بحر المغفرة الإلهيّة العظيم، فضلاً عن أن يستفيد منه. إنّ المعصية لا تدعنا ننعم بحال الدعاء والحضور. بل إنها لتمنعنا من أن نعيد النظر في أنفسنا، ومن ثَمّ أن نعيد بناءها. فلنسعَ كي نبتعد عن المعصية؛ وهذا هو الشرط الأول.

[حديث ولايت، ج٤، ص ٦٣]

القدم الأولى في السفر المعنويّ

إنّ القدم الأولى على طريق السير إلى اللّه هي بالإخبات ورؤية الفقر المطلق للنفس، أي أن يرى الإنسان نفسه - حقيقة ودون أي مجاملة - فقيراً محتاجاً وقليلاً حقيراً بين يدي اللّه، في عين امتلاكه للقدرة والثروة والعلم، وتمتعه بالمزايا والخصال الحميدة، وفي ذروة حيازته للغنى والاستطاعة؛ وهذه هي روحية الكمال الإنسانيّ تلك، والتي ينبغي بالطبع أن تُنال عن طريق الرياضة.

[حديث ولايت، ج٤، ص ١٠٨]

فلنسعَ كي نحيي روح العبودية في نفوسنا

إنّ روح العبادة هي العبودية للّه. أيها الأخوة والأخوات! يجب علينا أن نسعى لإحياء روح العبودية في نفوسنا، والعبودية تعني التسليم للّه، وتعني كسر ذلك الصنم الموجود في أنفسنا.

إن صنمنا الباطني - الأنا - يُظهر نفسه في كثير من الأوقات والظروف. فعندما تقع منافعك في خطر، ولا يقبل شخص ما كلامك، أو يحدث أمر يوافق رغبتك ، ولو خلافاً للشرع ، أو تقف على مفترق طريقين، مصالحك الشخصية من جهة والتكليف من جهة أخرى، في مثل تلك المضائق والمزالق، تطلّ تلك الأنا الباطنية برأسها وتُظهر نفسها.

ولو تمكنّا أن نروّض هذه الأنا، هذا الهوى النفسيّ، هذا الفرعون الباطنيّ، هذا الشيطان الموجود في داخلنا بالكامل - أو بمقدار ما - فإنّ جميع الأمور سوف تصلح. وقبل أيّ شيء آخر، سوف نتحوّل إلى بشر حقيقيّين، ونصل إلى الفلاح.

إنّ شهر رمضان هو مقدّمة لهذا الغرض. فالصوم، والصلاة مع التوجّه، والإنفاق، وحتى الجهاد في سبيل اللّه، هي لأجل الوصول إلى دنيا يكون الناس فيها عباداً للّه.

[حديث ولايت، ج٤، ص ١٣٩-١٤٠]

الحكمة هي البصيرة

أنا أتصوّر أنّ العين التي تستطيع أن ترى الأفعال والسنن (الغيبية) تسمَّى بالاصطلاح الإسلاميّ والقرآنيّ بالحكمة: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. فمقدار ما أفهمه، الحكمة هي تلك البصيرة التي تتمكّن من أن ترى الحقائق الموجودة ما وراء ستار المادة.

وعلى الرغم من أنّني قبل الثورة، ولسنوات طوال، كنتُ أكنّ لإمامنا الكبير والعظيم الشأن كلّ مودّة وإخلاص، وأعرفه عن قرب، إلّا أنّني تنبّهت إلى هذه المسألة بعد الثورة، وهي أنّ إمامنا رجل حكيم. ولا يراد بكلمة (حكيم) في هذا المقام معناها الاصطلاحي - أي فيلسوف - بل الحكمة بمعناها الحقيقيّ والقرآنيّ، الذي يقول اللّه تعالى عنه بأننا آتيناه للأنبياء...

[حديث ولايت، ج٥، ص ١٧٥]

أداء التكليف أهمّ من النصر

(لقد كان الإمام قدس سره يقول: نحن نعمل بتكليفنا. نحن لا نحارب لننتصر، بل نحارب لنقدم الجواب إلى اللّه. نحن نقوم بما يكلّفنا به اللّه، فإن أعطانا النصر نحمد فضله علينا، وإن لم يمنحنا إياه فنحن نحمده أيضاً أن وفّقنا لنؤدّي تكليفنا. وسرّ الانتصارات يكمن في هذا.

إنّ الإنسان الذي يجعل الشرع رائده، بمعنى أنه يخطو كلّ خطواته وفق التكليف الإسلاميّ والشرعيّ، سوف يصل إلى النصر يقيناً. ونحن سوف لن نقلّل من شأن أيّ أمر (في هذا الطريق)، لأنّ المعادلة الغيبية معادلة دقيقة جدّاً، واضعها هو اللّه بعلمه الإلهيّ الذي: (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض). ففي هذه المعادلة لا يخفى أي عامل أو عنصر.

حينما قالوا لنا: جاهدوا، وأمروا بالمعروف وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واصدقوا في القول والعمل، واجتنبوا الرذائل، وأخلصوا واعفوا، وغير ذلك من قبيل هذه الأحكام الإلهية التي يتزيّن بها المؤمن الكامل، فمعنى ذلك أنه يجب أن نكون متعبّدين إزاء هذه الأوامر.

فلو أعطوكم في حقل للألغام - حقل ليس لديكم أدنى اطلاع على ما فيه - ورقة وقالوا لكم تقدّموا (بالكيفية الفلانية).. يجب عليكم أن تدقّقوا النظر وتتحرّكوا في هذا الميدان (وفق ما في الورقة). فالعارف بخريطة زرع الألغام تحت الأرض هو الذي قد كتبها، وهو الذي قد أعطاكم إيّاها، ويقول تحركوا بهذه الكيفية؛ وهذا هو معنى التعبّد.

[حديث ولايت، ج٥، ١٧٧]

في طريق الله لا معنى للتوقّف أو التعب أو الهزيمة

نحن لسنا في نهاية الطريق، بل في وسطه. وإن أردنا أن نكون أكثر دقّة في حساباتنا، فنحن لا زلنا في بداية الطريق.

إنّنا نسير في ركاب تحقيق الحاكمية المطلقة للإسلام، وفي طريق اللّه هذا لا معنى للتوقّف أو التعب أو الهزيمة...

[حديث ولايت، ج٦، ص١٥]

فضل الأدعية المأثورة

إنّ الدعاء هو وسيلة المؤمن وملجأ المضطرّ، ورابطة الإنسان الضعيف والجاهل بالمنبع الفيّاض للعلم والقدرة. فالإنسان الذي يفقد الرابطة الروحية مع اللّه، ولا يتوجّه إلى الغنيّ بالذات لطلب حاجته منه، هو إنسان حائر وعاجز وضائع: قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم.

وإنّ أفضل الأدعية على الإطلاق هو ذلك الدعاء الذي ينشأ من عمق المعرفة الوالهة باللّه، ومن البصيرة العارفة بحاجات الإنسان؛ وهذا مما يمكن أن يُبحث عنه فقط في دين نبيّ اللّه ﷺ وأهل بيته الطاهرين الذين هم أوعية علم النبي ﷺ وورثة حكمته ومعرفته. ونحن بحمد اللّه نمتلك ذخيرة لا تنضب من الأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، والتي يمنح الأنس بها الصفاء والمعرفة والكمال والمحبة، ويطهّر الإنسان من الكدورات.

إنّ المناجاة الشعبانية المأثورة - والتي قد رُوي أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يداومون عليها - هي أحد الأدعية التي لا يمكن إيجاد نظير لمعانيها العرفانية ولسانها البليغ، ولمضامينها العالية جداً، المليئة بالمعارف الرفيعة، على الألسنة الجارية وفي المحاورات العادية، بل ليس ممكناً أصلاً أن تنشأ بمثل تلك الألسنة.

إنّ هذه المناجاة هي النموذج الكامل من تضرّع ووصف حال أكثر عباد الله الصالحين قرباً واصطفاء، مع معبوده ومحبوبه والذات الربوبية المقدّسة، إنها من جهة درس من المعارف، وهي أيضاً أسوة في كيفية إظهار الحاجة وطلب الإنسان المؤمن من الله.

[حديث ولايت، ج٦، ٨٣-٨٤]

صناعة الإنسان

يُعدّ بناء الإنسان في الواقع، أمراً يفوق جميع الأشياء أهمية في نظر أيّ ثورة من الثورات. فالثورة إذا لم تصنع إنساناً، لا تكون قد أنجزت أيّ عمل مطلقاً. ولو فكّر شخص بهذا الكلام لوجد دليله واضحاً، أي أنّ هذا الكلام لا يحتاج إلى استدلال، لأنّ الدنيا بدون الإنسان الصالح هي ظاهرة بلا روح، ظاهرة عمياء ومظلمة.

إنّ الشيء الذي يهب الروح للعالم المادي، ويمنحه قيمة ونوراً، ويعطيه معنى ومضموناً، هو الإنسان: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. فالخليفة هو وصف منحه الله للإنسان. ثم أين وضع هذا «الخليفة»؟ «في الأرض»؟ فما هي الأرض بدون هذا الخليفة، وأي قيمة لها؟

لقد كان همّ جميع الأنبياء وعباد اللّه الصالحين هو أن يوجدوا إنساناً صالحاً على هذه الأرض، وأن يحفظوه، ويهدوه ويكثّروه. والإسلام بدوره يهدف إلى هذا الأمر أيضاً.

وما رأيتموه في البيان الذي أصدره الإمام قبل عدّة سنوات حيث أشار فيه إلى أنّ فتح الفتوح للثورة الإسلاميّة هو صناعة شباب على هذه الصورة، لم يكن مجرّد كلام خطّه قلم الإمام جزافاً، بل هو كلام يستند إلى مبنى إسلامي وإلهي راسخ جداً؛ وهو بحق فتح الفتوح...

[حديث ولايت، ج٦، ص ١٠٠]

سرّ عمل الإمام هو السير الدائم نحو الكمال

إنّ البعض ليرتقون عن طريق بذل الجهد، والهمّة والإرادة، والإيمان والتوكّل، إلى ما هو أرفع من قمّة التضحية والفداء، لكنّهم بعد ذلك يهبطون من على تلك القمّة؛ وحينئذٍ يكون الأمر قد انتهى! فحينما ننزل من على القمّة، نكون قد نزلنا ولم نعد هناك في الأعلى!

ليس من الصواب القول إننا ضحّينا فيما مضى، واليوم نريد أن نقطف الثمار! فحين يقرّر الإنسان أن ينتفع بما قدّمه يوما في سبيل اللّه لا يكون حاله تعبيراً عن وجوده فوق القمّة، بل سيكون في قعر جهنّم..

يجب أن تبقوا في القمّة، فطريق الإسلام والمعنويات هو على هذا النحو. طبعاً، للإنسان (في هذا الطريق) سقطات وهفوات، وقبض وبسط، حيث تتواجد الموانع على طريقه في جميع المحطّات. وليس من الصحيح أن نقول أو أن نتوقّع أنّ الناس الصالحين يسيرون دوماً في طريق الصلاح. ففي النهاية هناك حالات من تعمّد ارتكاب المعصية والتردّد والمخالفة؛ لكن من حيث المجموع ينبغي أن يكون الإنسان في حالة تقدّم وتكامل.. والتحرّك هو نحو الأمام.

إنّ هذا الإمام الذي أدهشكم وأدهش كلّ الدنيا معكم - بل ليس مجرّد الاندهاش فقط وإنّما قد انتزع القلوب وقلب الدنيا رأساً على عقب بالعشق، حيث ينحي جانباً كلّ الحديث عن القلوب - والذي كانت الدنيا تهتزّ له، يختصر سرّ عمله في كلمة واحدة؛ ومشكلتي ومشكلة من هم أمثالي تتلخّص في أن يفهموا هذه الكلمة، وفي أن يتمكّنوا بالعمل وفقها. فقولها باللسان سهل، لكن تنفيذها صعب. وتلك الكلمة التي قد لا نستطيع نحن حتّى أن نفهمها، كان هو قد عمل على أساسها. تلك الكلمة كانت عبارة عن السير الدائم نحو الكمال.

لا تظنّوا أنّ الإمام الذي رحل إلى جوار اللّه عام ١٣٦٨هـ. ش هو نفسه الإمام الذي رجع إلى إيران عام ١٣٥٧هـ. ش، كلا! فقد تكامل الإمام وارتقى كثيراً.

إنّ اللّه شهيد على أنني في كلّ مرة كنت أزور الإمام فيها بعد نهاية شهر رمضان، كنت ألمس بشكل واضح أنّ الإمام قد تكامل في هذا

الشهر، قياساً بما كان عليه في السابق، وأنه قد حلّق أكثر وازداد بعداً عن عالم المادة.

لقد كان الإمام يتكامل يوماً بعد يوم، وهذا هو حال الإنسان المؤمن: «من تساوى يوماه فهو مغبون».. ومن كان غده أسوأ من يومه «فهو ملعون»؛ أي أنه قد طرد.

[حديث ولايت، ج٦، ص ٢٤٨-٢٤٩]

يلزم الحدّ من الكماليّات

من اللازم الحدّ بمقدار ما من كماليّات الحياة.. وفي هذا فائدة كبيرة؛ فهو يمنحكم النورانية.. فنحن نسعى في الأصل وراء هذا الأمر (النورانية).

الإنسان الذي يعمل ويكدّ ويجاهد في هذه الدنيا، وهو يريد أن يقيم حاكمية اللّه في الأرض، لأيّ شيء يقوم بهذا؟ إنه يقوم بهذا لأجل أن يحصل الناس على النورانية والهداية. فالفائدة الأساسية والهدف الأصلي يتمثّلان في أن يتخلّق الناس بأخلاق اللّه. والتخلّق بأخلاق اللّه ليس مقدمة لعمل آخر، بل الأعمال الأخرى هي مقدمة للتخلّق بأخلاق اللّه. العدل مقدمة للتخلق بأخلاق اللّه وتنوّر (قلوب) الناس. والحكومة الإسلامية وحاكمية الأنبياء هما لأجل تحقيق هذا الغرض: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق». وعليه، فالحدّ من كماليّات الحياة يترك مثل هذا التأثير في المعاملات والأعمال الشخصية.

[حديث ولايت، ج٧، ص ٢٠٥-٢٠٦]

قواعد الحكمة الإلهية

ما هي هذه القواعد؟ إنها تلك النكات التي تبدو في ظاهر القول بسيطة، لكنها في معناها عميقة جداً، والتي تجلّت في أنحاء القرآن وكلمات المعصومين عليهم السلام، وتوصيات الإمام الخميني قدس سره، وهي: لا تتوجّهوا إلى أنفسكم، ولا تدوروا في فلكها. اجعلوا هدفكم هو اللّه، وتحرّروا من قالب الحياة المادية. فلنسعَ وراء التكليف ولنشخّصه، ولا يكوننّ لنا عمل بغيره. لنكن دوماً - وفي كلّ مرحلة - مراقبين، ولنكشف عن مواطن رضى اللّه - بناء على الحجج الشرعيّة - ولنعمل برضاه جميعاً.

إنّ هذه هي القواعد الإلهية للحكمة، والتي قد سُنّت لأجل تأمين فوز الإنسان وانتصاره في جهاده المتواصل في هذا العالم؛ ولا تظنوا أنها أمور لا علاقة لها بأهداف الإنسان. فعندما يطلب منّا أن لا ندور في فلك أنفسنا خلال جهادنا وسعينا، معنى ذلك أنّ لهذا الأمر ارتباطاً مباشراً بوصولنا إلى الأهداف الإلهية.

أولوا هذه القضية في خلواتكم وأوقات تفكّركم قدراً من التفكير.

[حديث ولايت، ج٨، ص ٣٧]

بالإخلاص ترافقنا البركات الإلهية

إنّنا وفي كلّ وقت يظهر منّا ما يخالف الإخلاص، ولو بقدر بسيط، نبتلى بظهور عيب أو نقص ما يطرأ على أعمالنا.

في المقابل، طالما أنّ الإخلاص موجود و«الأنا» مفقودة، وطالما أننا نريد أن ننجز أكبر قدر ممكن من الأعمال بأقلّ نفع (يعود على ذواتنا)، وطالما أننا نعمل بدافع من الهداية الإلهية، فإن البركات الإلهية تظل ترافقنا.

وقد شبّهت هذا الأمر في إحدى المرات بعمل نحل العسل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨]. فنحل العسل يتنقّل بين الزهور ويجمع للناس العسل الذي «فيه شفاء للناس». طبعاً، للنحل إبر يستفيد منها في الوقت المناسب، وطالما أنّ اللسع في وقته ومكانه المناسبين فلا مشكلة ولا خطأ في ذلك؛ بل إنه وبدون هذه الإبر قد لا يعدّ كثير فائدة، ولذا فالاستفادة منها في الأوقات اللازمة أمر ضروري، إلّا أنّ اللسع ليس عمل النحل الأصليّ. عمله الأصليّ هو جمع العسل. وما دمنا نعمل وفق هذا التصوّر، فستظل البركات الإلهية ترافقنا.

[حديث ولايت، ج٨، ص٢٠٣]

معراج المحبة

إنّ مظاهر الجمال والتجلّيات النورانية والخصال الجاذبة لذلك العظيم عليّ، لهي كثيرة إلى حدّ أنّ أيّ قلب لا يستطيع أن يبقى غير

مبال تجاهها إذا ما عرفها. وإنّ كلّ شخص عرفه بالمقدار الموجود في الروايات أضحى مجذوباً له. وحتى أولئك الأشخاص الذين لم يقرّوا مثلنا بولايته، ولا يحملون مثل عقيدتنا، فإنهم عندما يرون تلك الفضائل والمناقب التي وردت في كتب الفريقين - وهي ليست من مختصّات الشيعة، حيث ذكرها علماء أهل السنّة الكبار، وهي التي ترونها منتشرة في جميع الآفاق - فإنهم يصبحون عاشقين ومجذوبين لأمير المؤمنين.

وعليه فلا يدور بحثنا حول معرفة الحقيقة النورانية والعُلوية لأمير المؤمنين، إذ لا يمكن أن نفهمها ولا أن نتصوّرها، ولا طريق لنا كي نعرفه؛ إلّا أولئك الأشخاص الذين استنارت قلوبهم بمعرفة تلك الأبعاد (من وجوده عليه السلام) عن طريق نور الهداية والمعرفة الإلهية. لكن مسألة المحبّة هذه هي مسألة مهمّة. فالتعلّق والعشق والارتباط بأمير المؤمنين عليه السلام هو حقيقة ساطعة، وينبغي لنا أن نستفيد من هذه الحقيقة الساطعة كمعراج نعرج به؛ وهذا ممكن التحقّق، فبسلّم المحبة يمكن الوصول إلى أرفع درجات المعرفة.

[حديث ولايت، ج٩، ص ١٨٠]

الأنس بالقرآن

إنّ الأنس بالقرآن يرتقي عالياً بالمعرفة العامّة لبلد من البلدان. فالقرآن هو كلّ ما نملك، وهو النور. وفيما لو أنس شبابنا بالقرآن، فسوف يتغير حالنا كثيراً. أسأل اللّه تعالى أن يحشرنا جميعاً مع القرآن

في الدنيا والآخرة، وأن تكون حياتنا حياة قرآنية، وأن نتحرّك نحو تحقيق أهداف هذا الكتاب الشريف، وأن نموت حاملين لمعارف القرآن، وعلى طريقة خدمته.

[حديث ولايت، ج٩، ص ٢٠٠]

الشهادة موت الذكي العاقل

إنّ الموت حقّ على الجميع. ونحن إن متنا في سبيل اللّه، لا نكون قد فقدنا أيّ شيء حتّى وفق الموازين المادية والظاهرية أيضاً. الموت مصيرنا المحتوم. وهذا متاع (الروح) سنخسره من أيدينا في النهاية، غير أنّ متاع الروح قد يفقد بنحوين: الأول، هو أن نضيّع هذه الروح. والثاني، هو أن نبيعها. فأيٌّ منهما هو الأفضل؟

إنّ الذين لا يُقتلون في سبيل اللّه، يكونون قد أضاعوا أرواحهم، وفي المقابل هم لا يملكون في أيديهم شيئاً. وأمّا أولئك الذين يقدّمون هذا المتاع في سبيل اللّه، ويبذلون أرواحهم لأجله، فهم أشخاص قد باعوا (في الحقيقة) أرواحهم، وقبضوا أمراً آخر عوضاً منها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾.

فالشهيد إذاً قد باع روحه، وحصل في مقابلها على الجنّة ورضى اللّه؛ وهما أرفع الأثمان.

فلننظر إلى الشهادة في سبيل اللّه من خلال الرؤية: الشهادة هي

موت الأذكياء والعقلاء من الناس، الذين لا يسمحون لهذه الروح بأن تفلت مجّاناً من أيديهم، ودون أي مردود يعود عليهم. فهذه الروح رأسمالنا الأساسيّ، وهي لا تميّز بين الموت (المعتاد) والشهادة، بين الشيخوخة والشباب. كثيرون هم الذين لا يُقتلون في سبيل اللّه، لكنّهم يموتون في مرحلة الشباب. وما أكثر هؤلاء الشباب الذين يموتون (موتاً معتاداً)، إلّا أنهم في الحقيقة قد خسروا أرواحهم. (أمثال هؤلاء) إن لم يتحرّكوا في طريق اللّه، ولم تكن مسيرتهم مسيرة إلهية، ولم يكن موتهم وهجرتهم وجهادهم في سبيل اللّه، فسوف يفقدون من أيديهم متاع العمر - وهو أمر عزيز جدّاً - ولن ينالوا لقاءه أيّ عائد على الإطلاق.

[حديث ولايت، ج٢، ص ٦٧-٦٨]

لا تنزعوا بُغض الشياطين وأتباعهم من قلوبكم

.. يجب على الشعب أن لا يخرج من قلبه بغض الشياطين وأتباعهم أبداً. لا تقولوا إنّ ما مرّ قد مرّ، وانتهى الأمر، وإنّه لا داعي لتذكّر ما حدث بعد الآن. كلّا، فديننا يتلخّص في هذا الأمر: «هل الدين إلّا الحبّ والبغض».

الدين هو عبارة عن الحبّ والبغض: حبّ الصالحين والفضائل، حبّ المظلومين والناس الذين تعرّضوا لجور الشياطين. ومن جانب آخر، بغض الشياطين وشرار الخلق، والرذائل، وكلّ الأشخاص الذين لا قيمة للإنسان والإنسانيّة وللّه عندهم. إنّ هذا جزء من الدين.

التولّي والتبرّي أحد فروع الدين، وعلى رأي بعض من العلماء هما أحد أصوله.

فلا تنسوا قبح وجه أعداء اللّه والناس. فإن فعلتم، سوف يبدّل هذا العدوّ وجهه ويقوم بالاقتراب (منكم) أكثر. والعدو الذي يقترب إنما يقوم بذلك لأجل أن يوجّه ضربة، لا لأجل الملاطفة.

.. إذا شعرتم أنّ بغضكم وحنقكم على هذا العدو قد ضعف في نفوسكم وقلوبكم، فتلك علامة خطر شخصيّ فيكم؛ يجب أن تدركوا أن درجة الإيمان هي في حالة تراجع. ونفس الشيء فيما يتعلّق بمحبة عباد اللّه، حيث يجب أن تقوى هذه المحبّة وتتجذّر يوماً بعد يوم.

إنكم إذا لم تتخذوا الشيطان عدوّاً، فسوف يأتي ليسد عليكم طريقكم إلى اللّه؛ وهو أمر لا يمكن جبرانه.

[حديث ولايت، ج٢، ص ٩٦-٩٧]

أشذها أنساً

سألتُ الإمام مرة من المرات أنك بأي دعاء من بين الأدعية المعروفة أشد أنساً واعتقاداً؟ فأجاب بعد تأمّل: دعاء كميل والمناجاة الشعبانية.

وعندما تراجعون هذين الدعاءين، فمع أنّ أدعية أخرى موجودة - كدعاء أبي حمزة الثمالي أو دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة، وأدعية

كثيرة أخرى - إلّا أنكم تشاهدون في هذين الدعاءين حالة الاستغفار والإنابة والاستغاثة والتضرّع إلى اللّه، بأبهى صور العشق والهيمان.

ودعاء كميل بدوره مناجاة مع اللّه تعالى، ويقوم برسم علاقة المحبة والعشق بين العبد والمعبود؛ وهذا هو الشيء الذي كان إمامنا العظيم ينوّر به روحه وفؤاده.

[حديث ولايت، ج٣،٢٨٩]

الصحيفة السجادية

إنّ الصحيفة السجادية هي في الواقع كتاب عظيم الشأن جدّاً. وهذا الكتاب معروف بين القدماء باسم زبور آل محمد. فأدعية هذا الإمام العظيم، بالإضافة إلى تضمُّنها لأعلى درجات الاستغاثة والإنابة إلى اللّه، تعبق بالمعارف الإسلامية. فهي ليست أدعية محضة، بل لقد عُلّمت فيها جميع المعارف الإسلامية كالتوحيد والنبوّة.. في قالب الدعاء.

[حديث ولايت، ج٣، ص ٢٩٩]

العلاقة بإمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف

إنّ العلاقة القلبية لكلّ فرد مؤمن من أفراد الشعب بمقام الولاية العظمى ووليّ اللّه الأعظم لهي إحدى البركات التي تنشأ من الموقعية البارزة للمهدي الموعود عجّل الله فرجه الشريف في عقيدة شعبنا. فبالإضافة إلى اعتقادنا بأصل وجود المهدي وبأنّ شخصاً سوف يظهر، ويملأ

الدنيا عدلاً وقسطاً، نحن نعرف أيضاً شخص المهدي واسمه وكنيته، وأباه وأمه، وتاريخ ولادته، وأحوال غيبته وأصحابه المقرّبين، وحتى بعض أحوال وقت ظهوره. ونحن، وإن كنا لا نرى تلك الشخصية المنيرة والشمس الساطعة في حياتنا، لكننا عالمون بحاله.

إنّ العلاقة التي تربط الشيعة، الذين يحملون مثل هذا المعتقد، بمقام الولاية والمهدي الموعود، هي علاقة دائمة. وكم هو حسن، بل ضروريّ، أن يحفظ كلّ واحد منا هذه العلاقة في قلبه بوساطة التوجّه إلى تلك الحضرة والتوسّل بها والتحدُّث إليها. فطبقاً للزيارات التي وردت - وبعضها مأثور ويُرجّح كثيراً أنه يرجع في سنده إلى المعصوم نفسه - تعدّ هذه العلاقة القلبية والمعنوية بين أفراد الناس وإمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف أمراً مستحسناً، بل أمراً لازماً له آثار؛ لأنه يحفظ الأمل والانتظار أحيانا دائماً في قلب الإنسان.

[حديث ولايت، ج٣، ص ٣٠٧-٣٠٨]

أبعاد الانتظار

يُعدّ الانتظار إحدى أكثر حالات الإنسان بركة؛ وذلك في انتظار دنيا منيرة بنور العدل والقسط: «يملأ اللّه به الأرض قسطاً وعدلاً».

مثل هكذا يوم يجب أن يُنتظر، ولا ينبغي أن تطفئ أعمال الشياطين، وظلم طواغيت العالم وعدوانهم، شعلة الأمل في القلب. يجب أن يُنتظر. الانتظار أمر عجيب، وله أبعاد عديدة. أحد أبعاد الانتظار، هو الثقة والأمل بالمستقبل، وعدم اليأس. روح الانتظار

هذه هي التي تعلّم الإنسان أن يواجه في سبيل الخير والصلاح. فلو لم يكن الانتظار والأمل موجودين، لا معنى لهذه المواجهة، ولو لم يكن الاطمئنان بالمستقبل موجوداً أيضاً، لما كان للانتظار معنى. الانتظار الواقعي متلازم مع الاطمئنان والثقة.

إنّ الشخص الذي تعلمون بمجيئه، هو الذي تقومون بانتظاره. وانتظار شخص لا تثقون ولا تطمئنّون لمجيئه، ليس انتظاراً حقيقياً. الثقة ملازمة للانتظار، وكلاهما ملازم للأمل. واليوم، يعتبر هذا الأمل أمراً ضروريّاً لكلّ شعوب الدنيا وأفرادها.

[حديث ولايت، ج٣، ص ٣٠٨]

العودة إلى القرآن

(الحمد للّه الذي منّ علينا بالأنس بالقرآن، وإذا ما استطاعت أمّة ما أن تحيا في الأجواء القرآنية، وتتنعّم بالمعارف القرآنية عبر الأنس بالقرآن، فإنها ستستطيع التغلّب على مشاكلها؛ فالمشكلة الكبرى التي يعاني منها المسلمون هي البعد عن القرآن، ويكمن علاجها في العودة إليه.

إنّ القرآن ليس للتلاوة في الزوايا، بل هو للعمل والعلم والمعرفة، ولأنْ يفهم المجتمع الإسلاميّ تكليفه، وللتخلّص من التيه والظلمات. وجلسات القرآن وتلاوته ما هي إلّا مقدمة لمعرفة المفاهيم القرآنية؛ وهنا يكمن الخلل فينا.

فنحن المسلمين نتحدّث عن القرآن غير أننا لا نعمل به، ونتفوّه

بمحبّة اللّه غير أننا لا نتبع دينه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فالدليل على صدق من أحبّ اللّه هو اتباعه للنبي ﷺ والقرآن..

أيها الأعزّاء! أيها الشباب الأعزّاء! إنّ تلاوة القرآن فضيلة كبرى فيها عظيم الأجر، بيد أنها وسيلة للمعرفة، والقرآن بحر واسع كلّما مضيتم به قُدُماً ازددتم ظمأً ورغبة وازدادت أفئدتكم نورانية، فلا بد من تدبّر القرآن.

القرآن والإسلام يمنحان الإنسان العلم والرفاه والعزة والسكينة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. فبالإضافة إلى ما فيه من لذّة دنيوية ورفاه ماديّ وقدرة علمية، فهو يضفي السكينة والاطمئنان والاستقرار؛ وهذا ما تمّت تجربته على مرّ التاريخ، وهو قابل للتجربة في عصرنا الراهن. هذا هو سبيل الفلاح اليوم للأمّة الإسلاميّة، والقرآن هو المقدّمة، وبمثابة الصراط المستقيم لها.

[خطاب بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٢١ هـ-طهران]

خصائص الصلاة وآثارها

إنّ للصلاة ثلاث خصائص رئيسية لها الدور الأساس في تهذيب النفس وتربية الروح:

الأولى: أنّ الصلاة بهيئتها المحدّدة في الإسلام - أي الحركات

والأذكار المخصوصة - تدعو المصلّي بصورة طبيعية إلى الابتعاد عن الذنب والرذيلة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر). هذه الدعوة المستمرّة لها القدرة على إنقاذ أيٍّ كان من المستنقعات، وأن تسمو به.

الثانية: الصلاة تحيي في المصلّي روح العبودية والخضوع أمام ساحة الباري تعالى، المحبوب الحقيقيّ والفطريّ لكلّ إنسان، وتزيل عن هذه الحقيقة الساطعة المودعة في أعماق فطرته غبار النسيان.

الثالثة: تزرع في قلب المصلّي وروحه تلك السكينة وذلك الاطمئنان اللذين يعتبران الشرطين الأساسيّين للنجاح في جميع ميادين الحياة، وتبعد عنه التزلزل والاضطراب اللذين يعتبران مانعاً كبيراً في طريق السعي الجادّ في التربية الأخلاقية. وكلّ واحدة من هذه الخصائص الثلاث جديرة بالتدبّر والإمعان ليتَّضح من خلاله الكثير من معارف الصلاة.

وعندما نرى الصلاة بهذه الخصائص وبتأثيرها الاستثنائيّ، وسعة دائرتها بحيث إنها تشمل كلّ المجتمع الإسلاميّ - أي يجب على الجميع أداء الصلاة تحت أيّ ظرف وفي أي مكان كانوا - ولم يخرج أحد عن دائرة هذه الفريضة الإلهية أبداً، فحينها ندرك مدى تأثيرها البالغ في تحقيق السعادة لشعب ومجتمع ما.

والحقيقة أنه متى ما شاعت الصلاة بكلّ شروطها بين فئة من الناس، فإنّ هذا الواجب الإلهي بعينه سيرفعهم تدريجيّاً نحو كلّ أشكال السعادة وإقامة صرح الدين في حياتهم.

ولا يفوتنا القول إنّ كلّ هذه النتائج تتعلّق بتلك الصلاة التي تقام بروحها، أي مع الإنابة وحضور القلب، فمثل هذه الصلاة تجعل المصلّي متناغماً ومتماشياً مع عالم الخلق كلّه، وتفتح السبيل أمام تطبيق السنن الإلهية في الطبيعة والتاريخ، لأنّ عالم الخلق كلّه - وفق الرؤية الإسلامية - في حالة تسبيح وعبودية للحقّ تعالى: (يسبح له ما في السموات والأرض).

وصيّتي الأكيدة للجميع، ولا سيّما للشباب، هي الأنس بالصلاة والالتذاذ بها، أي أن يقيموا الصلاة مع فهم لمعانيها وشعور بالحضور لدى حضرة الربّ المتعال جلّت عظمته، وأن يسهّلوا بالممارسة هذا العمل على أنفسهم، ليتمكّنوا من الإتيان بالنوافل، لا سيما نافلتي الصبح والمغرب أيضاً. وإن كان بين الأرحام والأقرباء والأصدقاء من حرم نفسه من فيض الصلاة، فليردعوه عن ارتكاب هذا الذنب الكبير والخسارة العظمى، وليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة).

[خطاب بتاريخ ١٥ ربيع الثاني ١٤١٦هـ]

آثار الذكر وموانعه

.. ذكر اللّه يضيء مشعلاً في قلب الإنسان، ويغمر الأفئدة بالنور، ويمسح عنها غبار الحقد والبغضاء والأنانية، ويمثّل مرساة للقلوب المتلاطمة والمضطربة، وبذكر اللّه يتولّد الهدوء وتطمئنّ القلوب وتُستعاد الثقة.

وإنّ ذكر اللّه هو دائماً في متناول القلوب الطيبة، ما عدا قلباً ابتُلي بداء الخبث، فلن يتيسّر له ذكر اللّه، ولن يكون مثل هذا التوفيق من نصيبه، وسيضلّ طريقه نحو حريم القدس الإلهيّ. إنّ القلب الملوّث بالشهوة وحبّ السلطة وكراهية عباد اللّه، والملوّث بالحسد والأنانية والجشع المادِّيّ لا يجد طريقه نحو حريم القدس الإلهيّ إلّا إذا تطهّر من كلّ ذلك:

قم تطهَّر قبل أن تغشى حريم العاشقين

لا تدنّس كعبة الوصل برجس الآثمين

إنّ الطريق إلى حريم قدس الذكر الإلهيّ مغلق أمام القلوب الملوّثة، فلا بدّ لها أن تتطهّر من الدنس. ولو كتب للقلب أن يتعطّر ويتزيّن بذكر اللّه، فسوف تتيسّر له الاستجابة الإلهيّة بلا أدنى شكّ: (ادعوني أستجب لكم)؛ فلا دعاء إلّا وهو مستجاب. ولا تعني الاستجابة أن يتحقّق للإنسان ما يريد على نحو الإطلاق - فمن الممكن أن يتحقّق له ذلك، ومن الممكن أيضاً أن لا يتحقّق نظراً لبعض العلل والمصالح والموجبات - ولكن لا بد من الاستجابة الإلهية. وهذه الاستجابة الإلهية هي نظر اللّه تعالى إلينا وعطفه علينا وشفقته بنا، حتّى ولو لم يتحقّق لنا ما نريد، وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم. لكنّ نداء (يا اللّه) لا بدّ وأن يستتبع: (لبّيك). فلنحاول تعطير قلوبنا وتطهيرها، فما أحوجنا اليوم إلى تطهير القلوب!

[خطاب بتاريخ ٧ ربيع الثاني، ١٤١٢هـ- طهران]

توطيد العلاقة بالله

إنّ مسؤوليّاتنا لخطيرة، وقد فرض اللّه سبحانه وتعالى، كلّ هذه العبادات الثقيلة وهذا السهر المضني في جوف الليل على النبي الأكرم ﷺ، وحثّه على البكاء والتضرّع في كافّة الميادين بسبب ما يحمل على عاتقه من مسؤوليّة جسيمة. إنّ الإنسان بحاجة إلى توثيق علاقته باللّه تعالى بقدر ما يتحمّل من مسؤوليّة. ولو استطعنا توثيق صلتنا به سبحانه، لصلحت أمورنا وتمهّدت أمامنا السبل، واستضاءت أذهاننا، وباتت الآفاق واضحة أمامنا. وأما إذا لم نتمكّن من حلّ هذه العقدة فلن تستقيم أمورنا على ما ينبغي. ربّما يستطيع الإنسان تحقيق النجاح في بعض الأمور، إلّا أنّ الهدف لا ينحصر أبداً بالنجاح في الأمور الدنيوية. فهدف الإنسان المؤمن الموحّد يمتدّ إلى ما وراء عالم الطبيعة والمادّة حتّى لو كان عالم المادّة مقدّمة وتمهيداً وصراطاً إلى تلك الأهداف السامية. إنه لا خيار أمامكم سوى عبور هذا الصراط، لكن لا يجدر بكم التوقّف عليه. وإنّ الأهداف لا بدّ وأن تمتدّ إلى ما وراء هذا العالم؛ وإنّنا ندعو اللّه سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى بلوغ هذه الأهداف.

[خطاب بتاريخ ٧ ربيع الثاني، ١٤١٢هـ- طهران]

التحرك في سبيل الله

أعزّائي! إنّ الآية التي تلوتها عليكم في بداية هذا الحديث تتعلّق بإحدى غزوات الرسول ﷺ وهي ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ

جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فكان جوابهم: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. وبالطبع (حسبنا اللّه ونعم الوكيل) لا يتأتّى مع القعود والراحة. فليس من المعقول أن نعقد أيدينا على صدورنا، ولا نبذل جهداً، ولا نقوم بحركة، ولا نحمل أرواحنا على أكفّنا، ولا نريق ماء وجوهنا، ثمّ نقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾! وليس اللّه بكافٍ عبده إلّا أن يجاهد في سبيله في ساحة النزال.. وكلّ حركة جيّدة تبدر منا، وكلّ عمل تكون غايته تقوية هذه الحكومة، وتقوية الإسلام، فإنّنا في الواقع، نكون قد وجّهنا ضربة للعدوّ، وعندئذٍ نقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، ويكون الجواب الإلهيّ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

[خطاب بتاريخ ٧ ربيع الثاني، ١٤١٢هـ- طهران]

الركون إلى الدنيا

عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: فيما ناجى اللّه عزّ وجلّ به موسى عليه السلام: يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأمّاً. يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها إذاً لغلب عليك حبّ الدنيا وزهرتها. يا موسى نافس في الخير أهله واستبقهم إليه، فإنّ الخير كاسمه. واترك الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينك إلى كلّ مفتون بها وموكل إلى نفسه؛ واعلم أنّ كلّ فتنة بدؤها حبّ الدنيا. ولا تغبط أحداً بكثرة المال فإنّ مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق. ولا تغبطنّ أحداً برضى

الناس عنه، حتى تعلم أنّ اللّه راضٍ عنه. ولا تغبطنّ مخلوقاً بطاعة الناس له، فإنّ طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير حقّ هلاك له ولمن اتبعه).

قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: فيما ناجى اللّه عزّ وجلّ به موسى عليه السلام، يتضح من هنا أنّ الباري عزّ شأنه بصدد بيان أسمى الحقائق والحكم لنبيّه العظيم؛ ولذلك عبّر في الحديث بلفظ (ناجى) ولم يقل (أوحى). فلعلّ في التعبير بلفظة (ناجى) قرينة على ما قلناه من أنّ اللّه تعالى شاء أن يبيّن مواضيع مهمّة جداً لموسى عليه السلام عن طريق النجوى.

(يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين) ويراد بالركون الميل القلبيّ والتعلُّق الروحيّ: أي أنّه لو لم يكن التعلّق بالدنيا لما ظلم الإنسان عباد اللّه ولما عذّبهم وآذاهم، فالظلم هو ذروة التعلّق بالدنيا والركون إليها.

(ركون من اتخذها أباً وأمّاً) أي كالذي جعل الدنيا همّه الوحيد وشغله الشاغل بحيث إنّه لا يفكّر في شيء سواها كالطفل الذي يلجأ إلى أبيه وأمّه يتعلّق بهما ولا يفكّر بأحد غيرهما.

(يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها إذاً لغلب عليك حبّ الدنيا وزهرتها) وقوله (لتنظر لها) غير (لتنظر إليها) فالنظر إلى الدنيا ليس مذموماً، وإنما المذموم هو (النظر للدنيا) أي التفكير بالدنيا.

وهنا أودّ الإشارة إلى هذه النقطة وهي: أنّ المراد بالدنيا في هذا

الحديث والأحاديث المشابهة له ليس الأرض وما يتعلّق بها، ولا العمران أو الانشغال بأمور الناس أو ما شاكل، بل المراد من الدنيا هو مظاهرها: كالمال والجاه والمنصب والتي يجهد الناس أنفسهم للحصول عليها. إذاً، كلّ ما على الأرض من نعم وطيّبات وجمال تصبو إليها النفس الإنسانية يعبّر عنه في لسان الروايات والأحاديث بـ (الدنيا) وبالطبع فهي دنيا مذمومة. ومن الواضح أنّ الإنسان كلّما ازداد تفكيره بالدنيا وانشغل بها أكثر ازداد رغبة وتعلّقاً بها، وازداد شوقه إليها، وإذا أعرض عن الدنيا فسيقلّ حبّه لها بالتدريج. وليس المقصود من هذه الرواية وأمثالها أن يقعد الإنسان عن العمل والجدّ ويقبع في زاوية بيته، كما تصوّر البعض هذا المعنى المغلوط ولسنوات - ومنهم لقرون- متمادية، فنهج نهجاً خاطئاً واختار العزلة والانزواء بعيداً عن صخب الحياة وميادين العمل والجدّ والاجتهاد، ناسباً هذا اللون الخاطئ من الفهم إلى الإسلام، إذاً المراد بالدنيا ليس هذا المعنى المغلوط.

(يا موسى نافس في الخير أهله واستبقهم إليه فإن الخير كاسمه)؛ أي أنّ معاني الخير ومصاديقه هي كاسمه جميلة ومرضية، ويبدو أنّ المقصود من الخير الأعمال الصالحة ذات الطابع العامّ من قبيل الإحسان إلى المؤمنين، ومساعدة الأخوان، والاتحاد، وعبادة اللّه تعالى، والزهد في الدنيا، وغير ذلك من الصفات الحميدة. ويأتي لفظ الخير بمعنى أفعل التفضيل ويدلّ على الأفضليّة؛ وبذلك يكون معنى الحديث: أنّ أفعال الخير كاسمه أفضل من أيّ شيء آخر. فإذا قام أحدكم بعيادة مريض أو أسدى خدمة إلى مؤمن، أو تعاون

مع الآخرين لإنجاز أمر من الأمور، أو طلب علماً، أو عرض عن الدنيا وزخارفها، أو جاهد في سبيل اللّه، أو عبده عزّ وجلّ، كلّ هذه الأعمال هي أعمال خير، وهي أفضل من أيّ شيء آخر يمكن أن يخطر على بال الإنسان، من قبيل المال والولد والجاه والمنصب وما شاكل من أمور مادِّية ودنيويّة.

(واترك الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر إلى مفتون بها)؛ إمّا أن نعتبر (عين) فاعل أي امنع عينك من أن تنظر وترى، أو بمعنى لا تري عينك ولا تعرض عليها، أو أن تكون كلمة (عينك) منصوبة بنزع الخافض لـ (لا تنظر بعينك).

(واعلم أنّ كلّ فتنة بدؤها حبُّ الدنيا) أي أنّ منشأ الفتن هو حبّ الدنيا. وهذه الحقيقة تؤيدها وتسندها الشواهد التاريخية، فأينما تجد فتنة أو ضلالاً أو خلطاً بين الحقّ والباطل فستجد أنّ أساس ومنشأ ذلك كلّه هو حبّ الدنيا وحبّ الجاه.

(ولا تغبط أحداً بكثرة المال) وهذه من موارد الابتلاء الموجودة في مجتمعنا عند ذوي النفوس الضعيفة.

(فإنّ مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق) أي عندما تكثر أموال المرء تكثر الحقوق التي عليه ممّا يؤدي إلى كثرة الذنوب؛ فيتّضح من ذلك أنّ الحقوق والواجبات إذا كثرت فإن الإنسان سيعجز عن تأديتها، ولو لم يكن ليعجز عن تأديتها لما ترتّبَ عليه ذنب من الذنوب.

هذا إذا كان المال قد اكتُسب من الحلال، ولو كان عن طريق الحرام فإنّ الوضع سيسوء أكثر فأكثر. ويحتمل أنّ الحديث يشير إلى خصوص كثرة المال عن حرام، أي أن الإنسان عندما يحصل على المال عن طريق الحرام فإنه لا بدّ وأن يكون قد ضيّع حقوقاً كثيرة.

(ولا تغبطنّ أحداً برضى الناس عنه حتى تعلم أنّ اللّه راضٍ عنه). فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا حول شخص ما وأخذوا يهتفون له ويتودّدون إليه فلا تغبطه ما دمت لا تدري هل اللّه راضٍ عنه أو لا، فما يدريك لعلّ في باطنه ـ لا سمح اللّه ـ ما يوجب غضب الباري عزّ وجلّ عليه، وحينئذٍ لا ينفعه رضى الناس، حتّى ولو كان رضى الناس حقيقيّاً.

(ولا تغبطنّ مخلوقاً بطاعة الناس له، فإنّ طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحقّ هلاك له ولمن اتبعه).

أرجو العليّ القدير وأسأله بحرمة المعصومين عليهم السلام أن لا يجعلنا من التابعين ولا من المتبوعين على غير الحقّ.

والسبب في اختياري لهذه الرواية بالذات هي أنّ مجتمعنا اليوم يمرّ في ظروف أرى من الضروريّ فيها أن نقرأ عليه روايات عن الزهد ـ وفي نهج البلاغة هناك الكثير من الروايات والخطب في خصوص الزهد ـ، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنّ الزهد هو أسمى التكاليف والواجبات ولا أحسنها، ففي بعض الأحيان يكون الزهد أفضل وأسمى، وفي بعض الأحيان يكون الجهاد أو العبادة أو طلب العلم هو الأفضل والأسمى.

الظروف والأوضاع هي التي تحدّد لنا متى يكون الزهد أفضل وأعلى درجة من غيره من الواجبات. ويبدو أنه يجب علينا، في الوقت الراهن، أن ندعو الناس والمجتمع إلى الزهد؛ وذلك لأنّ المجتمع يتجه باتجاه المال، ولأنّ الثروة في ازدياد مضطرد؛ بحيث إنه لو كان هناك أناس من أهل الدنيا فإنّ بمقدورهم أن يجمعوا الثروة بطرق متعدّدة وعلى غير حقّه. وحتى لو أنهم انهمكوا في جمع المال والثروة عن طريق الحلال فسيُفتنون بالدنيا وتسوء عاقبتهم بسوء الافتنان؛ خاصّة في الحوزات العلميّة والمجالات التي يشغلها المعمّمون وعلماء الدين وطلبة العلوم الدينية.

[خطاب بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٤١٦هـ]

مراتب الصوم

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾. تتحدّث الآية الشريفة عن مسألة الصوم، وأنّ هذه الفريضة الإلهية كُتبت أيضاً على الأمم التي سبقت الأمّة الإسلاميّة. هذا الصوم الذي نتحدّث عنه بصفته تكليفاً إلهيّاً، يُعتبر في الحقيقة نعمة إلهية وفرصة ثمينة جدّاً لمن يُوفّقون للصوم، وهو لا يخلو من المصاعب طبعاً، بل إنّ جميع الأعمال المباركة والمفيدة لا تخلو من المصاعب؛ والإنسان بدون تحمّل المصاعب لا يصل إلى الغاية المنشودة. وهذا القدر من المصاعب التي تواجه الإنسان أثناء الصيام لا تكاد تمثّل شيئاً ذا بال في مقابل ما يعود عليه بالنفع؛ وذلك لأنّه ينفق القليل ويحصل على الكثير.

ذكروا للصوم ثلاث مراتب، وكلُّها مفيدة لمن هم أهل لها.. الأولى منها هي مرتبة الصوم العامّ بما يعنيه من الامتناع عن الطعام والشراب وسائر المحرّمات. ولو كان الصوم لا يعني إلّا الإمساك عن هذه الأمور، لكانت فيه منافع كثيرة؛ لأنه بمثابة تعليم لنا، ولنا فيه درس وتمرين وممارسة واختبار، وهو بمثابة رياضة تفوق في فائدتها الرياضة الجسمية. وقد وردت عن الأئمّة عليهم السلام روايات تتحدّث عن هذه المرتبة من الصيام.

فهناك رواية منقولة عن الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام)، يعلّل فيها الصوم بقوله: (ليستوي به الغني والفقير)؛ على اعتبار أنّ الفقير لا يستطيع الحصول على كلّ ما تشتهيه نفسه من الأطعمة والأشربة طوال اليوم، بينما الغني يستطيع الحصول على كلّ ما لذّ وطاب. ومن الطبيعي أنّ الغني لا يدرك حالة الفقير، وعدم قدرته على توفير كلّ ما تشتهيه نفسه. أمّا عند الصوم فيصبح وإياه على حدّ سواء ويحرم كلاهما من المشتهيات النفسيّة باختيارهما.

ووردت عن الإمام الرضا عليه السلام، رواية أخرى يشير فيها إلى نكتة أخرى، حيث يقول: (لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلّوا على فقر الآخرة)؛ إذ إنّ من جملة الابتلاءات التي يواجهها الإنسان في يوم القيامة هي الجوع والعطش. وهكذا يجب عليه مكابدة جوع وعطش شهر رمضان ليعرف حالة يوم القيامة ويتنبّه إلى صعوبة تلك اللحظة العسيرة.

وهناك أيضاً رواية عن الإمام الرضا عليه السلام، تعنى ببُعد آخر من أبعاد الصيام، وهو بُعد الجوع والعطش، يقول عليه السلام فيها: (صابراً لما أصابه من الجوع والعطش)؛ أي أنّ الصوم يمنح الإنسان القدرة على الصبر على تحمّل الجوع والعطش. فالأشخاص الذين يتربّون في ظلّ حياة مترفة لا يذوقون فيها الجوع والعطش ليس لديهم قدرة على الصبر والتحمُّل، ويهزمون سريعاً في الكثير من الميادين، وتسحقهم عجلة الحياة وشدائدها وتجاربها بكلّ سهولة؛ أمّا الإنسان الذي ذاق طعم الجوع والعطش فهو يعرف معنى هذه الأمور ويتحلّى بالقدرة على تحمل الشدائد التي قد تعرض له عن هذا الطريق. وشهر رمضان يمنح الجميع هذا الصبر وهذه القدرة على التحمّل.

ووردت في هذا الميدان أيضاً رواية أخرى عن الإمام الرضا (عليه الصلاة والسلام)، ولعلّ هذه الجمل تشكل عدّة فقرات من حديث واحد، فهو يقول في وصف شهر رمضان: (ورائضاً لهم على أداء ما كلّفهم)؛ أي أنّ تحمّل الجوع والعطش في شهر رمضان يعدّ نوعاً من الرياضة التي تجعل الإنسان قادراً على تأدية شتّى تكاليف الحياة. والمراد هنا طبعاً هو الرياضة الشرعيّة والرياضة الإلهيّة والرياضة الاختياريّة؛ إذ إنّ من جملة الأمور التي تمكّن الإنسان من طيّ السبل العسيرة في الحياة هي الرياضة الروحية التي يلتجئ إليها الكثيرون، وهي رياضة شرعية طبعاً.

وعلى هذا، نفهم من الأحاديث الآنف ذكرها أنّ هذه المرتبة

من الصيام، أي مرتبة تحمّل الجوع والعطش، تخلق لدى الأغنياء شعوراً بالمساواة مع الفقراء، وتذكّر الإنسان بجوع يوم القيامة، وتعوّده على الصبر وتحمّل الشدائد، كما أنّ الصوم بصفته رياضة إلهية، يعلّم الإنسان الصبر على أداء التكاليف. هذه الفوائد موجودة كلّها في هذه المرتبة، علاوة على أن خلوّ البطن من الطعام واجتناب الأعمال المباحة في سائر الأيام يزود الإنسان بنورانية وصفاء ونقاء، وهو ما ينبغي اغتنامه.

المرتبة الثانية من مراتب الصوم هي الورع عن المحارم، أي أن يحفظ الإنسان أذنه وعينه ولسانه وقلبه وحتى جلده وشعره - كما جاء في بعض الروايات - عن اقتراف المآثم. فقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب). وهذه مرتبة أخرى من مراتب الصوم أكثر رفعة من الأولى. إذاً، فرصة شهر رمضان ثمينة يجب اغتنامها للتمرين على ترك المآثم.. كثيراً ما يطلب مني بعض الشباب، أثناء مراجعتهم لي، أن أدعو لهم لكي يستطيعوا كفّ أنفسهم عن المعاصي. ولا شكّ في أنّ الدعاء أمر جيّد ولازم، بيدَ أن التورّع عن اقتراف الذنوب يستلزم إرادة لدى الإنسان، حيث يجب عليه أن يعزم على ترك الذنب، وحينما يعزم المرء يصبح هذا العمل سهلاً جدّاً؛ فاجتناب المعاصي يبدو أمام نظر الإنسان وكأنه جبل، ولكنّه يبدو، بعد العزم، وكأنه أرض منبسطة. وشهر رمضان أفضل فرصة للتمرّن على هذا العمل.

وردت في هذا المجال رواية أخرى منقولة عن فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها)، وهي أنّها قالت: (ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه؟!)

ويُروى أنّ امرأة أهانت خادمتها، ويبدو أنهما كانتا تجاوران الرسول ﷺ، أو كانت معه في سفر. وكان بيد الرسول ﷺ طعام، فقدّمه لها وقال لها: (كُلي)، قالت: أنا صائمة، فقال لها: (كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟! إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل اللّه ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول). أي أنّ اللّه تعالى أراد من الإنسان اجتناب الذنوب والمعاصي والآثام.. ومن جملة الآثام هي التي يقترفها اللسان وإهانة الآخرين والإساءة إليهم. ومنها أيضاً الآثام القلبية، أي شحن القلب بالحقد والكراهية للآخرين، فبعض الآثام يصدق عليها معنى الاصطلاح الشرعيّ، والبعض الآخر منها أخلاقيّ ولها مراتب شتّى.

إذاً، فالمرتبة الثانية من الصوم هي الورع عن اقتراف الذنوب والآثام والمعاصي، وإنّي أوصي الشباب خاصّة باغتنام هذه الفرصة، فالشابّ لديه القدرة من جهة، ويتّصف بصفاء القلب ونورانيّته من جهة أخرى. اغتنموا هذه الفرصة طوال مدة شهر رمضان، ومرّنوا أنفسكم على اجتناب الذنوب، وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الصوم.

أمّا المرتبة الثالثة من مراتب الصوم فهي اجتناب كلّ ما يجعل

فكر ووجدان الإنسان غافلاً عن ذكر اللّه. وهذه هي تلك المرتبة السامية التي وردت في حديث المعراج عن الصوم؛ حيث يُروى أنّ رسول اللّه ﷺ قال لربّه (جلّت عظمته): (يا رب، وما ميراث الصوم؟) قال: (الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم بيسر). واليقين هو ما طلبه النبيّ إبراهيم من ربّه، وورد ذكره في مواضع متكرّرة وعديدة من أدعية هذا الشهر. وعندما يكون للإنسان يقين، تهون عليه كلّ مصاعب الحياة، ويكون في وضع لا تغلبه فيه حوادث الدهر. لاحظوا مدى أهمية هذا الأمر؛ فالإنسان الذي يروم طيّ سبيل التعالي والتكامل في سنوات حياته، وليصبح على درجة من الصلابة بحيث لا تقهره عوادي الزمن، يمكنه اكتساب هذا كلّه من اليقين، وهذا كلّه ناجم عن الصوم. فإذا أحيا الصوم ذكر اللّه في قلب المرء، وأضاء فيه نور معرفة اللّه، تأتي هذه الأمور كلّها تبعاً له؛ وكلّ ما يؤدّي به إلى الغفلة عن ذكر اللّه يضمحلّ على أثر الصوم. فهنيئاً لمن يستطيعون بلوغ هذه المرتبة. وما علينا إلّا أن ندعو اللّه ونسأله ونصمّم على إيصال أنفسنا إلى هذه المرتبة.

(اللَّهمَّ إنّا نسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن تجعلنا ممّن أخلص لك الصيام، ووفّقنا لبلوغ الدرجات العليا للصيام، ومنّ علينا بجميع البركات التي جعلتها لهذه الفريضة).

[خطاب بتاريخ ٨ رمضان ١٤٢٠هـ- طهران]

روح الاستهلاك تدمّر المجتمع

إنّ الجنوح نحو الاستهلاك وبال عظيم بالنسبة إلى المجتمع، فالإسراف يضاعف ويعمِّق الفوارق الطبقيّة بين الفقير والغني يوماً بعد يوم، وإنّ من الأمور التي يتعيّن على أبناء الشعب اعتبارها واجباً بالنسبة إليهم، تجنُّب الإسراف، وعلى الأجهزة المسؤولة في مختلف مرافق الدولة، لا سيّما الأجهزة الإعلامية والثقافية - وعلى وجه الخصوص الإذاعة والتلفزيون - أن ترى من واجبها ليس عدم جرّ الجماهير باتجاه الإسراف والاستهلاك والبهرجة فحسب، وإنما سوقهم بالاتجاه المعاكس، ودعوة الناس وسوقهم نحو القناعة والاكتفاء، والإنفاق حسب الحاجة، وتجنب الإفراط والإسراف، فروح الاستهلاك تدمِّر المجتمع.

إنه واجب الجميع أن يبادر كلٌّ منا إلى تقليص حالة البهرجة والإسراف والإفراط بأي نحو كان، وهذا ما يستدعي همَّة وتضحية وبصيرة ووعياً.

[خطاب بتاريخ ١ شوال ١٤٢٣هـ]

التمهيد للإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف

«... واجبكم اليوم هو أن تمهّدوا له الأمور لكي يأتي وينطلق من تلك القاعدة المهيَّأة، لا يمكن الانطلاق من نقطة الصفر. المجتمع الذي يمكنه أن يتقبّل حكومة المهديّ الموعود، أرواحنا فداه، هو

المجتمع المستعدّ المتوفّر على القابليّة لذلك، وإلا سينتهي إلى نفس المصير الذي انتهى إليه الأنبياء».

[خطاب بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢٣هـ]

الجنديّة عند إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف

«فالانتظار الذي تحدّثوا عنه ليس الجلوس وذرف الدموع، بل الانتظار إنما يعني وجوب إعداد أنفسنا جنوداً لإمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف، فالجندية عند إمام الزمان ليست بالأمر الهيّن، بل الجنديّة عند منقذ عظيم يصبو لمقارعة دوائر الهيمنة والفساد الدوليين كليهما، تحتاج إلى بناء ذات ووعي وبصيرة... فينبغي أن لا يراودنا التصوُّر أنه بما أنّ إمام الزمان سيأتي ويملأ الدنيا عدلاً وقسطاً، فلا تكليف علينا الآن. كلّا، بل العكس، إذ إنّنا مكلّفون الآن بالتحرّك باتجاه الاستعداد لظهوره عجّل الله فرجه الشريف...

وإنّ أعظم واجب يتحمّله المنتظرون لإمام الزمان هو الاستعداد من الناحية المعنوية والأخلاقية والعمليّة، ومن حيث ترسيخهم للأواصر الدينية والعقائدية والعاطفية مع المؤمنين، وكذلك منابذة الجبابرة... ومن كان على استعداد للدفاع عن القيم وعن الوطن الإسلامي وعن راية الإسلام الخفّاقة في حالة تعرّض بلد الإسلام للخطر، بوسعه الإدعاء بأنه سيقتحم سوح الخطر خلف إمام الزمان إذا ما ظهر، أمّا الذين ينهارون وترتعد فرائصهم في مواجهة الخطر والانحراف ومفاتن الدنيا وحلاوتها، والذين ليسوا على استعداد

للقيام بأية حركة من شأنها تعريض مطامعهم للخطر فأنّى لهم أن يكونوا في عداد المنتظرين لصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟.

فالمنتظر لذلك المصلح العظيم يتعيّن عليه إعداد مقوّمات الصلاح في نفسه، ويعمل ما يمكّنه من الثبات لتحقّق الصلاح».

[خطاب بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢٣هـ]

أصالة قضيّة المهدويّة

إنّ قضيّة المهدويّة هي في عِداد المسائل الأصليّة التي تدور في سلسلة المعارف الدينيّة العليا كقضية النبوّة مثلاً، حيث إنّ أهمّيتها ينبغي أن تُقارن بأهميّة النبوّة. لماذا؟ لأنّ ذاك الشيء الذي تبشّر به المهدويّة هو نفس الأمر الذي جاء من أجله جميع الأنبياء، وانطلقت من أجله جميع البَعَثات، وهو عبارة عن إيجاد عالم توحيديّ مبنيّ وقائم على أساس العدالة وبالاستفادة من جميع الاستعدادات التي أودعها اللّه تعالى في الإنسان؛ ومثل هذا العصر هو عصر ظهور الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، هو عصر المجتمع التوحيديّ، عصر حاكميّة التوحيد، عصر الحاكمية الحقيقية للروحانية والدين على كلّ مجالات حياة البشر، وعصر استقرار العدل بمعناه الكامل والجامع. حسناً، لقد جاء الأنبياء من أجل هذا.

لقد ذكرنا مراراً أنّ جميع التحرّكات التي قام بها البشر في ظلّ تعاليم الأنبياء وطيلة هذه القرون المتمادية، هي حركةٌ نحو الجادّة العريضة المُعبّدة التي ستكون في عصر الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، متّجهةً

نحو الأهداف السامية حيث يسير الناس عليها. مثله مثل جماعةٍ من الناس يتحرّكون في الجبال والأودية والطرق الشاقّة والصعبة والمُنعطفات الخطرة تبعاً لإرشاد أشخاصٍ معيّنين من أجل أن يصلوا إلى تلك الجادّة الأساسيّة. فعندما يصلونَ إلى الجادّة الأساسيّة يُفتح الطريق أمامهم ويتبيّن الصراط المستقيم وتصبح الحركة عليه سهلة، ويمكن السير عليه بِيُسر. فإذا وصلوا إلى تلك الجادّة الأساسيّة لن تُبتلى هذه الحركة بالتوقّف؛ كلا، بل سيبدأون سعياً جديداً نحو الأهداف الإلهية السامية؛ وذلك لأنّ استعدادات البشر لا منتهى لها. وطوال هذه القرون المتمادية كان البشر يسيرون على هذه الطرق وعلى المنعطفات والطرق الصعبة والشاقّة، وهم يواجهون الموانع المتعدّدة بأبدانٍ متعبة وأقدامٍ مثخنة بالجراح، من أجل أن يُوصلوا أنفسهم إلى هذه الجادّة الأصلية. وهذه الجادّة الأصلية هي جادّة زمان الظهور؛ إنّه عالم الظهور الذي ستبدأ البشريّة فيه حركتها.

فلو لم تكن المهدوية لكان معنى ذلك أنّ جميع مساعي الأنبياء، وكلّ هذه الدعوات والبعثات، وهذه التضحيات والجهود المضنية، ستكون بلا فائدة، وتبقى بلا أثر. لهذا إنّ قضية المهدوية هي قضيةٌ أساسية وتُعدّ من المعارف الإلهية الأساسية. لهذا فإنّ جميع الأديان الإلهية تقريباً - إلى الحدّ الذي وصلت إليه مطالعاتنا - لديها ما يُمثّل اللبّ والمعنى الحقيقيّ للمهدوية، لكن بأشكالٍ تمّ تحريفها وأشكالٍ مُبهمة دون أن يتّضح المراد منها بالدقّة.

[خطاب بتاريخ ٩-٧-٢٠١١]

انتظار الإمام المهديّ(عج) عجّل الله فرجه الشريف

الانتظار يوجب على الإنسان أن يُعدّ نفسه بطريقةٍ وهيئةٍ وخُلُقٍ يُقارب الشاكلة والهيئة والخُلُق المتوقّع في الزمان الذي ينتظره. فهذا من لوازم الانتظار. فعندما يكون ذلك العصر المُنتظَر هو عصر الحقّ والتوحيد والإخلاص والعبودية للّه وهو منتظَرٌ فعلينا أن نُقرّب أنفسنا من مثل هذه الأمور ونُعرّف أنفسنا على العدل ونُهيّئها للعدل ولقبول الحقّ. إنّ الانتظار يُوجد مثل هذه الحالة. ومن الخصائص المُودعة في حقيقة الانتظار، أنْ لا يقنع الإنسان بمقدار التقدّم الحاصل في وضعه الحاليّ؛ بل يسعى للإكثار منه يوماً بعد يوم، وأن يزيد من تحقّق الحقائق ومن الخصال المعنوية والإلهية في نفسه وفي المجتمع. إنّ هذه من لوازم الانتظار...

وكلّما استأنست القلوب بمقولة المهدوية وتعرّفت عليها وأضحى حضور هذا العظيم بالنسبة إلينا نحن الذين نعيش في عصر الغيبة، محسوساً أكثر، ونشعر به أكثر، ويتعمّق ارتباطنا به، فسيكون أفضل بالنسبة إلى عالمنا ولتقدّمنا نحو تلك الأهداف.

[خطاب بتاريخ ٩-٧-٢٠١١]

التفكّر في العمر.. والموت.. والأدعية

فلنفكّر في أعمارنا. فالعمر هو الرأسمال الأساسيّ لكلّ إنسان. إنّ جميع الخيرات تتحقّق بوساطة العمر - هذه الساعات التي تمرّ علينا - هي الرأسمال الذي يمكنه أن يمنح الإنسان السعادة الأبدية

والجنة الباقية. وعلينا أن نفكر بشأن هذا العمر وننظر إلى انقضائه. فتصرّم ساعات حياتنا وأيام وليالي أعمارنا ينبغي أن تكون محسوسةً عندنا. فلنتوجّه إلى تصرّم الزمان وانقضائه؛ فالعمر ثلجٌ والشمس شمس تمّوز وها هو الرأسمال يقلّ لحظةً بلحظة في حين أنّ هذا الرأسمال هو كلّ ما لدينا من أجل كسب سعادة الآخرة، فكيف نصرفه وفي أيّ طريقٍ نقضيه؟

التفكّر بشأن الموت وعبور هذا العالم ولحظة خروج الروح من هذا البدن وملاقاة ملك الموت؛ كلّ هذه أمور حتميَّة لكلّ واحدٍ منّا، كلّ نفسٍ ذائقة الموت، فكيف سيكون حالنا في تلك اللحظة؟ وكيف سيكونُ حال قلوبنا عندها؟ فكلّ هذه مسائل جديرة بالتدبّر والتأمّل. إنّ التفكّر في مثل هذه الأمور يُعدّ من التفكّر المطلوب والأساسيّ والضروريّ.

وهناك مجالٌ آخر للتفكّر هو هذه الأدعية. فإنّ المضامين التي تحتويها هذه الأدعية المأثورة فائقة الأهمية. وفي كتاب المراقبات يقول: «إنّ الحقائق والمعارف التي وصلَتْ إلينا في الأدعية عن المعصومين عليهم السلام، لا يوجد عُشرٌ منها في جميع الروايات والخطب التي وصلَتْ إلينا عنهم عليهم السلام، ما خلا تلك الروايات والخطب التوحيدية». فهذه الأدعية تتمتّع بأهمية فائقة.

[خطاب بتاريخ ٧-٨-٢٠١١]

المطالعة والكتاب

من أسوأ أنواع الكسل وأشدّها خسارةَ هو الكسل في مطالعة الكتاب. وكلّما فسح الإنسان المجال لهذا الكسل فإنّه سيزداد. فيجب ترويج المطالعة في المجتمع... فلنعمل على أن تصبح المطالعة أمراً رائجاً، ولا ينفصل الكتاب عن أيدي شبابنا. إنّ ما يُقال بأنّ معدّل ساعات المطالعة اليومية هو هذا المقدار ليس رقماً مُرضياً، فيجب أن يزيد الأمر كثيراً. فلا يستغني المرء عن الكتاب أبداً. من مرحلة الحداثة، ومن بداية التعليم إلى آخر العمر يحتاج الإنسان إلى الكتاب، يحتاج إلى إدراك القضايا، وجذب الموادّ المُغذية المعنوية والروحية والفكرية؛ يجب أن يصبح هذا الأمر مفهوماً على مستوى عموم المجتمع، ويجب متابعته واتّخاذ الإجراءات بشأنه.

[من خطاب بتاريخ ٢٠-٧-٢٠١١]

أهمّيّة العمل

يجب أن تصبح ثقافة العمل في البلد بحيث يعتبر الناس العمل عبادة. وكلٌّ يريد بشوق أن يزيد من ساعات العمل من حيث المدّة والمقدار. يجب العمل على ذلك. فبالبطالة والخمول والكسل لن تُطوَّر البلاد.

[من خطاب بتاريخ ٧-٨-٢٠١١]

الثواب الإلهيّ

أنتم المسؤولين المحترمين في مختلف المجالات - سواء في المجالات التعليمية، أو الخدماتية، أو الصناعية، أو الزراعية، أو الثقافية، أو الصحية والعلاجية، أو العسكرية والأمنية وغير ذلك - اعلموا أنّ هذه الخدمة التي تؤدّونها، أجرها ليس فقط ذلك الراتب الذي تتقاضونه من الأجهزة الحكومية؛ أجركم عند اللّه. الأجر والثواب الذي يهبه اللّه تعالى أعلى بدرجات وأكثر قيمة وأعذب من الأجر والثواب الذي يعطونه للإنسان في الدنيا؛ سواء الأجر الماديّ أو حتى الشكر. من الممكن أثناء قيامنا بعمل ما، أن يشكرنا الناس، هذا أيضاً أجرٌ وثواب؛ لكنّ الثواب الإلهيّ أعلى من ذلك بكثير. أنتم تقدّمون خدمة، تتحرّقون وتشفقون، تمضون أوقاتاً، تبقون معظم أوقاتكم العادية في مكان العمل وتخدمون. من الممكن أيضاً أنّ أحداً لا يفهم، ولكن اللّه يعلم. يحدث كثيراً ونحن طوال هذه الخدمة الممتدّة لأكثر من ثلاثين سنة صادفنا لمرّات عدّة أفراداً لم يطّلع عليهم أحد، ولم يعلم بشأنهم حتى من كان فوقهم أو تحت أيديهم أو معاوناً لهم، قد صاروا من الذين يعملون بحرص وحرقة؛ يطالعون الملفّات، ويستمرّون بالعمل، حتى بعد انتهاء دوام العمل الإداريّ أيضاً، يقول في سرِّه: فلأبقَ لنصف ساعة أخرى، أو ساعة وأتمّ هذا العمل. وذلك كلّه دون أن يلتفت إليه أي إنسان، ولم يشكره أحد. اعلموا أنّ هذا يبقى عند اللّه. لم يطلع أحد، الكتبة الإلهيون يعلمون، الكتبة الكرام يدركون. هم يحصون ويسّجلون ذلك. ذلك اليوم الذي تحتاج فيه أعين وأفئدة الجميع إلى اللطف والرحمة والمغفرة الإلهية. تلك (الأعمال) ستغدو بالنسبة إليكم ذخيرة منيرة

للقلب والعين؛ تلك الأعمال في ذلك اليوم الصعب والمهول للقيامة، ستظلّل رؤوسكم. بناءً عليه، الثواب الإلهيّ أعلى بكثير؛ التفتوا إلى هذا الأجر والثواب. اعلموا أنّ كلّ عمل تعملون به، كلّ خدمة تقدّمونها للناس، هي عند اللّه تعالى محفوظة ومدوّنة. عندما تعملون بهذه الروحية، لن تتعبوا من العمل. لا ينهكنا؛ خاصّة مع الالتفات إلى أنّ بلدنا حقيقة يحتاج للعمل. فينبغي أن نتحرّك بقوّة في كافّة المجالات.

[خطاب بتاريخ ٢٧-١٠-٢٠١٠]

الطريق هو القرآن

إنّ الأُنس بالقرآن سوف يجعل قلوبنا أكثر إلفةً بمعارف القرآن. فكلّ نقصٍ يعاني منه العالم الإسلامي هو بسبب الابتعاد عن المعارف الإلهية والمعارف القرآنية. فالقرآن كتاب الحكمة والعلم والحياة. إنّ حياة الأمم والشعوب إنما تكون في ظلّ التعرّف على المعارف القرآنية والعمل بمقتضى هذه المعارف وتطبيق الأحكام القرآنية. لو كان الناس طالبين للعدالة ورافضين للظلم فعليهم أن يتعلّموا أسلوب مواجهة الظلم من القرآن. لو كان الناس طلاّب علم وأرادوا بوساطة المعرفة والوعي والعلم أن يُحسّنوا حياتهم ويُؤمّنوا راحتهم ورفاهيتهم، فإنّ الطريق سيُعرف بوساطة القرآن الكريم. إذا كان الناس بصدد معرفة اللّه تعالى وتحصيل الصفاء المعنوي والروحي والأُنس بمقام القرب الإلهيّ، فإنّ الطريق هو القرآن.

[خطاب بتاريخ ٢-٨-٢٠١١]

أهداف الثورة الإسلامية

إنّ حفظ الثورة لا يعني حفظ الوضع القائم، لماذا؟ لأنّ الثورة بذاتها هي حركةٌ تقدّميّة، وهذا التقدّم متسارع، فإلى أين يتّجه؟ إنّه يتّجه نحو الأهداف المرسومة. والأهداف لا تتبدّل. هذه هي الأصول والقيم التي ينبغي الثبات عليها، وبذل النفس في سبيلها، وهي الأصول والقيم التي تمّ تشخيصها في الأهداف. الهدف النهائيّ هو التسامي والتكامل والقرب الإلهيّ، والهدف الأدنى صناعة الإنسان؛ والهدف الأدنى من ذلك إيجاد المجتمع الإسلامي بكلّ خصائصه وآثاره التي تُعدّ إقامة العدالة منه، وكذلك التوحيد والمعنويّات. هذه هي الأهداف. وهي ليست قابلة للتبديل؛ أي أننا لا نستطيع أن نأتي بعذرٍ لنقصّر ونقلّل من ذاك الهدف، فنقول حسناً، إننا ذات يوم كنا نريد إقامة العدل، والآن نقول إنّ ذلك غير ممكن فلنسعَ لإقامة أنصاف العدالة! كلّا، العدالة هي هدفٌ، والتوحيد، واستقرار الشريعة الإسلاميّة بشكل كامل هذه هي أهداف، وهي غير قابلة للتبديل. ولكن من حيث توجيه التحرّك نحو هذه الأهداف فإنّ السرعة يمكن أن تزداد وتنقص، وكذلك يمكن تغيير الأساليب ويمكن كذلك تبديل التدابير. وفي هذه الجهة إنّ الثورة تقدّمية وتسير نحو الأمام. فحفظ الثورة يعني حفظ تلك الحالة، التقدّمية والتكاملية.

[خطاب بتاريخ ٤-٧-٢٠١١]

ما هو المجتمع الإسلامي؟

هو المجتمع الذي تتحقق فيه المثل العليا الإسلاميّة والأهداف الإسلامية والآمال الكبرى التي يرسمها الإسلام للبشرية. مجتمع عادل، مفعم بالعدالة، مجتمع حرّ، يكون للناس فيه دور وتأثير أساسيّ في إدارة البلاد وبناء مستقبلهم وتقدّمهم. مجتمع ذو عزة وطنية واكتفاء وطنيّ، مجتمع يتمتّع بالرفاهية وخالٍ من الفقر والجوع، مجتمع متقدم في جميع الأبعاد - التقدّم علميّ، التقدّم اقتصاديّ، التقدّم سياسيّ - وأخيراً، مجتمع لا يعرف السكن، بدون ركود، بدون توقّف وفي حال مسير دائم للأمام، هذا هو المجتمع الذي نسعى له ونرغب به.

هذا المجتمع لم يتحقّق حتى الآن، ولكننا نسعى جاهدين لتحقيق هذا المجتمع، فإذاً، أصبح هذا هو هدفنا الأساسيّ والمهمّ والوسطيّ.

لماذا نقول الوسطي؟ لأنه عندما يتشكّل هذا المجتمع، فإنّ أهم مسؤوليّاته أن يتمكن الناس، في ظلّ هكذا مجتمع وهكذا حكومة وهكذا أجواء، بأن يصلوا إلى الكمال المعنوي والكمال الإلهيّ، حيث ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، أن يصل الناس إلى عبودية اللّه. لقد فُسِّرت «ليعبدون» بـ «ليعرفون». وهذا لا يعني أنَّ «عَبَدَ» تعني «عَرَفَ» وأنّ العبادة تعني المعرفة، كلّا، بل تعني أن العبادة بدون المعرفة لا معنى لها، ليست ممكنة وليست عبادة. بناءً على هذا، إنّ المجتمع الذي يصل إلى العبودية للّه، يكون

قد وصل إلى المعرفة الكاملة باللّه ووصل إلى التخلُّق بأخلاق اللّه، وهذا هو نهاية الكمال الإنساني، وعليه فإنّ الهدف النهائيّ هو ذلك الهدف، والهدف الذي قبله هو إيجاد المجتمع الإسلامي، والذي هو هدف كبير جدّاً وعالٍ جدّاً.

حسناً، عندما يوجد هكذا مجتمع ستتحقّق أيضاً الأرضية لإيجاد الأمّة الإسلاميّة، أي توسّع هذا المجتمع وتمدّده، وهذه الآن مقولة أخرى وبحث آخر.

[خطاب بتاريخ ١٦-١٠-٢٠١١]

القيادة وولاية الفقيه

هناك مسألة هي مسألة القيادة؛ ما ليس رائجاً في العالم، موجود في الجمهورية الإسلامية.

إنّ ولاية الفقيه التي بيّنها إمامنا الجليل وأعلنها وطرحها، ومن ثَمَّ طبّقها فكان ذلك الجليل مظهرها التامّ والكامل ـ حيث إنّ كلّ من عرفه عن قرب، وكلّما مرّ الزمان، تظهر له المواصفات البارزة والممتازة لهذا الرجل ـ تعني وجود إدارة حيّة ومتسامية ومتقدّمة. لقد طرح الإمام اصطلاحاً هو «الولاية المطلقة للفقيه». حيث أراد البعض، ومن خلال مغالطتهم، أن يشوّهوا هذا المفهوم ويقدِّموا معنىً خاطئاً وتفسيراً خاطئاً له.

لقد قالوا بأنّ معنى الولاية المطلقة للفقيه هو أنّ القيادة في نظام

الجمهورية الإسلامية غير مقيّدة بأيّ قانون، مثل حصان مقطوع الزمام، يمكنه أن يفعل ما يشاء أينما يشاء، لم تكن المسألة هكذا وهي ليست كذلك، لقد كان الإمام الجليل ملتزماً أكثر من الجميع برعاية القوانين والأصول والمباني وجزئيات الأحكام الشرعيّة، وهذه مسؤولية القيادة. في نظام الجمهورية الإسلامية القيادة لا تحتاج في عملية إقالتها إلى من يشخّص فقدانها للشروط، فلو فقد القائد الشرائط يُقال ويُعزل من تلقاء نفسه، وهذا أمر مهمٌّ جداً، القيادة هي إدارة، ولكن ليست إدارة تنفيذية، ما زال هذان الإشكال والخطأ مستمرَّيْن منذ بداية الثورة وإلى يومنا هذا يصدر عن بعض المحافل الإعلامية، حيث فهموا المسألة هكذا، بأنّ القيادة هي إدارة تنفيذية، كلّا الإدارة التنفيذية محدّدة. للإدارة التنفيذية ضوابط محدّدة، في قطاع السلطة التنفيذية وهذا معلومٌ ولها مسؤولون معنيون، كذلك الأمر في السلطة القضائية - والتي هي إدارة تنفيذية أيضاً - لكلٍّ مسؤوليات معينة، السلطة التشريعية واضحة الدور أيضاً. القائد مشرف على هؤلاء، فبأيّ معنى؟ بمعنى أنه يشرف على المسار العامّ للنظام.

إنّ القيادة في الواقع هي إدارة قيمية كلّية، كما أشرت، في بعض الأحيان تجبر الضغوط والأزمات والضرورات الإدارات المختلفة لسلوك بعض المنعطفات غير اللازمة أو غير الجائزة، وهنا على القيادة أن تراقب لئلّا يقع هكذا أمر. هذه المسؤولية ثقيلة جداً، هذه المسؤولية ليست مسؤولية تنفيذية، وليست تدخّلاً في الأعمال، مع أنّ البعض يحبّون أن يتحدّثوا بهذا الشكل، ويقولوا بأنّ

القرارات الفلانية لا تتخذ بدون رأي القيادة، كلّا ليس الأمر كذلك، المسؤولون في الأقسام المختلفة لديهم مسؤوليات محدّدة، في القطاع الاقتصادي، وفي القطاع السياسي، وفي القطاع الدبلوماسي، ونواب المجلس في أقسامهم، ومسؤولو السلطة القضائية في مجال عملهم، فلكلٍّ مسؤوليات محدّدة. وفي جميع هذه الأمور لا القيادة قادرة على التدخّل ولا لها الحقّ في ذلك ولا القدرة عليه. لا يوجد أصلاً إمكانيّة لذلك. يمكن أن يتمّ اتخاذ الكثير من القرارات الاقتصادية ممّا لا تقبله القيادة، ولكنّها لا تتدخّل، هناك مسؤولون لهذا، وعليهم أن يعملوا، نعم، في المكان الذي يؤدّي اتخاذ سياسة ما إلى انحراف طريق الثورة، يصبح هناك مسؤولية على القيادة، على القيادة أن تضع العقلانية في خدمة الأصول وفي اتخاذ القرار والعمل، وأن تضع الواقعية في خدمة التوجّهات نحو المثل العليا.

الأجهزة المختلفة - السلطة القضائية، والسلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية - تقوم بإنجاز أعمالها المطلوبة منها قانونياً، كما يجري في كلّ العالم، بصلاحيات كاملة محدّدة لها في الدستور، لكنّ الحركة العامّة والكليَّة للنظام الإسلاميّ ينبغي أن لا تنحرف عن المثل العليا، وإذا انحرفت ينبغي مطالبة القيادة واعتبارها مسؤولة، مسؤولية القيادة أن لا تسمح (بالانحراف)، لا شك أنّ هذه المسألة لها أمثلة كثيرة، ونظراً إلى ضيق الوقت سأشير إلى أحدها باختصار.

مسألة العلاقات مع أميركا، حيث فعلوا الكثير في هذه السنوات،

وكم بذلوا من الجهود في العهود المختلفة للحكومات المتعدّدة، وتحت تأثير عوامل مختلفة. حسناً، كان هذا الأمر يسبب الضرر للحركة العامّة للنظام، وكذلك لم يكن له فائدة بالنسبة إلى الوضع المعيشيّ والحياتيّ للناس، هنا برزت الممانعة، وهناك مسائل مختلفة شبيهة بهذه.

[خطاب بتاريخ ١٦-١٠-٢٠١١]

الإسلام دين التوحيد

إنّ الإسلام دين التوحيد، والتوحيد يعني خلاص الإنسان من العبودية والطاعة والتسليم لأيّ شيء أو شخص، سوى اللّه؛ ويعني تحطيم كلّ قيود النظام السلطويّ الإنسانيّ، ويعني كسر سرّ الخوف من القوى الشيطانية والمادية، ويعني الاعتماد على الطاقات المطلقة التي أودعها اللّه في وجود الإنسان، وطلب منه الاستفادة منها كفريضة لا يمكن التخلّف عنها. إنّه يعني الاعتماد على الوعود الإلهية بانتصار المستضعفين على الظالمين والمستكبرين، شريطة القيام والكفاح والثبات. ويعني التعلّق القلبيّ بالرحمة الإلهية، وعدم الخوف من احتمال الهزيمة، ويعني مواجهة كلّ المصاعب والأخطار التي تهدّد الإنسان في طريقه لتحقيق الوعود الإلهية بصدر رحب. إنّه يعني تحمّل مشكلات الطريق في سبيل اللّه والأمل بالنصر النهائي المحتّم، ويعني تركيز الأحداق خلال الكفاح على الهدف السامي، وهو خلاص المجتمع من كلّ ظلم أو تفرقة أو جهل أو شرك، وطلب الأجر الإلهيّ في قبال المصاعب الشخصيّة التي

تعترضه في طريقه الطويل. إنّ التوحيد بكلّ اختصار يعني وصل الذات بالمحيط الإلهي اللامتناهي في القدرة، والحكمة، والاتجاه الحثيث نحو الهدف الأسمى بكل ثقة، ودونما ريب. إنّ كلّ أنواع العزّة والعلاء التي وُعد بها المسلمون إنّما تكمن في ظلّ هذا الإيمان والإدراك الواضح والعميق للتوحيد، وبدون فهم صحيح والتزام عقائدي وعملي بالتوحيد، فإنّ أيّاً من الوعود الإلهية المعطاة للمسلمين لن تتجسّد في الواقع العمليّ.

[خطاب بتاريخ [٣٠/ ٠٥/ ١٩٩٠]

علّامة العرفاء

العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي

ذكر الله

ينقل أحد الفضلاء من الذين تتلمذوا عند العلّامة، في أحد الأيام كنت عازماً على السفر لحج بيت اللّه الحرام، فقصدت العلّامة من أجل السلام عليه وطلبت منه أن ينصحني بنصيحة تكون بمثابة الزاد في الطريق ونجاح العمل، فأجابني بقراءة ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال كن ذاكراً للّه حتى يذكرك، فإذا كان اللّه تعالى ذاكراً للإنسان فإنه ينعتق من الجهل. وإن كان متوقّفاً عند عمل دون إحراز تقدّم فإنّ اللّه لن يتركه عاجزاً، وإن كان عالقاً بمشكلة أخلاقية، فإنّ اللّه الذي له الأسماء الحسنى والمتصف بالصفات العالية سيكون ذاكراً للإنسان.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

وفي حادثة منفصلة عمّا ذكر، حيث كان العلّامة يكتب جواباً

عن رسالة كان بعثها له صديقه آية اللّه المرندي، فبعد أن وضعها بظرف وأعطاها لأحد أقارب المرحوم مرندي ليوصلها له، سأله ذاك الشخص أن يكتب له شيئاً، فتناول العلّامة قصاصة ورق وكتب عليها بخطه الجميل «لا تنسَ ذكر اللّه».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

استعصم بحضن القرآن

ينقل نجم السادات الطباطبائي (ابن العلّامة) عن أبيه قائلاً: «يجب أن يكون لدى البشر العاطفة، فمن لا عاطفة لديه لن يكون محبّاً للقرآن!». وفي مكان آخر يقول العلّامة الذي كان يودّ أمّه كثيراً: «إنّ لأمّي حقّاً كبيراً في رقبتي... فأنا رأيتها في عالم الرؤيا وسألتها: أمي، ماذا عليّ أن أفعل؟ فأجابتني: استعصم بحضن القرآن، اتبع سبيل القرآن وتفسيره حتى إن شاء اللّه تنال شفاعته». وإنني عندما رأيت هذا المنام، اضطربت كثيراً واحترت في أمري، وأدركت بأنّ ما قالته أمي لي جدير بالاهتمام إلى أبعد الحدود. وقلت في نفسي وهل هناك شيء أفضل من أن أنهي عمري بالاشتغال بكتاب اللّه والتوسّل به. وهذا كان دافعاً لي لكي أشتغل في الليل والنهار بتأليف تفسير الميزان، وبحمد اللّه وعنايته وببركة دعاء أمي وُفّقت لأتمّ كتابة هذه الدورة الكاملة في تفسير كتاب اللّه العزيز، وهذا ما أعدّه من بركات عناية والدتي بي.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الوالدان

ينقل الأستاذ أمجد أنه أتى شخص إلى العلّامة وقال له: ماذا عساي أن أتصرف مع الوالدين المتطلّبين بكثرة؟ فأجابه العلّامة: لا تغتب الآباء والأمّهات بقولك هذا.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

أثر الأعمال في الوجود

ينقل الأستاذ أمجد عن العلّامة قوله: «إذا كان نقل قشة يؤثّر في عالم الوجود! فما هو الأثر الذي يتركه الذنب في هذا الوجود؟!».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

كونوا أهل محاسبة

يقول العلّامة في هذا المجال: حدّدوا وقتاً في الليل والنهار لمحاسبة أنفسكم. وانظروا ماذا فعلتم في هذه الأربع والعشرين الساعة التي مضت. كونوا أهل محاسبة. فكما يقوم التاجر أو الكاسب في آخر النهار بحساب وارداته وإيراداته، انظروا أنتم

في الليل والنهار اللذين مرّا عليكما: ماذا جنيتُم؟ وماذا قلتم؟ حاسبوا أقوالكم وتصرفاتكم، استغفروا اللّه بشأن السيِّئات، واسعوا جهدكم كي لا تتكرّر، واشكروا اللّه على الأعمال الصالحة واللائقة والخاضعة لحكم العقل، حتى تدريجياً يحصل لكم التخلُّق بالأخلاق الربوبية مَلَكة.

ينقل آية اللّه الأستاذ حسن زاده آملي: «جاء في كلمات العلّامة الطباطبائي القصار: نحن لا عمل لدينا أهمّ من تهذيب النفس».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

كشف الحقائق

يقول العلّامة في هذا الشأن: عندما تكشف الحقائق للسالك تتحقّق بصور وأشكال. وفي بداية الأمر تظهر له تمثُّلات الرعد والبرق والهزّة وما شابه ذلك. وفي نفس هذه الحالة يبدأ بمشاهدة الصور المثالية، ويوفّق الإنسان لمشاهدة الجمال المبارك للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولبقية الأئمّة عليهم السلام.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

فناء الدنيا

عطاءات ومواهب الدنيا في حال وفائها للإنسان أقصى ما يمكن

أن تبقى معه هو إلى حافّة قبره ـ مع أنّ قسماً كبيراً منها لا وفاء له ليستمرّ إلى هذا الحدّ ـ بينما الإنسان باقٍ وسائر إلى الأبديّة.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

أبدية الآخرة

يقول الأستاذ حسن زاده آملي:

لقد كان العلّامة ـ رفع اللّه درجاته ـ يكرّر مراراً في كلامه لفظ الأبد، وما أكثر ما كان يردّد على مسامعنا في مجلسه هذه الجملة القصيرة والبليغة والرصينة: «نحن أبديّون، وكائنون حيث إننا كائنون. إنما تنتقلون من دار إلى دار» فالإنسان لا يعدم، بل باق ودائم وثابت، لكن كلّ ما في الأمر أنه يبدّل لباسه ويبدّل مكانه.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

أثر ذنب الغيبة

يقول حجّة الإسلام السيّد أحمد فاطمي:

أذكر أنه في أوائل دراستي الحوزوية قصد العلّامة حجرتي في المدرسة وقال لي: الظاهر أنه تمّت استغابة أحد هنا؟! فأجبته: صحيح، فقبل قدومكم كان يجتمع هنا عدة من الطلاب، وهم في

مراحل دراسية أعلى مني، واغتابوا أحد الأشخاص؛ عندها قال لي العلّامة: كان عليك أن تطلب منهم المغادرة، قم بتبديل حجرتك، لأنّ هذه الحجرة لم تعد مناسبة للتحصيل العلمي.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

دعاء السحر

يقول الأستاذ حسن زاده آملي: عندما تشرّفت بالحضور عند العلّامة وسألته حاجتي، قال لي: لا تنسَ قراءة دعاء السحر للإمام الباقر عليه السلام، حيث فيه يظهر الجمال والجلال والعظمة والنور والرحمة والعلم والشرف، وليس الكلام عن الحور والغلمان، فإذا كانت الجنّة حلوة فخالق الجنّة أحلى.

وينقل حجّة الإسلام ضرابي عن العلّامة: «طالما لم تنضجوا، لا تحملوا القلم، ولا تقدّموا الكتب إلى المجتمع».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

ثلاث وصايا عمليّة من العلّامة

لأجل الحصول على التوفيق يلزم عدّة أمور:

النهوض بهمّة وتحقيق التوبة ثمّ القيام بالمراقبة والمحاسبة بهذا النحو المبين:

١ـ عندما تستيقظون في كلّ صباح اعزموا بجدّ أن تراعوا في كلّ عمل رضا اللّه عزَّ اسمه، وبذلك يكون كلّ عمل تنهضون به ناظرين فيه لنفع الآخرة، وواظبوا على هذه المراقبة حتى الليل إلى أن تناموا.

٢ـ عند النوم فكّروا لمدّة أربع أو خمس دقائق فيما قمتم به خلال يومكم المنصرم. قفوا عند كلّ عمل فما كان مطابقاً لرضا اللّه تعالى، اشكروا اللّه عليه وما لم يكن كذلك استغفروا اللّه منه؛ واستمرّوا بهذه الطريقة في كلّ أيامكم، فهذا الأسلوب وإن كان صعباً ويذيق النفس المرارة، ولكنه مفتاح النجاة والفلاح.

٣ـ في كلّ ليلة وقبل الخلود للنوم اقرأوا إذا أمكن سور المسبحات أي سورة الحديد، الحشر، الصف، الجمعة والتغابن؛ وإذا لم تتمكّنوا من قراءتها جميعاً فاقرأوا فقط سورة الحشر.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

زيارة أهل القبور

كان العلّامة كلّ ليلة جمعة يقصد زيارة أهل القبور وكان يقول: «زيارة القبور لها دور مؤثّر في عملية بناء الإنسان».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الأثر الهدّام للعصبية

ينقل حجّة الإسلام فاطمي نيا عن العلامة قوله: «في بعض الأحيان تؤدّي حالة من الغضب والعصبية إلى أن يرجع الإنسان عشرين سنة إلى الوراء».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

حضرة الإمام الرضا عليه السلام

يقول العلّامة: إنّ لكلّ الأئمّة عليهم السلام، ألطافاً وعناية، إلّا أنّ ما يميّز لطف الإمام الرضا عليه السلام، أنه يكون ملموساً ومحسوساً من قبل الإنسان.

ويضيف في مكان آخر:... كلّ الأئمّة عليهم السلام، رؤوفون لكن ما يميّز رأفة حضرة الإمام الرضا عليه السلام بأنّها تكون ظاهرة. ويتابع قائلاً: عندما يدخل الإنسان إلى الحرم الرضوي يشاهد بأنّ الرأفة تشعّ حتى من الجدران والأبواب.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

أهمّ تكليف ينبغي للإنسان القيام به

لا يوجد في عالمنا وكلّ شؤون حياتنا أعظم وأهمّ من النهوض بتكليف صناعة وبناء أنفسنا.

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

درس الأخلاق

يقول العلّامة: «درس الأخلاق ليس قولاً وحديثاً، بل فعل وعمل».

اطلب من داخل نفسك كلّ ما تريده.

ينقل آية اللّه حسن زاده عن العلّامة: «نحن أخيراً وجدنا كلّ ما نبحث عنه في الخارج، في داخل أنفسنا».

[من وصايا العلماء، علّامة العرفاء العلّامة الطباطبائي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

ما يناله الإنسان بكماله

إنّ كمال الإنسان فناؤه بأقسامه الثلاثة، وبعبارة أخرى التوحيد الفعلي والإسمي والذاتي. وكلّ موجود قربه من الحقّ سبحانه على قدر حدود ذاته وأعدامه؛ فالوسائط التي بين نشأة الإنسان البدنية، وبين الحقّ سبحانه، مترتّبة بحسب ذواتها.

فالإنسان في سيره إلى الحقّ سبحانه، لا بدّ أن يعبر من جميع مراتب الأفعال والأسماء والذوات، حتى ينال التوحيدات الثلاثة.

وحيث إنّه لا ينال مرتبة من مراتب كماله إلّا بفنائه وبقاء ذلك

الكمال في المحلّ، فهو في كلّ مرتبة واقف على مجرى جميع أنواع الفيوضات المترشّحة من تلك المترتبة إلى ما دونها، متحقّق به، حتى ينال توحيد الذات، ولا يبقى له اسم ولا رسم، والملك يومئذ للّه.

[رسالة الولاية]

مقامات الأولياء

مقامات الأولياء وخاصّة أسرارهم مع اللّه سبحانه، حيث إنّ ولاية أمرهم للّه سبحانه، وقد فنت أسماؤهم ورسومهم فيه تعالى، لا يمكن الإحاطة بها. وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وكفى لهم شرفاً أنّ ولاية أمرهم للّه سبحانه، وهو المربّي لهم، والمبشّر لهم، قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

[رسالة الولاية]

مواهب اللّه في حقّ أوليائه

إن من مواهب اللّه في حقّ أوليائه إفناءهم في أفعالهم وأوصافهم وذواتهم. فأوّل ما يفنى منهم الأفعال، وأقلّ ما ذكره بعض العلماء ستة: الموت، والحياة، والمرض، والصحة، والفقر، والغنى. فيشاهدون ذلك من الحقّ سبحانه كمن يرى حركة، ولا يشاهد محرّكها، وهو يعلم به. فيقوم الحقّ سبحانه في مقام أفعالهم، فكأنّ فعلهم فعله سبحانه...

ثمّ يفنى منهم الأوصاف وأصولها على ما يظهر من أخبار أهل البيت عليهم السلام خمسة: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر؛ وقام الحقّ سبحانه في ذلك مقامهم... .

ثم يفنى منهم الذات، وينمحي الاسم والرسم، ويقوم الحقّ سبحانه مقامهم؛ وهذا المقام أجلّ من أن يقع عليه لفظ، وأن تمسّه إشارة، وإنّ إطلاق المقام عليه مجاز، وإنه مما فتحه اللّه لنبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولحقه الطاهرون من آله. والآن يلحقهم أولياء من أمته للروايات الكثيرة الدالّة على أنّ اللّه سبحانه يلحق بهم شيعتهم في الدرجات في الآخرة.

[رسالة الولاية]

جميع الكمالات الموجودة في هذه النشأة موجودة فيما فوقها بنحو أعلى

إنّ البراهين العقلية مطبقة على أنّ العلية والمعلولية بنحو الكمال والنقص والترشّح، كترشح الظلّ من ذي الظلّ. وأيضاً على أنّ النواقص من لوازم مرتبة المعلولية، وعلى أنّ هذه النشأة مسبوقة الوجود بعوالم أخرى، بنحو العليّة والمعلولية، حتى ينتهي إلى الحقّ الأوّل سبحانه.

ويستنتج من جملتها أنّ جميع الكمالات الموجودة في هذه النشأة، موجودة فيما فوقها بنحو أعلى وأشرف؛ وأنّ النواقص التي فيها مختصّة بها غير موجودة فيما فوقها، ولا سارية إليها البتّة.

[رسالة الولاية]

حقيقة كلّ كمال هو اللّه

إنّ حقيقة كلّ كمال، هو المطلق المرسل الدائم منه، وإنّ قرب كلّ كمال من حقيقته بمقدار ظهور حقيقته فيه، أي اقترانها بالقيود والحدود. فكلّ ما ازدادت القيود، قلّ الظهور وبالعكس.

ومن هنا إنّ الحقّ سبحانه، هو الحقيقة الأخيرة لكلّ كمال. حيث إنّ له صرف كلّ كمال وجمال، وإنّ قرب كلّ موجود منه على قدر قيوده العدمية وحدوده.

ويظهر من ذلك أنّ وصول كلّ موجود إلى كماله الحقيقيّ مستلزم لفنائه، حيث إنه مستلزم لفناء قيوده وحدوده في ذاته أو في عوارضه فقط، وبالعكس فناء كلّ موجود مستلزم لبقاء حقيقته في مورده فقط.

فالكمال الحقيقيّ لكلّ موجود ممكن، هو الذي يفنى عنده. فالكمال الحقيقيّ للإنسان أيضاً هو الذي يصير عند كماله الإنساني مطلقاً مرسلاً ويفنى عنده الإنسان لا كمال له غير ذلك البتة.

[رسالة الولاية]

الكمال الحقيقيّ للإنسان

الكمال الحقيقيّ للإنسان وصوله إلى كماله الحقيقيّ ذاتاً وعوارض؛ أي وصوله إلى كماله الأخير ذاتاً ووصفاً وفعلاً، أي فناؤه ذاتاً ووصفاً وفعلاً في الحقّ سبحانه وتعالى؛ وهو التوحيد الذاتي

والإسمي والفعلي، وهو تمكّنه من شهود أن لا ذات ولا وصف ولا فعل إلا اللّه سبحانه على الوجه اللائق بقدس حضرته جلّت عظمته، من غير حلول واتحاد، تعالى عن ذلك.

[رسالة الولاية]

مدار الثواب والعقاب

إذا تتبعنا الكتاب والسنّة، وتأملنا فيهما تأمّلاً وافياً، وجدنا أنّ المدار في الثواب والعقاب، هو الطاعة والانقياد والتمرّد والعناد. فمن المسلّم المحصّل منهما أنّ المعاصي، حتى الكبائر الموبقة، لا توجب عقاباً إذا صدرت عمّن لا يشعر بها، أو من يجري مجراه؛ وأنّ الطاعات لا توجب ثواباً إذا صدرت عن غير تقرّب وانقياد، إلّا إذا كانت ممّا الانقياد ملازم لذاته كبعض الأخلاق الفاضلة الشريفة.

[رسالة الولاية]

شريعة الإسلام تضمن السعادة

إنّ شريعة الإسلام لم تهمل مثقال ذرّة من السعادة والشقاوة إلّا بيّنتها، ولا شيئاً من لوازم السير إلى اللّه سبحانه يسيراً أو خطيراً إلّا أوضحتها؛ فلكلّ نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت. وممّا يظهر أنّ حظّ كلّ امرئ من الكمال بمقدار متابعته للشرع.

[رسالة الولاية]

طريق معرفة النفس لمعرفة الغاية

إنّ طريق معرفة النفس هي الموصلة إلى هذه الغاية، وهي أقرب الطرق فحسب. وذلك بالانقطاع عن غير اللّه، والتوجّه إلى اللّه سبحانه بالاشتغال بمعرفة النفس كما يحصّل عن خبر موسى عليه السلام: «ليس بينه وبين خلقه حجاب إلا خلقه؛ فقد احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور». وهذا الحديث الشريف أجمل بيان لأحسن طريق. فيبتدي بالأسباب الواردة شرعاً للانقطاع، من التوبة والإنابة والمحاسبة والمراقبة والصمت والجوع والخلوة والسهر ويجاهد بالأعمال والعبادات؛ ويؤيد ذلك بالفكر والاعتبار، حتى يورث ذلك انقطاعاً منها إلى النفس، وتوجّهاً إلى الحقّ سبحانه، ويطلع من الغيب طالع، ويتعقّبه شيء من النفحات الإلهية والجذبات الربانية، ويوجب حبّاً وإشرافاً، وذلك هو الذكر.

[رسالة الولاية]

معرفة النفس

إنّ النظر في الآيات الآفاقية والمعرفة الحاصلة من ذلك نظر فكري وعلم حصولي بخلاف النظر في النفس وقواها وأطوار وجودها والمعرفة المتجلّية منها فإنه نظر شهودي وعلم حضوري، والتصديق الفكري يحتاج في تحقّقه إلى نظم الأقيسة واستعمال البرهان، وهو باق ما دام الإنسان متوجّهاً إلى مقدّماته غير ذاهل عنها ولا مشتغل بغيرها، ولذلك يزول العلم بزوال الإشراف على دليله وتكثر فيه الشبهات ويثور فيه الاختلاف.

وهذا بخلاف العلم النفسانيّ بالنفس وقواها وأطوار وجودها، فإنه من العيان فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلى آيات نفسه، وشاهد فقرها إلى ربها، وحاجتها في جميع أطوار وجودها، وجد أمراً عجيباً، وجد نفسه متعلّقة بالعظمة والكبرياء متّصلة في وجودها وحياتها وعلمها وقدرتها وسمعها وبصرها وإرادتها وحبها وسائر صفاتها وأفعالها بما لا يتناهى بهاءً وسناءً ومجالاً وجلالاً وكمالاً، من الوجود والحياة والعلم والقدرة، وغيرها من كلّ كمال.

فعندما تنصرف النفس عن كلّ شيء وتتوجّه إلى ربها وتنسى كلّ شيء وتذكر ربها فلا يحجبه عنها حجاب، ولا تستتر عنه بستر، وهو حقّ المعرفة الذي قُدِّر لإنسان، والأحرى بهذه المعرفة أن تسمّى بمعرفة اللّه باللّه، أمّا المعرفة الفكرية التي يفيدها النظر في الآيات الآفاقية سواء حصلت في قياس أو حدس أو غير ذلك، فإنما هي معرفة بصورة ذهنية عن صورة ذهنية، وجلّ الإله أن يحيط به ذهن أو تساوي ذاته صورة مختلقة اختلقها خلق من خلقه، ولا يحيطون به علماً.

[الميزان في تفسير القرآن]

عبادة العلماء

العلماء باللّه لا يعبدون اللّه خوفاً من عقابه ولا طمعاً في ثوابه، وإنما يعبدونه لأنه أهل للعبادة، وذلك لأنهم عرفوه بما يليق به من الأسماء الحسنى والصفات العليا، فعلموا أنه ربهم الذي يملكهم

وإرادتهم ورضاهم وكلّ شيء غيرهم، ويدبّر الأمر وحده وليسوا إلّا عباد اللّه فحسب، وليس للعبد إلّا أن يعبد ربه، ويقدم مرضاته وإرادته على مرضاته وإرادته، فهم يعبدون اللّه ولا يريدون في شيء من أعمالهم فعلاً أو تركاً إلّا وجهه، ولا يلتفتون فيها إلى عقاب يخوّفهم، ولا إلى ثواب يرجيهم، وإن خافوا عذابه ورجوا رحمته.

وهؤلاء لمّا خصّوا رغباتهم المختلفة بابتغاء مرضاة ربهم، ومحضوا أعمالهم في طلب غاية هي ربهم، تظهر في قلوبهم المحبّة الإلهية وذلك أنهم يعرفون ربّهم بما عرّفهم به نفسه، وقد سمّى نفسه بأحسن الأسماء ووصف ذاته بكلّ صفة جميلة، ومن خاصّة النفس الإنسانية أن تنجذب إلى الجميل فكيف بالجميل على الإطلاق: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]... فما خلق من شيء إلا آية تدلّ عليه و﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فليس في الوجود ما لا يدلّ عليه تعالى ولا يحكي شيئاً من جماله وجلاله.

فالأشياء من جهة أنواع خلقها وحسنها تدلّ على جماله الذي لا يتناهى، ويحمده ويثني على حسنه الذي لا يفنى، ومن جهة ما فيها من أنواع النقص والحاجة تدلّ على غناه المطلق وتسبّح وتنزّه ساحة القدس والكبرياء.

فهؤلاء يسلكون في معرفة الأشياء من طريق هداهم إليه ربُّهم

وعرّفها لهم، وهو أنها آيات له وعلامات لصفات جماله وجلاله، وليس لها من النفسيّة والأصالة والاستقلال إلّا أنّها كمرآة تجلي بحسنها ما وراءها من الحسن غير المتناهي وبفقرها وحاجتها ما أحاط بها من الغنى المطلق، وبذلتها واستكانتها ما فوقها من العزّة والكبرياء، ولا يلبث الناظر إلى الكون بهذه النظرة دون أن تنجذب نفسه إلى ساحة العزة والعظمة ويغشى قلبه من المحبة الإلهية ما ينسيه نفسه وكلّ شيء، ويمحو رسم الأهواء والميول النفسانية عن باطنه، ويبدّل فؤاده قلباً سليماً ليس فيه إلا اللّه عزّ اسمه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

[الميزان في تفسير القرآن]



أستاذ السلوك

حسن زاده آملي

مناجاة العاشقين

إلهي! مني الحسرة ومنك النظرة.

إلهي! قضيت عمراً لم أملك فيه حتى الآه، والآن في أعمالي لا أملك إلّا الآه (الحسرة).

إلهي! إني أغبط الملائكة لأنهم لا يعرفون إلّا السجود، ليت حَسَناً كان من الأزل إلى الأبد في حالة السجود.

إلهي! إلى متى أكون عبداً للهوى، وبعزّتك غدوت عبداً للهوى؟!

إلهي! من هو أوهن من ذلك الذي ليس سكرانَ بك؟.

إلهي! الكلّ ينظر إلى هذا وذاك وحسن لا ينظر إلّا إلى نفسه، لأنه لم يجد أعجب منه.

إلهي! القلب بلا حضور كالعين بدون النور، لا ترى هذه الدنيا ولا تلك العقبى.

إلهي! كلّ الحيوانات تُشاهَد في الجبل والغابة، وحسن في المدينة والقرية.

إلهي! كلّ من أراد السرور فليرده! أعطِ حسناً حزناً دائماً وقلباً منكسراً.

إلهي! من لم يصطَدْ الحسن من مصيدة المبشّرات، فقد كفر بالنعم النفيسة.

إلهي! العودة من الهجرة إليك تعرب بعد الهجرة وأنت حافظ القلوب.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

لا عمل للإنسان أهمّ من بناء الذات

إذا كنت تريد برنامجاً للعبادة، أفلم تقرأ الآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؟ أوَلَم تسمع:

ليلة أمس، في وقت السحر، أعطوني النجاة من الألم والويل.

وناولوني ماء الحياة وسط هذه الظلمات من الليل؟

(شعر حافظ الشيرازي)

بالخلاصة كن من أهل السَّحَر لأن:

الصمت والجوع والسحر والخلوة وإدامة الذكر

هذه الخمسة بالكامل هي ما يقوم به من لديه نقص في العالم

ليس للإنسان عمل أهمّ من بناء الذات. ولبناء كلّ شيء لوازم بحسب هذا الشيء. فالحائط يحتاج إلى الحجارة والطين. والإنسان إلى العلم والعمل. وما لم يصل الإنسان إلى لقاء اللّه فهو لم ينل كمال مطلوبه. ومعنى لقاء اللّه اتصاف الإنسان بالأوصاف الإلهية وعدم تعلّقه بالخلق.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

يا حيّ يا قيّوم، يا من لا إله إلّا أنت

أيها العزيز، من الأمور المجرّبة عند أولياء اللّه؛ أنّ الإكثار من الذكر الشريف: يا حيّ، يا قيّوم، يا من لا إله إلّا أنت، يوجب حياة العقل، اختل مع اللّه في وقت يكون البدن فيه مرتاحاً وخارجاً من حالة التعب وليس في حال الاشتهاء، في تلك الحال اقرأ الذكر الشريف دون تحديد العدد. لكن مع تمام الحضور والمراقبة والأدب مع اللّه وتحديد الوقت بيدك على سبيل المثال، عشرون دقيقة أو أكثر، والأفضل أن لا تقل عن أربعين، وإذا زادت فيكون أفضل.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

أفضل عطاء المحبوب لقاؤه

تغاضى عن الأمل واسعَ للعمل، كن من أهل البحث لا من أهل الكلام، واطلب من البحر لا من الساقية، وتجنّب فضلات الكلام كما تجتنب فضلات الطعام، وكن خفيف الحمل لا خفيف العقل.

الديك في السحر يسبّح بذكر «سبّوح قدّوس» فلا تكن أقلّ من الديك. وإذا صحت بالذكر فاعلم أنّ أفضل عطاء المحبوب لقاؤه، فترصّد؛ لأنّ السائل قد يصبح ملكاً بجذبة واحدة وبلحظة قد يحيل الجبل قشّاً.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

التقليل من الحيوانيّة

يجب على الإنسان التقليل من الطعام أكثر من المتعارف عليه وأن يستريح، حتى يقلّ الجانب الحيواني ويقوى الجانب الروحاني وضبطه على الترتيب التالي: أوّلاً، على الإنسان أن لا يأكل في اليوم والليلة أكثر من وجبتين وأن لا يأكل بينهما. ثانياً، كلّما أراد أن يأكل عليه أن يأكل بعد ساعة من جوعه، وأن لا يأكل حتى يشبع، هذا في كمّ الطعام؛ وأمّا كيفه فبالإضافة إلى الآداب المعروفة، فعليه أن لا يأكل الكثير من اللحم، أي أن لا يأكل اللحم في وجبتي اليوم الواحد، وفي الأسبوع أن يترك أكل اللحم مرتين أو ثلاثاً في الوجبتين، أي أن يتركه ليلاً ونهاراً؛ والأمر الآخر أن لا يأكل المكسّرات، وإذا طلبت

نفسه المكسّرات والحلويات بشدّة فليستخر، وإذا استطاع المواظبة على صيام ثلاثة أيام من كل شهر فلْيفعَلْ وأمّا تقليل النوم فلينم ستّ ساعات في الليل والنهار. كما عليه الاهتمام بحفظ اللسان ومجانبة أهل الغفلة، هذه تكفي في تقليل الحيوانية.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

تقوية الروحانيّة

وأمّا تقوية الروحانيّة: فأولاً عليه أن يكون دائم الهمّ والحزن القلبي لعدم وصوله إلى المطلوب. ثانيا عليه أن لا يترك الذكر والتفكّر لأنهما جناحا السير في سماء المعرفة. في الذكر التوصية الأساسية هي بأذكار الصباح والمساء، وأهمّها مذكور في الروايات، والأهم تعقيبات الصلوات والأساس ذكر وقت النوم لأنه مأثور في الروايات لاسيما أنّ المتطهّرين يخلدون إلى النوم في حالة الذكر. بالنسبة إلى قيام الليل فثلاث ساعات في الشتاء وساعة ونصف في الصيف، ويوصون بالمداومة على الذكر اليونسي في السجود وعدم تركه ليلاً نهاراً، وكلما زاد كان أثره أكثر وأقلُّه أربعمائة مرة رأيت له آثاراً كثيرة. وأنا العبد جربته وهناك آخرون يدعون تجربته، والآخر أن ينوي عند قراءة القرآن إهداء ثوابه لخاتم الأنبياء (صلوات اللّه عليه وآله).

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الخلوة الليلية

لا تدع الخلوة الليلية تفلت من يدك، وقل حقيقة، إلهي أتيتك حتى تجعلني فائزاً ومفلحاً. عليك أن يكون كلامك وطعامك ونومك بقدر الضرورة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وجدّد العهد مع القرآن المجيد «عهد اللّه» في كلّ يوم. اطرق باب التوسُّل بالنبي وآله الأطهار بإخلاص لأنهم وسطاء فيض الحقّ، اللَّهمَّ صلِّ على محمّد وآل محمد. لا أقول: لا تكن مقدّساً، لكن كن مقدّساً عاقلاً. ولا تكن ذليلاً يسخر منك هذا وذاك. كن عاقلاً وكن مجنوناً! أوكل نفسك للحقّ واتخذه وكيلاً لأنك لن تجد أقدر وأحكم وأوفى وأرحم وأدوم على العهد منه، حسبنا اللّه ونعم الوكيل. برنامج الإنسان العبادي فقط القرآن الكريم وسنَّة الرسول الخاتم وأهله عليهم السلام، وما عدا ذلك الهوى والهوس.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

ما لم تَتُهْ لن تعثر في نفسك على شيء

الجزاء نفس العمل ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، القيامة معك وليست في آخر الزمان، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لقيس بن عاصم، إنّ مع الدنيا آخرة .

قال صادق آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ اللّه خلق ملكه على مثال ملكوته،

وأسّس ملوكته على مثال جبروته ليستدلّ بملكه على ملكوته وبملكوته على جبروته» اقرأ جيداً واعلم جيداً.

ومعراج رسول اللّه ﷺ شرح أطوار البشر.

ولأنّ الإنسان يأنس بأصله، يغدو ذلك.

ما لم تته لن تعثر في نفسك على شيء.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

لا يمسّه إلّا المطهّرون

- ما لم تصبح ناظراً ومتلقّياً فلست إنساناً.

- الإنسان مصنع وجهاز يلتقط صور من عوالم الملك، وكذلك من الملكوت. يرفع الأولى وينزل الثانية بدون مجافاة. ويدرج الجميع في خزانة سرّه وعيبه. فانظر جيداً حتى تصل إلى حقيقة الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

- من الصمت يتولّد الحديث ومن الفكر العقل.

- ما يعود على السالك في أحواله وأطواره في النوم واليقظة هو فاكهة تبرز من مكامن شجرة وجوده.

- الجوع والعطش داء والغذاء والماء دواء، لكن ما هو المقدار المطلوب تناوله من الدواء؟

يجب أن يكون ظاهرك طاهراً حتى تمسّ ظاهر القرآن، ويجب أن يكون باطنك طاهراً حتى تدرك باطنه، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

طريق معرفة الربّ

معرفة النفس طريق معرفة الربّ. والمأثور عن سيّد الأنبياء (عليه الصلاة والسلام)، وكذلك عن سيّد الأوصياء عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه». فكلّ من يتفكّر في ذاته ويتأمّل في خلقته، يدرك أنّ هذا الشخص المحيّر للعقول واجب بالغير.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

العرفان النظريّ والعرفان العمليّ

العرفان النظريّ هو الذي يمتلكه أمثالي أنا العبد. نحن فقط نتكلّم، نرتقي المنبر ونخطب، لكنّ العرفان العمليّ هو الانتقال من مقام الكلام إلى مقام العمل، والاشتغال بالتهذيب، وتزكية النفس، وإحالة القلب مقرّاً لنور الحقّ «القلب حَرَم اللّه فلا تُسكن في حَرَم اللّه غير اللّه».

ما أكثر الذين وصلوا إلى العرفان العمليّ بدون طيّ مراحل العرفان النظريّ، وأحرزوا المقامات تحت نظر المرشد والأستاذ!

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

تعليم العبوديّة والحياة

الأوامر والتعاليم التي جاءت وقيلت في الصلاة، كلّ فقرة من فقراتها هي تعليميّة. وكلّ فقرة هي طريقة وفرع في معرفة اللّه، وأسلوب وطريقة لتعليم الحياة والعبودية.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الدنيا مزرعة الآخرة

كلّ إنسان هو سفرة ذاته وضيف على سفرة نفسه. بعبارة أخرى كلّ امرئ زارع ومزرعة نفسه، والنيات والعلوم والأعمال مثل البذر فانظر أيّ شيء تزرع في المزرعة، لأنه من المؤكد أن العلم والعالم والمعلوم والعمل والعامل والمعمول لها اتحاد وجوديّ وهو أنت. ولقد جاء في أحاديث رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم «الدنيا مزرعة الآخرة» وفي كلام الوصي عليه السلام لحارث الهمداني: «أنت مع من أحببت»، فدقّق في نظائر هذه الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة والوحي عليهم السلام.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

من المؤسف أن تقعد محسوراً

الصمت والجوع والسَّحَر والخلوة وإدامة الذكر

هذه الخمسة بالكامل هي ما يقوم به من لديه نقص في العالم

في الأربعة الأولى خير الأمور أوسطها، والخامس طوبى للذين يداومون عليه ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. كن نفسك ولا تسع للدنيا وانتبه حتى لا تذهب نفسك حسرات فمن المؤسف أن تقعد محسوراً .

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

ثبّت قلبي على دينك

الكثير من الناس ادّعوا العبودية وتحدّثوا عن ترك الدنيا. ولكن ما إن أقبلت الدنيا عليهم حتى تركوا كلّ شيء غيرها. وأنا العبد أشعر بالخجل مع أنني لم أخضع لهذا الامتحان بعد، الحق أن يقول الإنسان: ثبّت قلبي على دينك.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

برنامج بناء الإنسان

الصلاة عمود الدين وأفضل وأثبت برنامج لبناء الإنسان.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الصورة الكتبيّة للإنسان الكامل

إعلم أيها العزيز، أنّ القرآن الكريم هو الصورة الكتبية للإنسان الكامل، والقرآن يهدي إلى أقوم وأصحّ السبل. يقول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. وأيضاً: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فكلّ من ينزل حقيقة القرآن في نفسه، يمشي في الطريق المستقيم نحو الخير. وكلّ شخص بمقدار ما يكون واجد لها، يكون قرآناً وإنساناً، ويتقرّب من الإنسان الكامل.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

آثار الصلاة الحسنة

الصلاة تصيّر الإنسان كالملائكة، لأنّ المصلّي يتطهّر من كلّ الذنوب. فكلّ من كان مصلّياً فهو طاهر الأخلاق وحسن الأفعال وحسن الأقوال ويتجنّب اللغو والكسل والأخلاق الرذيلة.

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

اعتبر

اعتبر! أخي! لا تتكلّم عن هذا وذاك، اصمت وشاهد، وانظر واعتبر، فكّر في نفسك، مدَّ يدك بالتوسُّل إلى ساحة خاتم الأوصياء والأولياء إمام الزمان الموعود الحجّة بن الحسن العسكريّ عجّل الله فرجه الشريف، لأنّك ستمرُّ في مضيق مخيف، وذلك العظيم هو أمير القافلة. اجتنب الإفراط والتفريط وقل اهدنا الصراط المستقيم. احذر من اتباع النفس واهرب من الأراذل! احرس حريم قلبك! أيها السالك اعرِف نفسك فقطّاع الطرق كُثُر، وفي كلّ كمين وجّه قلبك نحو مالك القلوب حتى تكون من المحبّين، ولا تنس مناجاة المحبّين للإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام: «إلهي، من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلا؟».

[من وصايا العلماء، أستاذ السلوك، العلّامة حسن زاده آملي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]



أستاذ الطريقة

آية الله السيّد عليّ القاضي

الصلاة

أوصيكم بأداء صلواتكم في أفضل وأحسن أوقاتها، وأن تكون تلك الصلوات مع ٥١ ركعة من النوافل، وإذا لم تستطيعوا فصلّوا ٤٤ ركعة، وإذا لم تسمح لكم مشاغل الدنيا بأدائها، فعلى الأقلّ صلّوا صلاة التوّابين (صلاة أهل الإنابة والتوبة ثماني ركعات عند الزوال).

ينقل المرحومان العلامة الطباطبائي وآية اللّه بهجة عنه قوله: «إذا صلّى أحدكم الصلاة الواجبة في أوّل الوقت، ولم يصل إلى المقامات العالية فلْيَلعَنِّي».

يقول المرحوم السيّد هاشم رضوي هندي: في أحد الأيام، أحضروا أحدهم إلى مجلس السيّد القاضي ليأخذ بيد السيّد ويرشده، فقال المرحوم السيّد القاضي: قولوا لهذا الشخص أن يصلّي صلاته في أوّل وقتها «لاحقاً تبيَّن أنّ هذا الشخص يعاني من الوسوسة في العبادات ويؤخّر صلاته إلى آخر الوقت».

إذا حافظتم على الصلاة فستحفظ كلّ أموركم ولا تتركوا تسبيح الصدّيقة الكبرى، سلام اللّه عليها، الذي يُعَدُّ من الأذكار الكبيرة وقراءة آية الكرسي في تعقيب الصلاة.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

صلاة الليل

وأمّا صلاة الليل فلا مفرّ ولا وسيلة للمؤمنين بدونها، والعجب ممن يريد الوصول إلى الكمال ولا يقوم لأداء صلاة الليل. ونحن لم نسمع أنّ أحداً استطاع الوصول إلى تلك المقامات إلّا عن طريق صلاة الليل» .

يقول العلّامة الطباطبائي: «عندما تشرّفت بزيارة النجف لطلب العلم، وبسبب القربى والإعجاب بالسيد القاضي كنت أتشرّف بمحضره، وفي أحد الأيام كنت واقفاً في المدرسة ومرّ السيّد القاضي وعندما وصل بمحاذاتي، وضع يده على كتفي وقال:

يا بنيّ إذا أردت الدنيا فعليك بصلاة الليل، وإذا أردت الآخرة فصلِّ صلاة الليل».

يقول الحاج السيّد هاشم الحداد: هكذا كان السيّد القاضي وهكذا كان يوصينا أنه عندما تستيقظون في منتصف الليل للصلاة تناولوا شيئاً يسيراً، كالشاي أو اللبن على سبيل المثال، أو خصلة

عنب، أو أي شيء قليل حتى تُذهبوا الكسل عن جسمكم ويكون لديكم نشاطٌ للعبادة.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية الله السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عليه السلام، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

القرآن شراب المؤمنين

يقول السيّد محمد حسن القاضي: بعض توصياته كانت كالتالي، أوّلاً: تلاوة القرآن. كان يوصي بالقراءة الجيّدة والصحيحة للقرآن. التوصية الثانية: مطالعة تاريخ الإسلام. كان يقول اقرأوا تاريخ الإسلام، من ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى ٢٥٥ أو ٢٦٠ هجري، وبعد ذلك صلّوا صلاة الليل.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية الله السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عليه السلام، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

في رسالة إلى السيّد الطباطبائي

القرآن هو منهاج العمل، فيه دواء كلّ داء وشفاء كلّ علة، ودواء كلّ غلة، علماً وعملاً وحالاً. اجعل قرّة عين المخلصين دائماً نصب عينيك. وسر على هدي هادي الطريق المقيم والصراط المستقيم. ومن جملة السير الشريف فيه قراءته بالصورة الحسنة ومراعاة الآداب الأخرى خاصّة في بطون الليالي...

عليكم بقراءة القرآن الكريم في جوف الليل بصوت جميل

وحزين، فهو شراب المؤمنين. ولا ينبغي أن تقلّ تلاوة القرآن عن جزء».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

التوسّل بالأئمة الأطهار

في إحدى رسائله يقول السيّد القاضي: «... وتمام الطرق.. التوسّل بالأئمّة الأطهار عليهم السلام، والتوجُّه التامّ للمبدأ، وإذا حصلنا على المئة، فالتسعون أيضاً بحوزتنا. ونحن لا شغل لنا بالدراويش وطرقهم، الطريقة هي طريقة العلماء والفقهاء بصدق وصفاء».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

التوسّل بسيّد الشهداء (ع)

من المحال أن يصل الإنسان إلى مقام التوحيد إلّا عن طريق سيّد الشهداء عليه السلام. فسريان الفيوضات والخيرات من مسير سيد الشهداء عليه السلام. والمساعد على هذه الفضيلة أيضاً قمر بني هاشم أبو الفضل العباس عليه السلام.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

علاج الاضطراب الروحيّ

كان المرحوم القاضي يوصي بقراءة هذه الكلمات عند الشعور بالاضطراب الروحي: «لا اله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير، أعوذ باللّه من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون، إنّ اللّه هو السميع العليم».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الدعاء في قنوت الصلاة

كان السيّد القاضي يوصي طلابه بقراءة هذا الدعاء في قنوت الصلاة: «اللَّهمَّ ارزقني حبَّك وحبَّ ما تحبه وحبَّ من يحبُّك والعمل الذي يبلغني إلى حبِّك واجعل حبَّك أحبَّ الأشياء إلي».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

لا تؤذوا قلب أحد

ولو أن هذا الكلام بمثابة طرق الحديد وهو بارد، ولكن لا بدّ لهذا العبد أن يقول: عليكم بطاعة الوالدين، وحسن الخلُق، وملازمة الصدق موافقة الظاهر للباطن، وترك الخدعة والحيلة، والسبق في السلام، وفعل الخير مع كلّ بَرٍّ وفاجر إلّا في المواضع التي نهى اللّه عنها. اللّه اللّه في عدم أذيّة قلوب الآخرين.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الذهاب إلى المسجد

على كلّ من يجاور المشاهد الشريفة أن يزورها يوميّاً. وأن يكون الذهاب إلى المساجد المعظّمة بقدر المستطاع. وكذلك بالنسبة إلى بقية المساجد فالمؤمن في المسجد كالسمك في الماء.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

زيارة الإخوان المؤمنين

عليكم كثيراً بزيارة ولقاء الأخوة ذوي السيرة الحسنة. لأنهم إخوانكم في طيّ الطريق ورفقاؤكم في المشاكل.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

رفع البلاء

في أحد الأيام سأله العلّامة اللاهيجاني الأنصاري: عند الاضطرار والابتلاء سواء في الأمور الدنيوية أو الأخروية، ما الذكر الذي نقرأه حتى تتيسّر الأمور؟ فأجابه: الصلاة على محمّد وآل محمّد خمس مرات بعدها قراءة آية الكرسي، ثمّ كرر في قلبك

دون لسانك «اللهم اجعلني في درعك الحصينة التي تجعل فيها من تشاء».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

حديث عنوان البصري

يقول السيّد محمّد حسين حسيني الطهراني في كتابه الروح المجرد: لتجاوز النفس الأمّارة والرغبات المادية والطباع والشهوات والغضب التي غالباً ما تنبع من الحقد والحرص والشهوة والاستغراق في الملذّات، كان السيّد القاضي يوصي طلابه وتلامذته ومريدي السير والسلوك إلى اللّه، برواية، عنوان البصري. حتى أن يكتبوها ويعملوا بها. ما يعني أنّ إحدى التوصيات الأساسية والمهمة العمل بمضمون هذه الرواية. إضافة إلى ذلك كان يقول يجب أن تضعوها في جيبكم وتطالعوها مرّة أو اثنتين في الأسبوع.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

التوصية بالتوبة والاستغفار

إخواني الأعزّاء - وفقكم اللّه لطاعته - انتبهوا، إنّنا دخلنا في الأشهر الحرم، فما أعظم وأتم نعم اللّه علينا. لذا قبل أي شيء يجب علينا أن نتوب بالشروط اللازمة والصلوات الخاصّة. وأن نبتعد قدر

الإمكان عن الذنوب الكبيرة والصغيرة. لذلك صلّوا صلاة التوبة ليلة الجمعة أو يوم السبت، ليلة الجمعة أو يومها، ثم أعيدوها في يوم الأحد من اليوم الثاني من الشهر. ومن ثَمّ لازموا المراقبة الصغرى والكبرى ومحاسبة ومعاقبة النفس بما هو لازم ولائق.

(المقصود من المراقبة الصغرى محاسبة النفس على ارتكاب الذنوب والأخطاء حتى ترك المستحبّات والإتيان بالمكروهات. والمراقبة الكبرى المداومة على الذكر والانتباه وعدم الغفلة بقدر الإمكان) وفي ذلك ذكرى لمن يريد أو يخاف اللّه. ثمّ التفتوا إلى قلوبكم وداوُوا الأمراض التي نتجت من الذنوب. وبوسيلة الاستغفار صغّروا عيوبكم الكبيرة وقلّلوها.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

قضاء الحاجات

كان المرحوم القاضي يعتقد بفضل قراءة الدعاء التالي (دعاء سريع الإجابة من مفاتيح الجنان) لمدة أربعين ليلة في كلّ ليلة من مرّة إلى مئة مرّة لقضاء حاجات واردي العتبة الإلهيّة، وهو: «إلهي، كيف أدعوك وأنا أنا؟ وكيف أقطع رجائي منك وأنت أنت؟ إلهي إذا لم أسألك فتعطيني، فمن ذا الذي أدعوه فيعطيني؟ إلهي إذا لم أدعك فتستجيب، لي فمن ذا الذي أدعوه فيستجيب لي؟ إلهي، إذا لم أتضرع إليك فترحمني فمن ذا الذي أتضرّع إليه فيرحمني؟ إلهي فكما فلقت البحر لموسى ونجيته

أسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تنجّيني مما أنا فيه وتفرّج عني فرجاً عاجلاً غير آجل بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الاستمداد من روح العظماء

كان السيّد القاضي يوصي الجميع بالتالي: «إذا كان في جواركم أو مدينتكم قبر لأحد أبناء الأئمّة أو العلماء و العظماء فعليكم بزيارته حتماً».

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة

يقول السيد القاضي في رسالة أخرى له:

بسم للّه الرحمن الرحيم، بعد حمد اللّه جلّ شأنه والصلاة والسلام على رسوله وآله، حضرة السيد! كلّ هذه المشاكل والتي من جملتها الوسواس وعدم الطمأنينة هي من الغفلة، وإنّ من أدنى مراتبها الغفلة عن الأوامر الإلهية. ولها مراتب أخرى أسأل اللّه أن لا تصل إليها. واعلم أنّ سبب تمام الغفلات هو الغفلة عن الموت، وتخيل البقاء في الدنيا، لذلك إذا كنت تريد أن تكون في مأمن من جميع المخاوف كن دائماً ذاكراً للموت ومستعداً للقاء اللّه تعالى.

وهذا هو الدّر الثمين ومفتاح سعادة الدنيا والآخرة. لذلك تفكّر ولاحظ أيّ الأمور يمنعك ويشغلك عنه، إذا كنت عاقلاً! ولتسهيل هذه المسألة أذكر لك بعض الأمور لعلك تستعين بها:

أولاً، بعد تصحيح التقليد أو الاجتهاد لا بدّ من المواظبة التامّة على الفرائض الخمس وسائر الفرائض في أحسن الأوقات، واسعَ أن يزداد الخشوع والخضوع يوماً بعد يوم، وعليك بتسبيح الصدّيقة الطاهرة، صلوات اللّه عليها، بعد كلّ صلاة وقراءة آية الكرسي كذلك، إضافة إلى سجدة الشكر، وقراءة سورة يس بعد صلاة الصبح وسورة الواقعة في الليالي، والمواظبة على النوافل اليومية، وقراءة المسبِّحات في كلّ ليلة قبل النوم وقراءة المعوّذات في الشفع والوتر والاستغفار ٧٠ مرة. وكذلك بعد صلاة العصر. وعليك بقراءة هذا الذكر ١٠ مرات بعد صلاتي الصبح والمغرب أو في الصباح والمساء: «لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو على كلّ شيء قدير، أعوذ باللّه من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّي أن يحضرون إنّ اللّه هو السمع العليم». داوم على هذه الأمور مدّة لعلّ حالك يتغيّر وتصبح من طلاب الاستقامة، إن شاء اللّه تعالى.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

الدعاء لفرج إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف

من الأمور اللازمة والمهمّة الدعاء لفرَج حضرة الحجّة، صلوات اللّه عليه، في قنوت ركعة الوتر، بل عند كلّ يوم وفي كلّ الأدعية.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

دعاء كُميل والزيارة الجامعة

يقول السيّد محمّد حسن القاضي: كان يوصي بقراءة دعاء كميل في ليالي الجمعة، وقراءة الزيارة الجامعة في أيّام الجمعة.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

تقوية الذاكرة

كان المرحوم القاضي يوصي بقراءة آية الكرسي والمعوذتين (الفلق والناس) لتقوية الذاكرة.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]

العمل بالمعارف

اعمل من الخيرات ما تعلمه بشكل صحيح وعلى أعلى درجات الدقّة والسعي، واعلم أنّك ستصبح عارفاً.

[من وصايا العلماء، أستاذ الطريقة، آية اللّه السيد علي القاضي، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ.ش.]



بحر العرفان

آية اللّه بهاء الديني

التزكية، مفتاح فهم المعارف الإلهيّة

إذا أردتم أن توفّقوا لإدراك وفهم كلمات الأنبياء، كتاب اللّه، كلمات نهج البلاغة وكلمات الصحيفة السجادية عليكم أن تزكّوا أنفسكم.

إذا تزكّيتم ستدركون إرادة المتكلّم، ليس من المعلوم أن تفهموا، لأنّ مصاديق المفاهيم تختلف باختلاف النفوس. القرآن يقول: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، الإنسان غير المطهّر لا يستطيع فهم الكتاب العزيز. الفهم الحكيم يقول: المراد من المطهّر هو المطهّر من النجاسات والملوّثات، المطهّر من الرذائل النفسانية والمطهّر من الشِّرك. طالما لم يتطهّر الإنسان من هذه الرذائل، فلن يعرف كتاب اللّه. الفهم الفقهي يقول إنّ المقصود من «لا يمسُّه إلّا المطهّرون» تماس البدن والأعضاء والجوارح، يعني لا يمكن مس القرآن بلا وضوء. وهذا أيضاً صحيح هذا أيضاً مطهّر. الطهارة من الأرجاس هي تطهير.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

تلازم التزكية والتعليم

«ما لم يطوِ الإنسان مراحل من بناء الذات لا ينبغي له الدخول في الأعمال الاجتماعية. الأفراد الحوزويّون الذين يُجذبون إلى الأعمال الاجتماعية والسياسية بدون أن يبنوا ذاتهم سيكون ضررهم بالتأكيد أكبر من نفعهم.

علينا أن نضع هذه الحماقات جانباً، كأن نقرأ الكتب بسرعة حتى نصل إلى مكانة ما. كلّا، علينا أن ندرس بدقّة وصبر، أن نستفيد من محضر الأستاذ، أن نكون معه ونرى حركاته حتى تؤثّر في نفس الإنسان، إلى جانب ذلك علينا أن ننتبه إلى أنفسنا، فإذا غفلنا عن ذاتنا فلن تكون عاقبتنا خيراً، فطريق بناء الذات بحاجة إلى الممارسة الكثيرة.

علينا الخضوع للكثير من الامتحانات في هذه الطريق، علينا جميعاً الالتفات إلى أنّ تهذيب النفس يعطي للعلم ثمراً وللقدرة فائدة وللخدمة قيمة».

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

علينا بمعرفة قدراتنا

لقد وضع اللّه تعالى في ذوات الأفراد استعدادات خاصّة يجب فهمها وإحرازها. وفي المقابل حرمهم من جوانب أخرى. في شبابي التقيت بأحدهم، على المستوى العلمي كان قد درس كتاب السيوطي، لعلّه عشرون مرّة، لكنه كما كان يُعبّر، لم يتعلم منه شيئاً.

إلّا أنّ هذا الشخص نفسه كان يمتلك المهارة والدقّة وسرعة العمل في فنّ العمارة لدرجة أنهم أوكلوه بقسم من مبنى المدرسة الفيضية، واستطاع أن ينجزه بجودة لدرجة أنّ ذلك القسم لم يكن فيه أيّ عيب، وكان يتمتّع باستحكام وظرافة وجمال .

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

إصلاح الذات، العائلة والمجتمع

قال (رحمه اللّه) في أحد دروس الأخلاق:

المرحلة الأولى في الأخلاق الإسلامية تهذيب الإنسان لنفسه، والتي بوسيلتها يبعد الإنسان نفسه عن نار جهنّم، بعدها يصل الدور إلى تدبير المنزل. أمّا المرحلة الثالثة من التهذيب، فتكون بإدارة وتطهير المجتمع وإبعاده عن النار. الإنسان الكامل هو الذي يطوي هذه المراحل الثلاث. الشخص المؤهّل لإدارة المجتمع يكون قد طوى هذه المنازل الثلاثة.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

حُسن الظنّ باللّه عند البلاء

«الاعتقاد بالتقديرات الإلهية يهيِّئ للإنسان أرضية الخير، فالكثير من الحوادث التي تقع حولنا هي لصلاحنا وخيرنا. على الرغم من أنّ ظاهرها قد يكون مرّاً وغير مستساغ.

الأصل هو أن نحسن الظنّ بهذه الحوادث، إذا أحسنّا الظنّ بالمصائب والابتلاءات فإنّ اللّه سيرزقنا خيراً أكثر، وسيزيد من إيماننا خيراً لا نتصوّره ولا نصدّقه».

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

تلازم العلم والحِلْم

كلّ كلمات الأئمّة عليهم السلام تم انتقاؤها بدقّة، وحين يقول المعصوم إنّ العلم والحِلْم توأمان، يكون العلم بلا حِلْم بلاء وباعثاً على الهلاك.

في بعض الأدعية يطلب المرء أحياناً شيئاً مثل العلم، لكنه يغفل عن طلب الحِلم بمعيّة العلم، وهكذا يكون كمن يحفر قبره بيديه.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

الصبر والدقّة في طلب العلم

إذا كان هناك صبر ودقّة أثناء المطالعة، فسيكون هناك مباحث قيّمة من نصيب الإنسان لا يحصّلها بالعجلة والمطالعة السريعة. وممّا لا شكّ فيه أنّ الحضور في محضر الأستاذ والجلوس في درسه، بنفسه له مكانة خاصّة لأنّ طريقة نظر الأستاذ وحضوره وكلامه ومراودته جميعها، لها الأثر الكبير في فهم المباحث الدرسيّة والبناء الروحيّ والأخلاقيّ، كلّ حركات الأستاذ المهذِّب تؤثّر في الإنسان.

في شبابي كنت أنجز الأعمال العلمية والفكرية، بنشاط كبير، لمدّة تقارب الستّ عشرة ساعة. وبهذه الطريقة كنت أحلّ المجهولات ونقاط الإبهام في درسي. النشاط الدرسيّ ضروريّ ومفيد لتحصيل العلم. الإنسان النشيط نومه قليل، وإتلاف وقته قليل، وكلامه غير الضروريّ أقلّ، وتمام همّته يصرفه في الدرس والتحصيل.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

النفس الأمّارة تزاحم القوّة العاقلة للإنسان

ينبغي استخدام القوّة العاقلة وإزالة ما يعترضها من موانع. فالنفس الأمّارة تزاحم القوّة العاقلة. كلّما زكّى الإنسان هذه النفس وهذّبها قلّل من قوّتها السبعية وأضعفها، وبالمقابل قوّى حكومة وحاكمية العقل. ولكن نحن لا نفرق بين العقل والنفس.

البعض يقول: أنا قلبي يريد هذا الأمر، لكن من الخطأ اتباع الهوى القلبيّ والقيام بكلّ ما يطلبه، إذا كان قلبك يريد الذهاب إلى جهنّم فاذهب هنيئاً لك. ما ترونه الآن آثار هوى وهوس الشرق والغرب. فهم يفتخرون أنّ لديهم القدرة على إشعال الكرة الأرضية. لو كان لديكم قدرة الرحمة لكان جيّداً ولحوّلتم الدنيا إلى جنّة.

لقد تمّ التأكيد في الإسلام بهذا القدر على العلم وقيل: «اغدوا علماء وأصحاب بصيرة ونورانيين، لأجل أنّ آثار العلم والنور كلّها رحمة». وجاء في الحديث: «أوّل ما خلق اللّه العقل».

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

الذكر الحقيقيّ

في أحد الأيام سُئل الأستاذ عن الأذكار والأوراد فأجاب:

«محصولها ونتائجها آنية، أي أنّ الإنسان يستفيد منها طالما هو منشغل بها، لكنّ الذكر هو الذكر القلبيّ الذي تكون نتائجه دائمة، وينبغي ربط القلب به.

فما أكثر الأذكار التي ليس لها حتى نتيجة آنية، لذا يجب القول في مثل ذلك: اشتغلت بالذكر عن المذكور».

في موضع آخر يقول (رحمه اللّه): «لا تنخدعوا بالتسبيح والذكر والورد، من الممكن أن يعتاد الإنسان على شيء ويستوحش إذا

تركه، لكنّه لا يكون ذا أثر. يصبح الإنسان أحياناً كالمسجلة يقول ويقرأ ولا يفهم شيئاً، فلا يحصل على شيء».

عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «ألا أخبرك بأشدّ ما فرض اللّه على خلقه؟ قلت بلى، قال: إنصاف الناس من نفسك، ومواساة أخيك، وذكر اللّه في كلّ حال. أما إني لا أريد بالذكر سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر، وإن كان هذا من ذلك، ولكنّ ذكر اللّه في كلّ موطن تهجم فيه على طاعة اللّه، أو معصية له».

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.]

عاقبة سوء الخُلق مع الوالدين

في شهر رمضان المبارك، إضافة إلى الأعمال اليومية، كنت أبقى أحياناً ساعة قرب والدتي، ومن ثَمّ أتابع الدرس والبحث والمطالعة بعد الإفطار.

في إحدى الليالي عدت إلى المنزل في وقت متأخّر، بحيث لم يتبقّ لأذان الصبح أكثر من ساعة.

عندما دخلت إلى المنزل رأيت أمي متعبة وقلقة، فاتجهت فجأة نحوي وقالت لي: «لماذا تأخّرت إلى الآن؟ لم أنم من القلق والتعب حتى الآن».

وبدل أن أظهر لها المحبّة وأعتذر، قلت لها بما عندي من غرور الشباب: «أخطأتِ بعدم النوم، كان باستطاعتكِ النوم».

إلّا أنّه لم يمضِ الكثير من الوقت حتى تلقّيت جزاء ذلك التصرّف الخاطئ.

على الرغم من أنني في تلك الليلة كنت أتابع أمراً حسناً ومقبولاً، إلّا أنني عوقبت بسبب إضاعة حقّ الآخرين، وأذيّة الأم والأب.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.]

العلم الإلهي

يقول السيّد: «في وقت من الأوقات رأينا أن هذه العلوم الظاهرية لا تروينا، فهذه صناعة، وبها لا يصلح القلب».

يجب السعي للحصول على ذلك العلم المرتبط مباشرة بالتقوى الإلهية «واتقوا اللّه ويعلّمكم اللّه».

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.]

إرادة الخير للعبد

عندما يريد اللّه الخير لفرد يهيئ الأرضيّة، بحيث أحياناً وللحظات يسلب الرؤية عن النظر، والفهم والإدراك عن قوّة الإدراك، حتى يأتي بعمل وحركة يوجبان نجاته واستقامته.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.]

العبودية سُلّم الارتقاء

إنّ طريق الوصول إلى هذه المقامات الإنسانية العالية، والتي لا نهاية لها هو في ظلّ العبودية. والإنسان بقدر ما تكون حركته إلهية وخالصة، يقترب من اللّه وأوليائه.

على الإنسان أن يتبع الأنبياء ويسلك طريقهم حتى يصل إلى الكرامات التي أعدّوها له.

النبيّ الأكرم كان قد طهّر نفسه، ووصل إلى مقام طهارة النفس حتى وصل إلى مقام الخاتمية والمعراج والنبوّة والولاية. ونحن نقول في التشهّد: «أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله» بدايةً نقرُّ بعبوديته ومن ثَمّ برسالته.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.]

طريق الوصول إلى عالم المعنى

الشريعة هي أساس الطريقة، والظاهر أنّ طريق الاستدلال ليس سوى مقدّمة لإدراك الباطن والوصول إلى الحقيقة. ولا يمكن الوصول إلى الباطن إلّا عن طريق الظاهر، والطريق الوحيد هو طريق التعاليم الإسلاميّة.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.]

كن مع اللّه

إلى الباحثين عن ماء الحياة، كان يوصي بجملة قصيرة، أنّ عصارة وخلاصة وروح كافّة الأذكار والأوراد هي: «كن مع اللّه».

وكلّما كانوا يطلبون منه ذكراً، كان يقول: «كن مع اللّه!».

وحينما كانوا يلحّون عليه أن يضيف، كان يرمقهم بنظرة ذات مغزى ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

[من وصايا العلماء، بحر العرفان، آية اللّه بهاء الديني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.]

الأسماء الحسنى

إنّ جميع ما سوى اللّه هو أسماء الحقّ، ومن آثار وجود الواجب. من بين أسماء الحقّ، الأنبياء والأولياء والولاة والصالحون هم أسماء الحقّ الحسنى، الأسماء الكاملة للحقّ. هؤلاء، إضافة إلى أنهم ينبئون عن وجود الباري تعالى، هم أيضاً يخبرون عن صفاته، عن رأفة الحقّ تعالى وحكمته. فعلومهم علوم إلهيّة، قدرتهم قدرة إلهيّة، رأفتهم رأفة إلهيّة، حكمتهم حكمة إلهيّة. وعلوم طبقة الأنبياء والأولياء تُنفق في سبيل هداية البشر. مثلما فعلوا.

ليست علومهم محض مادِّية. فهم لا حاجة لهم بالأمور المادية، ولا حاجة لهم بمخلوقات اللّه. فمن يحيي الموتى لا حاجة له بعباد اللّه. بل عباد اللّه هم محتاجون إليه. لذا فإنّ علم هذه الطبقة ينفق في سبيل هداية البشر. والبشر انطلاقاً من أفكارهم الناقصة، يقولون: ما الفرق بيننا وبينهم؟ هم يريدون السيادة علينا. لكن ينبغي القول، إنّ من له السيادة على الشمس والقمر، وله السيادة على جميع العوالم، لا حاجة له بهؤلاء البشر. إلّا أنّ البشر تبعاً لأفق أفكارهم هكذا يحكمون.

[السلوك المعنويّ، إعداد عليّ أكبر أسدي، انتشارات بارسيان، ١٣٨٠]

سعة رحمة الرسول الأكرم ﷺ

رسول اللّه ﷺ هو رحمة في كافّة النشآت. في نشأة الدنيا هو رحمة، في نشأة البرزخ هو أيضاً رحمة، وفي نشأة القيامة أيضاً هو رحمة. وإن تحرّك في مسار النور، مرتبته الكاملة هي أنه «رحمة للعالمين». ورغم أنّ أهالي مكة ارتكبوا طوال عشر سنوات كافّة أنواع المضايقات بحقّ رسول اللّه ﷺ، وقاموا بكلّ أنواع الفجائع، حتى إنهم قتلوا أنصار رسول اللّه ﷺ، لكن في اللحظة التي فتح فيها الرسول ﷺ مكة، قال: «أنتم الطلقاء»؛ نحن لن نحاسبكم، نحن رحمة. ومع أنّ رسول اللّه ﷺ يعلم بمستقبلهم وما سيرتكبون من فجائع، ولكنّ مقام رحمته هو رحمة يقول معها «أنتم الطلقاء». نحن لا نقول أنتم ارتكبتم العمل الفلانيّ. بل نقول إن أقبلتم جميعكم على الإسلام، نصرف النظر عن كافّة جرائمكم. هذه هي الرحمة.

في الجهة المقابلة، طواغيت العالم، آثار الفراعنة، آثار النمرود ويزيد ومن شاكلهم، آثار الشرق والغرب، كافّة آثار حركتهم هي في مسار الظلمة ومسار الشيطان.

[السلوك المعنويّ، إعداد عليّ أكبر أسدي، انتشارات بارسيان، ١٣٨٠]

مالكيّة النفس

أن يتملّك الإنسان ببركة تأييدات الحقّ تعالى السيطرة على نفسه، من قبيل المالكية التي يقول بها سيدنا ومولانا الإمام عليه السلام لمالك الأشتر «فاملك هواك». المالكية ذاتها التي يقول بها موسى عليه السلام: «لا أملك إلّا نفسي وأخي». أن يتملّك الإنسان السيطرة على نفسه، يتملّك كافّة الشرور. يعني إن أصبحتم حاكمين لأنفسكم، لن تعصي أعينكم وآذانكم وأيديكم اللّه عزّ وجلّ، لأنّ النفس ما دامت لم توافق على معصية العين، لن تعصي العين. وإذا ملك الإنسان السيطرة على نفسه، يكون مالك السيطرة على كافّة الأعضاء والجوارح، مالك السيطرة على الشيطان، حاكماً على الشيطان. فهذه من مميّزات الإنسان الذي هو في مسار النور وفي الحركة الإلهيّة، من لا تتبع نفسه الهوى والهوس، ويأخذ بعين الاعتبار رضا اللّه.

وإن يقع الإنسان في مسار الشيطان، تكُن النتيجة كافّة الفساد الذي قد رأيتموه حتى الآن. وفي مثل هذه الحالة، البشر مستعدّون جرّاء هوسهم وأهوائهم أن يحرقوا الكرة الأرضيّة بأسرها. في هذا المسار، يوجد شيطان كامل، شيطان خبير. إنّ اختياركم بأيدكم لكي

تتحرّكوا في مسار الحقّ، أو في مسار الباطل، في مسار النور أو في مسار الظلمة. لا تتصوّروا أنّ الأشخاص الذين يتحرّكون في مسار الظلمة هم أقوياء. بل هم ضعفاء. فلو لم يكونوا ضعفاء لتعرّفوا على نورانية العقل وعلى النور الإلهيّ. إنهم مصداق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. لا تتصوّروا أنّ هذا فيه مبالغة. بل هو واقعيّ وحقيقيّ. إذا انقطع الإنسان عن طريق اللّه، هو أسوأ من ألف ذئب. نفسيّته نفسية حيوانية، نفسية سبعية. إلّا أن تكون حركته ببركة البركات الإلهية والتأييدات الإلهية في مسار النور. أن يغدو مؤمناً، ويزكّي نفسه ويهذّبها، وأن يفهم المطالب والحقائق.

[السلوك المعنويّ، إعداد عليّ أكبر أسدي، انتشارات بارسيان، ١٣٨٠]

المقام الحقيقيّ

أحياناً الإنسان في آخر ليلة من عمره، وبينما هو يحتضر، يحرص على الأمور المادية والمالية، لا يزال يخاف على مقامه. قل أنت الذي تحتضر، ماذا ينفعك المقام، الذي هو مقام خيالي واعتباري. فإنْ تكُن طالب مقام، تحقّق بمقام الأنبياء، مقام الأولياء، الذي لا يفنى ولا يزول. فعندما يتحقّق المرء بمنصب إلهي، الدنيا بأسرها لا يمكنها أن تسلبه هذا المنصب.

لو تجتمع الكرة الأرضية بأسرها وتريد أن تسلب إمامة وخلافة

مولانا، لن تفلح مساعيها. إن تكونوا رجال مقامات، فاسعوا وراء هذه المقامات. أنت لديك ميزانية مالية تكفي لخمسمائة سنة، وبالرغم من ذلك، لا تنام الليل، ولا سمح اللّه قد تصاب بالشلل من وراء الأمور المادية والمالية. هذا وليس من المعلوم أن يكون نصيبك أزيد من مقدار قليل من الغذاء الذي تتناوله.

أسأل اللّه أن يوفّق الجميع، ويجعل الجميع حاضرين في طريق الحقّ والإسلام، وان تستفيدوا جميعاً من الإسلام. فإن تنتفعوا بالإسلام، هو نفع لأنفسكم. وليس معناه أن تعملوا لشخص ما. فلو أصبحتم رجال اللّه، أول فضيلة وميزة تكون من نصيبكم، هي أنكم أنفسكم تغدون عالمين، وتتحقّقون بالأخلاق الإنسانية. نفسك تصبح مستقرّاً لمجموع الفضائل الإلهيّة، حتى إنّك غير مستعدّ لأن تؤذي حيواناً، هذه من مزايا الإنسان. هذه برامج الإسلام.

إذا ما تعرّف البشر على برامج الإسلام، يصبح وجدانهم منزّهاً عن الجور، وأنت لا تعلم الوجدان المنزّه عن الجور، أي جنّة عالية هو. الوجدان الذي يبصر لا يعصي اللّه، ولا يضيّع حقّ الناس ولا حدود اللّه. هكذا وجدان يتمتّع بآثار كبيرة، بركات اللّه تتنزّل عليه. وإن تكُن من أهل الهمّة، تكُن همتك همّة عالية وتكون تالي الأنبياء والأولياء، ولا تكُن في إثر الذئاب والمتوحّشين.

[السلوك المعنويّ، إعداد عليّ أكبر أسدي، انتشارات بارسيان، ١٣٨٠]

الإنسان موجود مركّب من مادة وروح

الإنسان موجود مركّب من مادّة وروح. والتركيب من الجسمانية والروحانية هو من مختصّات الإنسان. ليس للموجودات المادية هذا النوع من التركيب. الموجودات الروحانية، كالملائكة والعقل، تفتقد لهذا التركيب. هذا التركيب يختصّ بالإنسان فقط، والإنسان مختار في أن يتحرّك في مسار الروحانية أو في مسير الماديات الجسمانية. لقد أعطي الإنسان الاختيار لكي يتحرّك في مسير العقل والنورانية، أو في مسير الشيطان والظلمة. وهذا الاختيار واضح وجليّ. إنّ حركة الإنسان نابعة من الاختيار، وهي ليست من قبيل الحياة والموت، التي هي حركة اضطرارية؛ كما ليست من قبيل الحركة من الجماد إلى النبات ومن النبات إلى الحيوان ومن الحيوان إلى الإنسان، التي هي حركة قهرية.

إنّ وصول الإنسان إلى مرحلة البلوغ والشباب والكمال ليس باختياره؛ ولكن الحركة سواء كانت في طريق الحقّ أم في طريق الباطل فهي باختياره. الإنسان مختار في أن يسلك طريق المعصية، أو طريق الطاعة. وإذا سلك طريق الحقّ، يتحقّق بالنورانية. النورانية التي هي رحمة للعالمين.

[السلوك المعنويّ، إعداد عليّ أكبر أسدي، انتشارات بارسيان، ١٣٨٠]

الرحمة الإلهيّة

لا تظنّوا أنّ الرحمة الإلهية تتلخّص في لباس وطعام الإنسان وشهواته، فإنّ الرحمة هي ما حاز عليه الأنبياء والأولياء من التصرّف

في الكون، فقد كان رسول اللّه ﷺ يقول للشجرة اليابسة: اخضرّي فتخضّر، وكان عيسى يحيي الموتى بإذن ربه، هذه هي الرحمة والألطاف الإلهية، وهؤلاء لم ينالوا تلك الدرجة إلّا بالعبودية للّه تعالى.

إنّ الإنسان إذا صار نورانيّاً يسرّك النظر إليه، والنظر إلى بعض الوجوه يغيّر حال الإنسان. إنّ سيماء الأولياء تجذب النفوس إليها. كثرٌ أرادوا اغتيال رسول اللّه ﷺ ولكنّهم لمّا كانوا ينظرون إليه ينقلب حالهم، وهذه رحمة إلهية، فليس كلّ الرحمة هي المال، فإنّ من الرحمة ما بين أظهرنا من القرآن الكريم وحكومة الإسلام على جميع الكرة الأرضية كما أنّ ذلك اليوم ليس ببعيد.

[مدارج الكمال]

الإنسان الكامل

عُرضت الأمانة ـ الخلافة الإلهية التي كان الأنبياء والأوصياء متُصفين بها ـ على جميع الموجودات، فأبين أن يحملنها فحملها الإنسان لما كان يتصف به من مقام رفيع، لأنّ مقام الخلافة الإلهية من المناصب الحقّة للإنسان الكامل.

لقد خلق اللّه الشمس والقمر والأرض والسماء من أجل الإنسان الكامل الذي هو خليفته في أرضه، وقد هداه هداية خاصّة بحيث صار يدعو إلى الخير والصلاح والصدق والإخلاص. لكنّ الجهلة

من الناس وقفوا بوجهه وأعدّوا له ما أعدّوا من إمكانات للمحاربة. ولكنّ النبيّ أو الوصيّ على عدّته القليلة، يهدّد العالم ويطيح بكلّ المخططات، ذلك أنّ القيام بوجه الشرور النفسانية والنيران الباطنية والفساد هو من واجب كلّ نبيّ أو وصيّ، فالذي يتمكّن من إصلاح المجتمع هو الإنسان الصالح فقط.

[مدارج الكمال]

شكر الله

إنّ معاجز الأنبياء كالإحياء والإغراق لفرعون و... كلّه لا يتيسّر إلّا بالقرب الإلهيّ لأنّ الإنسان إن كان شكوراً كان ذلك مقرّباً له من اللّه. والذي يكون سبباً في هذا القرب أيضاً هو بذل تلك النعمة والجود بها في سبيل اللّه، وبالقرب تحصل جميع البركات الإلهيّة، وأمّا كفران النعم فإنه يوجب ابتعاد الإنسان عن اللّه تعالى، والكفر بالنعمة يعادل المعصية، فلو ابتعد الإنسان عن اللّه بسبب المعصية حُرم من بركاته تعالى.

[مدارج الكمال]

البلاء يعدّ أرضية الكمال

لو أراد الإنسان السير بالنفس من النارية إلى النورية، وأراد تربيتها تربية إلهية، لا بدّ أن يروّضها على الصبّر والصلاة لتتمكّن من مقاومة الابتلاءات والحوادث في العالم، لكون الدنيا «دارٌ بالبلاء محفوفة»

كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام، فلا أحد في أمان من ذلك البلاء، وليس هناك من طريق سوى الصبر عليه، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّا معشر الأنبياء أسرع شيء البلاء إلينا، ثمّ الأمثل فالأمثل من الناس». فإذا صبر عليه الأمثل كان رافعاً لدرجته، وليس الترف مهذباً للإنسان كما في البلاء، لأنّ الطريق إذا كان مفتوحاً للإنسان لا تكون حركته، في ذلك الطريق، ذات أثر بالغ في بنائه وتهذيبه، وأمّا إذا صبر على البلاء يكون البلاء سبباً في تهذيبه وبنائه، فيصنع منه إنساناً، لأنه يزداد إلى علمه وتجربته جرّاء ذلك البلاء علماً وتجربة، وتنحلّ الكثير من مشاكله في الحياة بالصبر والصلاة.

[مدارج الكمال]

الصلاة من أجل العروج

فالصلاة هي من أجل العروج، ولذا فإنّه لا بدّ لكلّ إنسان من نصيب في هذا العروج الذي عرج به الأنبياء والأولياء، فلا ينبغي لأحد أن يتصوّر أنّ العروج مختصّ بالأنبياء، كلّا، نحن أيضاً بإمكاننا العروج، لكن بشرط أن نكون من عباد اللّه المخلصين، وأن لا نشرك بعبادة ربّنا أحداً، فلا تتصوّروا أنّ أهل مكّة فقط كانوا من عبدة الأصنام، نحن أيضاً، إذا عبدنا هوى أنفسنا، كنّا من عبدة الأصنام، غاية الأمر أنّ صنمنا هو الهوى.

[مدارج الكمال]

العودة إلى الفطرة

ماذا ينبغي على الإنسان أن يفعل ليعود إلى فطرته؟ تعتبر التوبة والتزكية وتهذيب النفس الطريق الوحيد للعودة إلى الفطرة، فإن استطاع الإنسان أن يزكّي نفسه ويبتعد عن المعاصي والمؤامرات والحسد يمكنه العودة إلى الفطرة، ويكون حينئذٍ إنساناً، فإن عصى أمر ربّه هبط من مرتبة الإنسانية، فيكون كما قال اللّه في آدم عليه السلام: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

[مدارج الكمال]

خليفة اللّه في الأرض

لقد مكّن اللّه تعالى خليفته في الأرض من كلّ شيء؛ لأنه الإمام والرجل المصلح في الأرض، هو الذي يتحسّس آلام الأمّة وهمومها، فإنّ الخليفة لا يمكن أن يكون من جنس الملائكة؛ لأنه لا يتمكّن من معرفة ما يحتاج إليه الإنسان - الذي هو ليس من نوعه - فيلبّي له رغباته، ويفهم ما يريد، بل بعث اللّه للناس رسولاً من أنفسهم فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

إنّ الذي يرجى من خليفة اللّه تعالى هو الحكم بين الناس بالعدل، وأن لا يرتكب الحرام ولا يعيب على الناس أفعالهم أو يفشي أسرارهم، هذا هو الخليفة الحقّ لا ما تصوّر الملائكة حين اعترضوا على خلق اللّه فقالوا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي

جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

[مدارج الكمال]

آثار الإيمان وبركاته

لا بدّ للإنسان من أن يعلم بأنّ رزقه وشفاءه وعلمه وقدرته وكلّ شيء هي من اللّه تعالى، فإن اعتقد بذلك وتوصّل إلى هذه المرتبة من الإيمان لم يكن يبالي بأعظم القوى ولم يعتن بتكذيب الناس له وتكالبهم عليه.

ومن خصائص الإيمان أنه يخرج الإنسان من حالة القلق والاضطراب ويستبدله بالسكينة والوقار، بحيث لا يكترث عند الشك والشبهة في الدين والدنيا، ويقف بوجه الابتلاءات والشدائد كالجبل الأشمّ، وهذا هو الهدف الذي يبغيه الأنبياء من وراء رسالاتهم، وذلك هو العروج بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال الذي هو المنشأ في ترتيب جميع الآثار يوم القيامة، وأما في الدنيا فأثرها السكينة والوقار النفسيّ.

إنّ كلّ همّ الأنبياء هو الارتفاع بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال، ليدرك بذلك أمراً واقعياً، فإنّ ذلك الأمر الواقعي هو المنشأ لجميع الآثار يوم القيامة، ومن آثار تلك الواقعية هو حالة السكينة والاطمئنان في النفس، فالأنبياء بُعثوا من أجل إيقاظ الوعي

البشريّ، جاؤوا ليقولوا للإنسان: شمّر عن ساعد الهّمة ولا تتعلّق بهذه الدنيا.

[مدارج الكمال]

التوحيد غاية الأنبياء

إنّ الغاية التي من أجلها بُعث الأنبياء هي دعوة البشريّة إلى التوحيد الذي فيه التكامل وترشيد العقول.

لقد خلق اللّه الطبيعة بما فيها من شمس وقمر، وليل ونهار، ونور وماء، وتراب وكلّ شيء من أجل أن يتكامل الإنسان ويرقى سلّم الكمال الذي من أجلى مصاديقه إقامة دولة الحقّ بقيادة رجل ربّانيّ يسوق البشريّة نحو الكمال، ولا بدّ أن تكون الطبيعة بما فيها من كائنات في خدمة هذا الرجل الإلهيّ ليتمكّن من الدعوة إلى التوحيد.

[مدارج الكمال]

الحجب ورؤية الحقّ تعالى

عن النبيّ ﷺ أنه قال في عليّ عليه السلام: «إنّ علياً ممسوسٌ في ذات اللّه». ولعلّ مفادها فقدانه عليه السلام حتى لحجب النور أي ليس بينه وبين اللّه تعالى حتى تلك الحجب النورية فيكون ممسوساً في اللّه، وهذا بخلاف معرفتنا للّه تعالى، فإنه لا بدّ لنا من تلك الحجب النورية.

ففي نظر الحسين بن علي عليه السلام أنّ من تردّد في البحث عن اللّه تعالى عن طريق الآيات يكون بعيداً عنه تعالى، ففي دعاء عرفة أنه عليه السلام قال: «إلهي تردُّدي في الآثار يوجب بُعد المزار». أي من أراد البحث عنك في الآثار لم يزدد عنك إلّا بعداً، فالإنسان الكامل في غنى عن تلك الآثار، وهذا يناسب مقامه عليه السلام.

[مدارج الكمال]

بهجة العرفاء

آية اللّه العظمى الشيخ البهجة (البالغ مناه)

زيارة الإمام الرضا أرفع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام

زيارتكم ينبغي أن تكون (قلبية) فيها حضور للقلب، وعندما تهمُّون بالدخول، عليكم أن تقرؤوا إذن الدخول، وفي الحالة التي تشعرون فيها بتوجّه اقصدوا الحرم، وأثناء طلبكم إذن الدخول من حضرة الإمام الرضا عليه السلام وعندما تصلون إلى عبارة: أأدخل يا حجّة اللّه، ارجعوا إلى قلوبكم وانظروا في ما إذا تحقّق في نفوسكم تحوُّل وتغيير أم لا، فإذا حصل هذا التغيير في حالكم يكون الإمام الرضا عليه السلام قد أذن لكم بالدخول.

أمّا فيما يخصّ زيارة الامام الحسين عليه السلام فعلامة إذن الدخول هي البكاء، فإذا انهمرت دمعة يعني قد أُعطيتم الإذن من قبل حضرته بالدخول فتدخلون.

عندما تشعرون بوجود تحوُّل في نفوسكم تدخلون إلى الحرم،

أمّا في حالة عدم شعوركم بأيّ تغيير في قلوبكم، ورأيتم بأنّ حالتكم غير مساعدة فالأفضل أن تنصرفوا وتقوموا بمستحبّ آخر، ولتصوموا ثلاثة أيام ثم تغتسلون وبعدها عودوا واقصدوا الحرم واطلبوا مجدّداً إذن الدخول.

أمّا فيما يخصّ الحديث عن أنّ زيارة الإمام الرضا عليه عليه السلام بأنّها أرفع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فذلك يعود إلى أنّ الإمام الحسين الكثير من المسلمين يزورونه، أمّا الإمام الرضا عليه السلام فمن يزوره هم فقط الشيعة الاثني عشريّة.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

ترك المعصية

أقول لكم إنّ الغاية من الخلق هي العبودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وحقيقية العبودية هي ترك المعصية في الاعتقاد الذي هو عمل القلب، وكذلك ترك المعصية في عمل الجوارح. وترك المعصية لا يتحقّق ويصبح ملكة عند الشخص إلّا عند مداومة المراقبة وذكر اللّه تعالى في كلّ حال وزمان ومكان، بين الناس وفي الخلوات «ولا أقول سبحان اللّه والحمد اللّه، لكنه ذكر اللّه عند حلاله وحرامه».

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

كيمياء السعادة

إننا نحب إمام الزمان ﷺ لأنه أمير النحل، وجميع أمورنا على الإطلاق تصل إلينا بواسطته، وقد نصبه النبي ﷺ لنا أميراً، ونحن نحب النبيّ لأنّ اللّه تعالى جعله وساطة بيننا وبينه، ونحن نحبّ اللّه تعالى لأنه منبع جميع الخيرات، ووجود كلّ الممكنات هو من فيضه. وفي حال أردنا كمالنا يجب أن نكون محبّين للّه. وإذا كنّا محبّين للّه، يجب أن نكون محبّين لوسائط فيوضاته من النبيّ والوصيّ، وإلّا لن نكون محبّين لكمالنا ولا محبّين لواهب العطايا ولا محبّين لوسائط فيوضاته.

إذاً كيمياء السعادة هي بذكر اللّه تعالى، وهو المحرّك للعضلات باتجاه موجبات السعادة المطلقة، والتوسُّل يكون بوسائط الاستفاضة من منبع الخيرات، بوساطة وسائلها المقرّرة، لذا علينا أن نهتدي بهدايات تلك الوسائط ونتبع قيادتهم حتى نفلح ونظفر.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

ما لم تعلموه عليكم بالاحتياط به

قلت: ألف، قال: ثم مه؟ قلت: لا شيء

لو كان في الدار أحد، لكفى حرف واحد[1].

(١) ترجمة لبيت شعر فارسي: گفتم كه: ألف. گفت: دگر؟ گفتم: هيچ. در خانه اگر كس است، يك حرف بس است.

ذكرت لكم في مرّات عدّة وأعود وأقول مرّة أخرى: الشخص الذي يعلم أنه كلّما ذكر اللّه، فاللّه تعالى جليسه، هو ليس بحاجة إلى أيّ وعظ، فهو يعلم ما عليه فعله وما عليه تركه؛ ويعلم أنّ عليه أن يأتي بما يعلمه ويحتاط فيما لا يعلمه.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الرسالة العمليّة

جميعكم يعلم بأنه يجب عليه الرجوع إلى الرسالة العملية، حيث يجب قراءتها وفهمها والعمل وفقها، كما يجب تشخيص الحلال والحرام وفقها، وفي حال كنا من أهل الاستنباط علينا أيضاً أن نقوم بذلك وفق المدارك الشرعية المعتبرة؛ ولا يمكننا أن نقول: نحن لا نعلم ما يجب علينا فعله وما لا يجب علينا فعله!!

والأشخاص الذين تؤمنون بهم، انظروا إلى أعمالهم، فما يقومون به على سبيل الاختيار، قوموا به. وما لا يفعلونه على سبيل الاختيار، لا تفعلوه. وهذا من أفضل طرق الوصول إلى المقاصد العالية والشريفة «كونوا دعاة إلى اللّه بغير ألسنتكم» . فالمواعظ العملية هي أرفع وأبلغ في التأثير من المواعظ القولية.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

ظلمة القلب وقساوته

من أوضح الأمور أنّ تلاوة القرآن الكريم في كلّ يوم، وقراءة الأدعية بحسب أوقاتها وأماكنها، سواء في التعقيبات أو ما عداها، وكذلك كثرة التردّد إلى المساجد والمشاهد المشرّفة، وزيارة العلماء والصالحين ومجالستهم، هي جميعها من الأمور المرضية عند اللّه ورسوله ﷺ، وعلينا بشكل يوميّ أن نراقب مدى زيادة بصيرتنا وأنسنا بالعبادة والتلاوة والزيارة.

وبالعكس، فإنّ كثرة مجالسة أهل الغفلة يزيد من قساوة القلب وظلمته، كما يؤدّي إلى استيحاشه من العبادة والزيارة، من هذه الجهة إن الأحوال الحسنة الحاصلة من العبادة والزيارة والتلاوة، تتبدّل إلى سوء الحال والنقصان بسبب مجالسة ضعاف الإيمان. من هذا المنطلق تكون مجالسة ضعيفي الإيمان «في غير الحالات الاضطرارية، أو من دون قصد هدايتهم» موجبة لخسارة وفقدان المَلَكات الحسنة، بل علاوة على ذلك تؤدّي إلى اكتساب أخلاقهم الفاسدة.

«قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْجُلَسَاءِ خَيْرٌ قَالَ: مَنْ تُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ».

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

العبودية هي ترك المعصية في العقيدة والعمل

البعض منّا يظنّ أنه قد عبر مرحلة ترك المعصية!! ويغفل عن أنّ المعصية لا تختصّ فقط بالكبائر المتعارف عليها، فالإصرار على الصغائر يعدّ كبيرة من الكبائر؛ فمثلاً النظرة العبوسة الحادّة بوجه العبد المطيع لأجل إخافته هي إيذاء محرّم، وكذلك التبسُّم بوجه العاصي المؤدّي لتشجيعه هو إعانة على المعصية.

إنّ محاسن الأخلاق الشرعية ومفاسد الأخلاق الشرعية قد بُيّنت في الكتب والرسائل العملية.

وأنّ الابتعاد عن العلماء والصلحاء يسمح لناهبي الدين أن يغتنموا الفرصة لكي يشتروا الإيمان وأهله بأثمان بخسة وغير مباركة، كلّ هذه الأمور قد جرَّبناها ورأيناها.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

التابع لإمام العصر عجّل الله فرجه الشريف

إنّ الإنسان الذي يكون متيقِّناً ومعتقداً بوجود خالق ومخلوق، ويرتبط ويؤمن بالأنبياء والأوصياء (صلوات اللّه عليهم)، حيث يكون متوسِّلاً بهم على مستوى الاعتقاد والعمل، ويعمل في جميع حركاته وسكناته وفق تعاليمهم وهديهم، ويكون قلبه في عباداته

خالياً من غير اللّه تعالى، ويؤدّي صلاته التي يَتبع لها كل شيء وهو فارغ القلب من سوى اللّه، وكذلك يكون تابعاً لإمام العصر ﷻ، في كلّ مسألة مشكوك فيها، ويخالف كلّ ما يخالفه الإمام، ويوافق كلّ ما يوافقه، ويلعن كلّ من يلعنه الإمام، ويترحّم على كلّ من يترحّم عليه الإمام، ولو على سبيل الإجمال. وكلّ من يكون على هذه الحالة لن يفقد أيّ كمال ولن يحمل أيّ وزر أو وبال.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الذكر العمليّ

لا يوجد أي ذكر أرفع من الذكر العمليّ، ولا يوجد أيّ ذكر عمليّ أرفع من ترك المعصية على مستوى الاعتقاد والعمل.

والظاهر أنّ ترك المعصية بالكامل (في الاعتقاد والعمل)، لا يتحقّق من دون وجود مراقبة دائمة.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

قولوا (انطقوا) بالعمل

البعض يتعاطى مع الوعظ والخطابة والحديث، التي تكون مقدّمة الأعمال المناسبة، بمثابة ذي المقدّمة. وكأنّ القاعدة أن نقول ونسمع لأجل أن نقول ونسمع!! وهذا اشتباه.

التعليم والتعلّم لأجل العمل هو الصحيح، ولا ينفصلان عنه. وأهل البيت (سلام اللّه عليهم)، لأجل تفهيمنا هذا المطلب وحثّنا عليه قد قالوا: «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم». أن تتكلموا من خلال العمل، وأن تتعلّموا من العمل. وليكن سماعكم بالعمل.

يريد البعض أن يعلم المعلِّم، حتى يتعلم كيفية التعليم من المتعلمين.

يطلب البعض الدعاء، فنقول له: لأجل ماذا؟ بيّن لنا حاجتك ومشكلتك لنصف لك الدواء. وبدل أن يشكر وينهض بالعمل يعود مجدّداً ويقول: «ادعو لنا»!!

إنّنا لا نخرج عن عهدة التكليف، بل علينا تحصيل النتيجة بوساطة العمل، ومن المحال أن يكون العمل بلا نتيجة، أو تحصل النتيجة من غير عمل.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

اصرفوا كلّ العمر بذكر اللّه

نحن نعلم أنّه بقدر اشتغالنا بذكره تعالى سننتفع بتقرّبنا منه، وبمقدار جهدنا في طاعته وخدمته سنكون أقرب إليه تعالى، فالفرق بيننا وبين سلمان (سلام اللّه عليه)، هو في درجة طاعته وذكره، فهذا هو ما يؤثّر في درجة قربنا من اللّه تعالى، كما ينبغي أن نعلم أيّاً

من الأعمال التي نقوم بها في هذه الدنيا «التي هي محلّ ابتلائنا» موافق لرضى اللّه تعالى؛ لأنّ ذلك يدخل أيضاً تحت عنوان خدمة اللّه تعالى وعبادته وطاعته.

إذاً يجب أن نعلم بأنّ الهدف ينبغي أن يكون متمثّلاً بصرف العمر كلّه في ذكر اللّه تعالى وطاعته وعبادته، وذلك حتى نرتقي بأنفسنا إلى أعلى مراتب القرب التي تتناسب مع استعداداتنا، وإلّا سيكون مصيرنا الندم يوم نرى أولئك الواصلين إلى المقامات العالية، ونحن تخلّفنا عنها من دون علّة.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

العارف بالله

نسأل اللّه تعالى ونستعيذ به من أن تنقضي حياتنا ونكون نادمين على ما فرّطنا به فيها، فأنا أقول لكم بكلّ صراحة: لو انقضى - مثلاً - نصف عمر أي شخص في ذكر المنعم الحقيقي، ونصفه الآخر في الغفلة، لاعتبر نصف عمره حياة له، والنصف الآخر موتاً له، مع اختلاف الموت في الإضرار للنفس وعدم النفع.

العارف باللّه هو المطيع للّه تعالى، والذي يكون شغله وفكره معه، فما يعلم فيه رضى للّه تعالى يفعله، وما لا يحرز فيه علم بأنه موافق لرضى اللّه تعالى يتوقّف عنده حتى يعلم، فهو في كلّ شأن

يتحرّك مستعلماً وطالباً لرضى اللّه تعالى فما وافقه عمل به، وفيما عدا ذلك فإنه يتوقّف ويعمل بالاحتياط.

فعمله ينبغي أن يكون منطلقاً من وجود دليل، كذلك توقّفه يكون لعدم وجود دليل يدلّ على رضى اللّه تعالى. وهل يمكن لقافلتنا من دون التمسُّك بسلاح طاعة اللّه القادر، أن تصل سالمة إلى الهدف من خلال هذا المعبر المليء بالمخاطر؟

هل يمكن أن يكون وجودنا من الخالق بينما قوتنا من غيره؟ إذاً القوة النافعة الباقية لن تكون إلّا من نصيب الإلهيّين، والضعف والهوان لغيرهم.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

يا لسوء حظّ الجاهل

كما هو معلوم لأولي الألباب إنّ قانون الحركة في المخلوقات هو معرفة المحرّك، فالحركة محتاجة إليه؛ وإنّ معرفة ما منه الحركة وما إليه الحركة وما له الحركة، تعني معرفة البداية والنهاية والهدف، الذي آناً بعد تتحرّك الممكنات باتجاه المقصد.

إنّ الفرق بين العالم والجاهل هو بمعرفة العالم لعلاج الحوادث وجهل الجاهل به، كما أنّ اختلاف منازلهما في العاقبة يعود إلى اختلاف مراتب العلم في الإبتداء.

بناءً على ما ذُكر إذاً لو عرفنا المحرك، ووقفنا على حسن تدبير المحرك وحكمته من نظم المتحركات، [صار] كل توجهنا [وهمّنا] إلى إرادته التكوينية والتشريعية. فطوبى للعارف [العارف بالمحرك وما منه وله وإليه الحركة] وإن كان أعلى الشهداء [مصيبة وابتلاءً]، وتعساً للجاهل [لغير العارف] حتى لو كان فرعون الزمان [تنعماً].

في عاقبة هذه الحركات يقول الجاهل: «ليتني ما خلقت»، يقول العالم: «ليتني سرت نحو المقصد سبعين مرة، ثم عدت وسرت مرة أخرى واستشهدت في سبيل الحق».

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية الله العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

من كلام عليّ عليه السلام

«إعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك».

عليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها. والإقبال بالكلّ إليه تعالى فيها، عندئذ لا تفوتكم السعادة إن شاء اللّه تعالى.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

اتّباع أهل البيت عليهم السلام

عليكم الانتباه! فلا حيلة إلّا باللجوء إلى اللّه والتوسُّل. ليكن القرآن معكم في يد والعترة في اليد الأخرى. العترة: معارفهم في «نهج البلاغة»، وأعمالهم في «الصحيفة السجادية». وأعمالهم التكليفيّة في مثل هذه الرسائل العمليّة.

أئمَّتنا مراجع في المعارف والعلوم العقلية، كما أنّهم كذلك في الأمور الشرعية والتكليفية أيضاً... ولدى الأئمّة سبل التوسّل والحفظ والتحصين أيضاً. ومنهم نتعلّم طريق مناجاة اللّه عزّ وجلّ، وطريق العبودية له والأعمال، بل بإمكاننا باتباعنا لهم أن نستغرق أوقاتنا كلّها في طاعة اللّه، بنحو لا نخرج عن الطاعة في كلّ ما نقوم به.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل اللّه فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

العمل بالعلم

الأستاذ هو العلم والمعلّم [مجرّد] وساطة. إعمل بمعلوماتك، ولا تضع المعلومات تحت قدميك. «من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لا يعلم». ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إذا رأيت أنّ الأمر لم يتحقّق فاعلم أنّك لم تعمل بذلك. خصِّص ساعة يومياً للعلوم الدينية.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

ذكر الله

إذا وجدت نفسك في حالة ذكر اللّه عزّ وجلّ لدقيقة واحدة، فلا تصرف نفسك عن ذلك باختيارك، ولا تبالِ بالانصراف والغفلة غير الاختياريّين.

[من وصايا العلماء، بهجة العرفاء، آية اللّه العظمى الشيخ البهجة، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

رجل الطريق

الشيخ رجب عليّ الخيّاط

طريق الوصول إلى مرتبة الكمال

إنّ من يطلب طريق الخلاص والوصول إلى مرتبة الكمال الحقيقيّ، واستلهام معاني التوحيد، يجب عليه التمسّك بأربعة أشياء هي:

أوّلاً: حضور القلب والتوجّه الدائم.

ثانياً: التوسّل بأهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: التضرّع إلى اللّه تعالى في الليالي.

رابعاً: الإحسان إلى الناس.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

فلسفة التوسّل بأهل البيت عليهم السلام

أغلب الناس لا يعرفون سبب التوسّل بأهل البيت عليهم السلام، ولذلك فهم يتوسّلون بهم من أجل مشاكلهم المعيشية، بينما يجب علينا أن نقصد منازل أهل البيت عليهم السلام في سبيل طيّ مراحل التوحيد ومعرفة اللّه. فطريق التوحيد طريق وعر، والإنسان غير قادر على السير فيه بلا مصباح ولا دليل.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الاستعطاء عند باب اللّه

ادعُ ربّك ساعة في كلّ ليلة. وحتى إذا لم يكن لديك رغبة في الدعاء لا تترك الخلوة مع اللّه.

إنّ في يقظة السَّحَر والثلث الأخير من الليل آثاراً عجيبة. فكلّ ما تطلبه من اللّه يمكنك الحصول عليه من خلال الدعاء في الأسحار. فلا تقصّروا في الدعاء في الأسحار لأنّ كلّ ما هو موجود، إنما هو موجود فيها، والعاشق لا ينام ولا يطلب سوى وصال المحبوب. ووقت اللقاء وبلوغ الوصال يكون أثناء السحر.

وهذا المعنى جاء في قول الشاعر:

كل كنز من السعادة حباه اللّه لحافظ

كان بفضل دعاء الليل وورد السحر

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

كُل ونمْ لله

يجب أن تكون الأعمال كلّها للّه حتى الأكل والنوم. «يا أبا ذر، ليكن لك في كل شيء نيّة صالحة حتى النوم والأكل».

فمتى ما شربت فنجان الشاي هذا بقصد القربة إلى اللّه، يتنوّر قلبك بنوّر اللّه. ولكن إذا شربته من أجل نفسك، فيكون كما أردت.

وينقل آية اللّه محمد رضا مهدوي كني قائلاً: في بداية شروعي بدراسة العلوم الدينية، أردت في أحد الأيام شراء ثوب جديد - لأعيد للمرحوم برهان الثوب الذي استعرته منه - فذهبت إلى رجل يدعى الشيخ رجب عليّ الخيّاط، وكان عمري آنذاك حوالي أربع عشرة أو خمس عشرة سنة. فأخذت له قماشاً، وكان محلّ عمله في داره في غرفة قريبة من الباب. جلست بعض الوقت، إلى أن جاء وقال لي: حسناً ماذا تريد أن تصبح؟

قلت: أريد أن أكون طالب علوم دينية.

قال: أتريد أن تكون طالب علوم دينية، أم تريد أن تكون إنساناً؟

تعجّبت من كلامه، وقلت في نفسي: كيف يخاطبني هذا الرجل بمثل هذه اللهجة! إلّا أنه استدرك قائلاً:

لا تَسْتأ! فدراسة العلوم الدينية أمر جيّد، ولكن يجب أن يكون

هدفك أن تصبح إنساناً. أنصحك نصيحة فلا تَنسَها. يجب عليك الآن، ما دمت شابّاً ولم تتدنّس بالمعاصي، أن لا تنسى الهدف الإلهي؛ فكلّ عمل تؤديه يجب أن يكون للّه وحتى إذا تناولت الـ(جلوكباب) تناوله بقصد تقوية بدنك على عبادة اللّه، ولا تنس هذه النصيحة طوال عمرك.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

البركات المادية والمعنوية

يقول أحد محبي الشيخ: سألني الشيخ مرة: ما عملك؟

قلت: نجار.

قال: عندما تضرب المسمار بالمطرقة، تطرق في ذكر اللّه، أم في ذكر النقود؟!

إذا كنت في ذكر النقود يعطونك إيّاها، وإذا كنت في ذكر اللّه تحصل على النقود، وتحصل على قرب اللّه..

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

أساس بناء الذات

أساس بناء الذات هو التوحيد؛ فكلّ من يريد تشييد بناء لا بدّ وأن يكون الأساس الذي يبني عليه أساساً سليماً ورصيناً. وإذا لم تكن

القاعدة رصينة ومتينة، لا يكون البناء موضع ثقة واطمئنان، إذ يجب على السالك أن يبدأ مسيرته بالتوحيد؛ فقد كانت الكلمة الأولى لجميع الأنبياء هي كلمة (لا إله إلا اللّه). وما لم يدرك الإنسان حقيقة التوحيد ويؤمن بعدم وجود مؤثّر آخر في الكون غير اللّه، وأنّ كلّ شيء فان إلّا وجهه، لا يتسنَّ له بلوغ مرتبة الكمال الإنسانيّ. فالإنسان يستطيع، من خلال إدراك حقيقة التوحيد التوجّه إلى اللّه بكلّ وجوده.

وأيضاً: إذا أردت أن يناديك ربّك فعليك أن تنال قسطاً من المعرفة ثم تتعامل معه. وحينما نقول «لا إله إلّا اللّه» يجب أن نقولها عن صدق وإخلاص، وما لم يتخلّ المرء عن صنم نفسه وهواه لا يمكن أن يكون موحِّداً أو أن يكون صادقاً في قول لا إله إلّا اللّه، فمعنى «الإله» هو ما يستهوي قلب الإنسان، وكلّ ما يهواه قلب الإنسان هو إلهه. وعندما نقول: «لا إله إلّا اللّه» لا بدّ وأن نقولها بشوق. القرآن كلّه يعود إلى كلمة لا إله إلّا اللّه. والإنسان يجب أن يبلغ مرحلة لا يبقى فيها أيّ أثر في قلبه سوى هذه الكلمة ويفرغ قلبه من كلّ ما سواها: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾.

فالإنسان شجرة التوحيد، وثمارها ظهور الصفات الإلهية، وهو ما لم يثمر فهو غير كامل؛ لأنّ حدّ كمال الإنسان هو أن يصل إلى اللّه؛ أي أن يكون مظهراً لصفات الحقّ. عليكم بالسعي لإحياء صفات اللّه فيكم. اللّه تعالى كريم فكونوا أنتم كرماء أيضاً، وهو رحيم فكونوا أنتم رحماء أيضاً، وهو ستّار فكونوا أنتم ستّارين أيضاً...

إنّ ما ينفع الإنسان هو التحلّي بالصفات الإلهية، وليس هناك من شيء - حتى الاسم الأعظم - يؤثّر في الإنسان كتأثيرها.

إذا استغرق الإنسان في التوحيد، تشمله عناية ربّه في كلّ لحظة برعاية خاصّة لم يكن يحظى بها من قبل، وتبقى هذه الرعاية تتجدّد له في كلّ لحظة.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الإحسان لوجه الله

الإحسان إلى الخلق يجب أن يكون لوجه اللّه؛ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾. كيف تدفع نفقات ولدك وتفديه بنفسك؟ وهل بإمكان الطفل أن يؤدّي لأبيه وأمّه عملاً؟ الوالدان يحبّان طفلهما وينفقان عليه من أجله هو. فلماذا لا تتعامل مع اللّه على هذا النحو؟! ولماذا تبقى تنتظر منه جزاء إحسانك إليه؟!.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

إنصافه في أخذ الأجرة

قال لنا أحد علماء الدين: أخذت قماش عباءة وقباء ولبّادة وأعطيته لسماحة الشيخ ليخيطه. وسألته عن مبلغ الأجرة، فقال: هذا يستغرق يومين من العمل وأجرته أربعون توماناً. وعندما ذهبت

لاستلام الثياب قال لي: الأجر عشرون توماناً. فقلت له: ألم تقل لي أربعون توماناً؟ قال: بلى لأنّي ظننت أنّ خياطتها تستغرق يومين من العمل، لكنّها استغرقت يوماً واحداً.

وقال شخص آخر: أعطيته قماشاً ليخيّط لي منه سروالاً، وسألته عن الأجرة فقال: «عشرة تومانات». فدفعت له أجرته في الحال. وعندما ذهبت لاستلامه وضع عليه تومانين وقال: «صارت الأجرة ثمانية تومانات».

وقال لنا نجل الشيخ: اتفق أبي ذات يوم مع أحد الزبائن على خياطة عباءته بمبلغ خمسه وثلاثين ريالاً؛ فجاء الزبون وأخذ العباءة وذهب. وبعدما ابتعد قليلاً رأيت والدي قد ركض وراءه واستوقفه وأعطاه خمسة ريالات وقال: «ظننت أنّ هذه العباءة تأخذ منّي وقتاً أكثر، ولكنّها استغرقت وقتاً أقلّ ممّا توقّعت».

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

إخلاص أولياء اللّه

إنّ الدين الحقّ هو هذا الذي يُقال فوق المنابر، ولكنّه ينقصه شيئان: أحدهما الإخلاص، والآخر هو محبة اللّه. فهذان العنصران يجب إضافتهما إلى موادّ الخطب والكلمات.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

آفة محبّة الدنيا

كان الشيخ يشبّه الدنيا على الدوام بتلك العجوز، وكان في بعض الأحيان يلتفت في مجلسه إلى أحد محبّيه قائلاً: أراك وقعت في حبّ هذه العجوز مرّة أخرى. ثم يستشهد بعد ذلك بهذا البيت لحافظ الشيرازي:

ليس هناك من أحد إلّا ويقع في حب ضفيرتيها

وما من أحد إلّا ويجد في طريقه مصائد فتنتها.

وكان الشيخ مراراً وتكراراً يقول: هؤلاء الذين يأتون إليّ طمعاً في هذه العجوز فقط، فلا يأتني أحد ويقول إنني مغتاظ مع ربّي وأريد منك أن تصلح ما بيني وبينه.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

سخط الأم

صدر حكم بإعدام عدة أشخاص ومن بينهم شابّ؛ فجاء أقارب ذلك الشابّ إلى الشيخ وطلبوا منه مساعدتهم للعثور على حلّ لتخليص هذا الشابّ من الإعدام. فقال لهم الشيخ: مشكلته هي سخط والدته عليه.

فذهبوا إلى والدته وسألوها عن السبب فقالت: إنّني دعوت له ولكن بلا نتيجة. فقالوا لها إنّ سماحة الشيخ يقول: إنّك ساخطة عليه.

قالت: صحيح كما يقول، فهو حديث عهد بالزواج، وفي أحد الأيام جمعت الخوان، ووضعت الأواني في الصينية وأعطيتها لزوجته لتأخذها إلى المطبخ، فأخذها من يدها وقال لي: ما جئت بها لتكون خادمة لك.

وعلى كلِّ حال، ففي النهاية رضيت الأم عن ابنها ودعت له. وفي اليوم التالي أُعلن أنه حكم عليه خطأ وأُطلق سراحه.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

انفتاح عين القلب

إذا حافظت على قلبك ولم تفسح المجال لغير اللّه بالدخول إليه يتسنّى لك أن ترى ما لا يراه الآخرون وتسمع ما لا يسمعون.

وإذا صان الإنسان عين قلبه عمّا سوى اللّه يمنحه اللّه نوراً ويعرّفه المبادئ الإلهية. وإذا عمل المرء للّه تنفتح عين قلبه.

أيها الرفاق ادعوا ربّكم ليخلّصكم من حالة الصمّ والبكم لأنّ الإنسان ما دام يطلب غير اللّه فهو أصمُّ وأبكم.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الهداية الإلهية

إذا قمت للّه تصبح جميع عوالم الخلقة دليلاً لسبيلك؛ لأنّ كمالها منوط بالفناء فيك، فهي تريد أن تقدّم ما في قدرتها لكي تصل إلى كمالها الحقيقيّ، وإذا قام الإنسان للّه تصطفّ على طريقه كلّ عوالم الوجود؛ لكي تقدّم له كلّ ما لديها ولتكون دليلاً له إلى سواء السبيل.

وما دام الإنسان يضع كماله الذاتي نصب عينيه، فهو لا يصل إلى الحقيقة. ولهذا يجب عليه استفراغ ما في وسعه للوصول إلى اللّه؛ فحينئذ يستخلصه اللّه تعالى لنفسه.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

رائحة اللّه في العمل

إنّك عندما تعرف اللّه يجب أن تكون كلّ أفعالك صادرة عن إخلاص وحبّ، وحتى كمالك الذاتي لا تأخذه بنظر الاعتبار؛ فالنفس الإنسانية حاذقة ومعقدة، ولا تترك صاحبها وشأنه، وتريد إقحام ذاتها في كلّ أعماله بأي نحو كان.

ما دام الإنسان يحبُّ ذاته ويهتمّ بها، تبقى أعماله ذات صبغة نفسانية وليس فيها رائحة إلهية. ولكنّه إذا أبعد عنه الأنانية وصار طالباً للّه، تصبح أعماله إلهية وتنبعث منها رائحة اللّه. وهذا الرأي

يوجد عليه دليل ورد في كلام الإمام السجاد عليه السلام حيث قال: ما أطيب طعم حبّك!

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

أعلى المراتب التقوى

للتقوى مراتب: أدناها الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات، وهو أمر جيّد بالنسبة إلى البعض، إلّا أنّ للتقوى مراتب عالية، وهي اجتناب ما سوى اللّه؛ بمعنى أن لا يكون في قلب الإنسان شيء غير محبّة اللّه.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

مدرسة المحبّة

جاء إلى الشيخ شخص مسترشداً ويقول له: إنني مهما أمارس من رياضة روحية لا أحصل على نتيجة، فكان يقول له: إنك عملت من أجل النتيجة، وهذه المدرسة ليست مدرسة النتيجة، وإنما هي مدرسة المحبّة ومدرسة طلب اللّه.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

القلب الحاضر عنده كلّ شيء!

ابذل جهدك لكي يكون قلبك للّه، وإذا أصبح قلبك للّه يكون اللّه فيه، وعندما يكون اللّه في قلبك، يصبح كلّ ما للّه حاضراً وظاهراً في قلبك، ومتى ما شئت يأتِ كلّ شيء إليك. وبما أنّ اللّه موجود هناك فإنّ أرواح جميع الأنبياء والأولياء تكون هناك. وإذا شئت تكون مكة والمدينة لديك... إذاً عليك بالسعي لكي يكون قلبك للّه وحده ويكون كلّ ما خلق اللّه حاضراً عندك.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

تأكيد أهميّة طاعة اللّه ومخالفة هوى النفس

جاء في الحديث القدسيّ: يا بن آدم، خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي.

وجاء أيضاً: عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي، أو تَكُن مثلي.

وطبقاً لهذه الأحاديث فإنّكم أيها الرفقاء خلفاء اللّه في أرضه، وأنتم خير الثمرة. فاعرفوا قدر أنفسكم، ولا تنقادوا لهوى أنفسكم، وعليكم بالامتثال لأمر اللّه كي تبلغوا ما تأملون، وبهذا تستطيعون أن تفعلوا فعل اللّه؛ فهو تعالى قد خلق العالم لأجلكم وخلقكم لأجله. فانظروا عظمة المقام والمنزلة التي منحكم إيّاها.

ولقد صنعت الملعقة لأكل الطعام، والفنجان لشرب الشاي، وكلمة الإنسان لأجل أن يكون ابن آدم إنساناً كاملاً لا غير.

إنّ الباري تعالى منّ عليّ بكرامة، وأنتم أيضاً إذا امتثلتم لأوامر اللّه يمنّ عليكم بمثلها. أيها البنّاء، وأيها الخيّاط، هذه اللّبنة التي تصنعها وهذه الإبرة التي تغرسها في القماش، اجعلها حبّاً للّه، وفي سبيله، واجعل اللّه نصب عينيك في عملك. وهذا الثوب الذي ترتديه وقد اشتريت قماشه بمبلغ مئة تومان للمتر الواحد، لا تقل اشتريت المتر منه بمئة تومان، بل قل: أعطانيه اللّه. قدّم اللّه ولا تقدّم نفسك.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

غصب حقّ عجوز

فقد أحد تلاميذ الشيخ حالته المعنوية بعد تناول وجبة من الطعام؛ فاستنجد بالشيخ لتقصّي العلة. فقال له: سبب ذلك هو الكباب الذي أكلته ودفع ثمنه التاجر الفلاني؛ لأنّ هذا التاجر كان قد غصب حقّ عجوز.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

تطهير القلب من الشِّرك

كلّ الكلام يدور حول هذا الصنم الكبير الموجود بين جنبيك.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

سبيل الأنس بالله

إذا أردت أن يكون لك عند اللّه حظّ وافر من مناجاته والأنس به، عليك بالإحسان إلى الناس، وإذا أردت أن تصل إلى حقيقة التوحيد، عليك بالإحسان إلى الناس، وتعلم طريقة الإحسان إلى الناس من أهل البيت عليهم السلام ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

وإنّ الشيء الذي يبعث في الإنسان الرغبة في عبودية اللّه بعد أداء الفرائض هو الإحسان إلى الناس.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

باطن طلّاب الدنيا

من يطلب الدنيا عن طريق الحرام باطنه كلب، ومن يُرِدِ الآخرة فقط فهو خنثى، ومن يرِد اللّه فهو الرجل الحقيقي.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

القلب مرآة لله

كل ما يطلبه القلب يتجلّى له، فاسعوا بجدّ لتكون قلوبكم مرآة تعكس محبّة اللّه! كلّ ما يرغب فيه الإنسان تنعكس صورته في

قلبه، ويفهم أهل المعرفة من خلال النظر إلى قلبه حقيقة صورته في البرزخ . فإذا أُغرم بجمال وجه شخص، أو كان لديه ولع شديد بالأموال والأملاك، فهذه الأشياء هي التي تشكّل صورته البرزخيّة.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

مرتبة العقل ومرتبة الروح

إذا كان الإنسان في مرتبة العقل، فهو لا يتمرّد على العبادة ولا يعصي ربّه أبداً؛ على اعتبار أنّ «العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان».

وهذه المرتبة تتضمّن النظر إلى غير اللّه وهو الجنة.

ولكن حينما يصل الإنسان إلى مرتبة الروح انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾، فهو ينظر إلى ربّه فقط ويصبح مصداقاً للبيت الثاني من هذين البيتين.

صوم العامّيّ إمساك عن الطعام والشراب

وصوم الخواصّ إمساك عن كلّ عصيان

وصومه إمساك عن كلّ ما سوى الحبيب

فكل ما يريده فهو للحبيب

أو كما قال الشاعر حافظ الشيرازي:

لـو أُعـطـيـت الـجـنـة أنّـى لـي الـقـبـول

فوصل الحبيب أفضل في رأيي من الجنّة.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الصورة الباطنية للقلب

إذا كانت للإنسان بصيرة باطنية، يلاحظ بمجرد أن يفسح المجال لغير اللّه بالتغلغل في قلبه، أنّ باطنه البرزخيّ يظهر في تلك الصورة. فإذا كنت تطلب غير اللّه، فقيمتك هي ما تطلبه، وإذا كنت تطلب اللّه فلا قيمة لك، (من كان للّه كان اللّه له). فإذا كنت في جميع الأوقات مستغرقاً في اللّه، تشعّ فيك الأنوار الإلهيّة ثم ترى ما تشاء بنور اللّه.

[من وصايا العلماء، رجل الطريق، الشيخ رجب علي الخياط، إعداد هيئة منتظري الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

العارف المحترق

آية اللّه الأنصاري الهمداني

الشريعة والدين، الخطوة الأولى

أوّل وصيّة لآية اللّه الأنصاري الهمداني التي كان يوصي بها السالك وكلّ من كان يطلب منه برنامجاً عمليّاً، هي رعاية حرمات الشريعة والواجبات المفترضة.

فأداء الواجبات وترك المحرّمات بنظره هما الخطوة الأولى في الحركة والسير، وبعبارة أخرى هما أوّل وآخر خطوة للسالك.

وفي هذا المجال يقول:

«أوّل خطوات السالك التبعية التامّة لعلماء الشريعة، والخطر المهمّ الذي يواجه السالك في هذا المسير هو سوء الظنّ بعلماء الشريعة... وإنّ من الامتحانات الكبرى والأخطار التي تحيط بالسالك، إساءةَ الظنّ ببعض علماء الشريعة؛ لأنّ أهل المعرفة لا يجب أن يكون لديهم أدنى غلّ أو غشّ تجاه العظماء.

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

مغرفة المعصية

يقول (رحمه اللّه عليه) بالنسبة إلى اجتناب المكروهات:

«المكروهات مغرفة المعاصي، تأخذ المرء إلى حافّة جهنّم، ومن أين تعلم أنها لن تلقي بك فيها؟ فاسْعَ لاجتناب المكروهات..».

يقول الأستاذ كريم محمود حقيقي عن اهتمام الشيخ الأنصاري برعاية حريم الشرع: «في اليوم الأوّل الذي تشرّفت فيه بزيارة الشيخ الأنصاري انكبَبْتُ على يديه وقدميه والتمسته وبكيت كثيراً وسألته: مولاي ماذا عليّ أن أفعل حتى أصير آدميّاً؟ فقال لي متبسماً: الأمر بسيط، كل ما قال لك اللّه افعله فافعله، وكلّ ما نهاك عنه فانته».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

علّموهم أحكام الشرع

كتب السيّد نجابت رسالة إليه قائلاً: «في بعض الأحيان يأتي بعض الشباب إلينا ويذهبون بعدها، بعضهم يبقى لخمسة أو ستة أشهر والبعض الآخر يمكث سنة، ومن ثَمَّ يذهبون فما البرنامج العملي الذي يجب إعطاؤهم إيّاه؟ وكيف يسلكون؟».

أجابه الشيخ الأنصاري: علِّموهم أحكام الشرع. إذا ذهبوا فسيعينهم في الطريق وسينفعهم يوماً ما. وإذا بقوا فطريقهم هو هذا.

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

توجيهاته للمبتدئين

كان (رحمه اللّه) يقول للأشخاص الذين يأتون إليه ويطلبون منه برنامجاً للعبادة:

«قبل كلِّ شيء سوُّوا حساباتكم مع الخلق». وفي بعض الأحيان كان يأتيه بعض الأفراد الذين نسوا بعض المستحقّات فكان يقول لهم (رحمه اللّه): «لقد نسيتم هذه الأمور، اذهبوا وأصلحوا أموركم» وبعد تسوية الحساب مع الخلق كان (رحمه اللّه) يقول:

«عليكم بتسوية حساباتكم التي مع الخالق والتي كان فيها نقص مثل الصلاة، الصوم، الوجوه الشرعية، الحج و... ، وبعد اجتياز هاتين المرحلتين واللّتيْن كان شديد التأكيد على مراقبتهما ويذكّر الأفراد بما نسوه فيهما، كان ينتقل إلى المرحلة الثالثة معتمداً على معرفته ببواطن الأفراد ليبدأ بتطهير الباطن».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

لا تلوّثوا ساحتكم بالذنوب

يقول الأستاذ كريم محمود حقيقي:

«الأصل والأساس في السيرة التربوية لهؤلاء العظماء سواء السيّد القاضي، أو الشيخ الأنصاري، هو عدم التلوّث بالذنوب، فقبل أن نتعرف على مثل هؤلاء العظماء لم نكن نعرف مدى ضرر مجالس المعصية، وكنّا نشترك في هذه المجالس بكلّ بساطة، وبعد التعرّف عليه كنّا نجتنبها، وإذا كان في مجلس ما معصية كنا لا نشترك فيه».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

لا تخبر أحداً ما دمت حيّاً

ينقل السيّد أحمد الأنصاري في هذا المورد: «في إحدى المرات أصرَرْتُ كثيراً وقلت له: مولاي، الناس والعلماء في همدان منزعجون من وضعكم، ويقولون إنّكم اخترتم الانزواء، فلماذا لا تجالس هؤلاء؟» أجاب: لا عليك! بعد أيام كرّرت هذه القضية حتى المرة الثالثة، قلت: أنا لا أريد أن أعترض لكنّني أريد أن أعرف السبب. فقال المرحوم والدي: سأقول لك بشرط أن لا تخبر أحداً ما دمت حيّاً. المسألة أنّني لا أذكر جلسة اشتركت فيها مع هؤلاء ولم يغتابوا شخصاً ثالثاً. ولأنّني موقن أنّ هذه الجلسات هي على هذا النحو فالاشتراك فيها حرام عليّ».

بعدها قلت هذا الأمر لأحد المراجع فقال لي: أقسم بجدّي (الظاهر أنه من السادة) أنّ ما قاله صحيح. كان شديد التقيّد ودقيقاً. وكل من أراد الغيبة أو الكذب في مجلسه أمره بالسكوت وكان يقول: يكفي هذا المقدار ولا تكمل ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

العلماء خطأهم أقلّ

يقول السيّد أحمد الأنصاري:

«كان يكنّ احتراماً بالغاً لأهل العلم، وكان يشجّع ويكلّف الأصدقاء على طلب العلم. والكثير من طلّابه كانوا من أهل العلم. يقول السيّد: «العلماء أقلّ اشتباهاً، وأقلّ انخداعاً. وهم الأقدر على الإرشاد والهداية والإعانة؛ لأنّ الشرع بحوزتهم».

وعلى الرغم من حضور كلّ أصناف الناس في مجالسه ومحافله، الأميّين والمتعلّمين، طلّاب العلوم الدينية والتجّار، فقد كان يجمعهم معاً، ويسير بهم بمستوياتهم المختلفة. وكان أيضاً من بينهم بعض طلّابه أمثال آية اللّه نجابت، وآية اللّه دستغيب و... مجتهد.

وكان يقول: «كلّ شيء موجود في الشريعة المقدّسة. كلّ مراحل العرفان والسير والسلوك حتى مراحله النهائية التي هي الفناء في

اللّه، قد جاءت على لسان الأئمة المعصومين عليهم السلام وفي الأخبار والأحاديث. وموجودة في كلام اللّه».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

دفع الحقوق الشرعيّة

دفع الحقوق الشرعية من قبيل الخمس والزكاة و... من التوصيات الأساسيّة للشيخ الأنصاري.

ينقل السيّد أحمد الأنصاري في هذا المورد:

«في أحد الأيام جاءه أحد الأشخاص وأصرّ على أخذ برنامجاً عمليّاً، لكنّه رحمه اللّه لم يوله اهتماماً، وفي اليوم التالي عاد وأصرَّ، لكنَّ الشيخ لم يهتمّ بطلبه، وفي اليوم الثالث عاد وأصرَّ مجدّداً، عندها قال له الشيخ الأنصاري:

هذا المبلغ المعيّن متعلّق بذمَّتك، اذهب وأدِّه، ثمّ اطلب برنامجاً عمليّاً. فتغير لون ذاك الشخص وذهب...».

وهو أيضاً كان (رحمة اللّه عليه) شديد الاحتياط في هذا الموضوع. وعلى الرغم من أنه كان مجازاً باستلام الحقوق الشرعيّة، لكنّه لم يكن يقبضها، وكان شديد التأكيد على هذه المسألة.

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

ضرورة وجود الأستاذ

كان للمرحوم الأنصاري تأكيد خاصّ على ضرورة وجود الأستاذ وفي هذا المجال يقول:

«الطريق يعتريه الكثير من المشاكل بدون الأستاذ، لكنّ من لديه طلب حقيقيّ فحتماً لن يتحيّر، فاللّه سبحانه وتعالى غيور ولا يترك الطالب. وإذا وجدتُ شخصاً طالباً للتوحيد فسأذهب إليه في أيّ مكان من الدنيا».

يذكر الدكتور علي أنصاري مراراً: «اللّه تعالى ليس ببخيل، وإذا أوجد أحد ما شرائط التقوى في نفسه، فسيوصل اللّه الأستاذ إليه ولو كان من ذلك الطرف من العالم».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

التوصية بقراءة دعاء «رضيت باللّه ربّاً»

يقول الأستاذ كريم محمود حقيقي:

في إحدى المرّات سافرت والتقيت بآية اللّه الأنصاري، وعند مغادرتنا وفي اللحظات الأخيرة التي كنت أودّعه فيها، بينما كان فكري مشغولاً بأن لا يفوتنا وقت انطلاق الباص من محطة الركاب، بادرنا بالحديث موصياً: «حتى لو تركت هذا الطريق، حسناً! لا بأس، لكن إيّاك والتحدّث بالسوء عن العرفاء، وإذا فعلت ذلك فستقع في وادٍ لا خلاص منه».

كان تأثير كلامه لدرجة أنّ كُلّاً منّا اعتقد أنّ الكلام موجّه إليه. بعدها عدت إليه باكياً وقلت له: هل هذا الموضوع متعلّق بي؟ فقال: كلّا. ولأنّني كنت قلقاً، قال لي: «عليك بقراءة دعاء: آمنت باللّه - لدوام الإيمان».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

التركيز في الصلاة

ينقل الأستاذ كريم محمود حقيقي: في أحد الأيام سألت آية اللّه الأنصاري أن يذكر لي أمراً يساعدني على التركيز في الصلاة، فقال لي: «لا تترك النوافل، وقلّل من أكل الأغذية الحيوانية».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

التوصية بالصلاة في أوّل الوقت، صلاة الليل والنوافل

كان شديد التأكيد على الصلاة في أوّل الوقت، وكان ملتزماً بالصلاة في أول الوقت، في السفر والحضر.

وكان كثيراً ما يؤكّد على طلّابه بأداء الفرائض وصلاة الليل والنوافل، وكان يقول لبعض طلابه:

«إذا تركتم النوافل فاقضوها» وكان يؤدّي الصلاة بجميع مستحبَّاتها، ويؤكد على النوافل اليومية والليلية، وفي حال تركها قضاها لاحقاً.

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

التوصية بالتوسّل بالساحة المقدّسة للأئمّة عليهم السلام

كان رحمه اللّه كثيراً ما يوصي بالتوسّل بالساحة المقدَّسة للأئمّة عليهم السلام. وأن يكون التوسُّل تحت السماء، وهو قد وصل إلى مقاصده العليا بهذه الطريقة؛ ففي رسائله وبرامجه العملية للأصدقاء وطلّاب المعرفة كان كثيراً ما يوصي بالتوسل بالساحة المقدّسة لأبي عبد اللّه الحسين عليه السلام للوصول إلى المقامات الروحانية.

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الشريعة ونفي التصوّف

في أحد الأيّام جاءه أحد الدراويش وكان حسن المظهر وعلى رأسه قبعة الدراويش ويحمل كشكولاً (وعاء معدني يحمله الدراويش ويحتوي على نقوش وعبارات يضع فيه الدراويش الصدقات وما يعطيهم إيّاه الناس) بعد ذهابه قلت للشيخ: كان رجلاً جيّداً فتبسّم وقال: كيف عرفت ذلك؟ فأجبته من ظاهره وكلامه. فقال رحمه اللّه: الطريق إلى اللّه لا يوجد فيه هذه القيود وهذه الحيل».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

التوصية بزيارة أهل القبور

يقول المرحوم آية اللّه الأنصاري في هذا المورد:

«في الماضي لم أكن أذهب لزيارة قبور غير المعصومين والأئمّة؛ لأنّني كنت أعتقد أنّ الفتح والبسط لا يتمّان إلّا عن طريق قبور الأئمّة الذين وصلوا إلى الطهارة المطلقة. وزيارة قبور غيرهم لا يترتب عليها أيّ أثر، إلى أن تشرّفت بزيارة العتبات المقدّسة مع جمع من طلّابي العلماء.

في أحد أيّام إقامتنا في الكاظمين (عليهما السلام) تركنا بغداد للذهاب إلى المدائن ومشاهدة بناء المدائن وإيوان كسرى المكسور الذي يعتبر الإنسان من رؤيته، وذهبنا لصلاة ركعتين وهما مستحبّتان في ذلك الإيوان ومررنا قرب قبر سلمان الفارسي (رضوان اللّه عليه) وحذيفة (رضوان اللّه عليه) واللّذين يقعان قرب الإيوان، وجلسنا مع كلّ الأحباب والرفاق قرب قبر سلمان بهدف الاستراحة وليس الزيارة، ثمّ فجأة استقبلنا سلمان وأظهر نفسه بصورته الواقعية وتجلّى بحقيقته.

كانت روحه لطيفة وصافية وبدون ذرّة من الكدورات، وكذلك كانت محيطة وعذبة، بحيث أوردنا في عالم من اللطف والمحبة والسعة والصفاء، وأدخلنا إلى عالم وسيع ولطيف غير مرتبط بعالمنا.

كان حقّاً مثل بيئة الجنّة مملوءاً باللطف والصفاء ومثل الضمير المنير للعارف باللّه ومثل الماء الصافي العذب والهواء اللطيف.

فخجلت من أنّني لم آت قبره للزيارة، بعدها اشتغلت بالزيارة، ومن بعدها كنت أذهب لزيارة قبور غير الأئمّة من العلماء والمقربين وأولياء اللّه، وأطلب منهم المدد وأذهب لزيارة قبور المؤمنين في المقابر، وأوصي طلّابي أن لا يحرموا أنفسهم من هذا الفيض الإلهي».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

أثر اللقمة الحرام

لم يكن السيّد الأنصاري يستفيد من سهم الإمام أبداً، في معيشته ومعيشة عائلته. ولم يكن تحصيل لقمة عيشه ورزقه أبداً من خلال هذا الطريق.

وكان لا يذهب إلى مكان لا يطمئنُّ إلى أنه ملك لصاحبه، ولا يأكل شيئاً أو يأخذ مالاً لا يطمئنّ إلى حلِّيّته؛ لأنه كان يعتقد كثيراً بتأثير اللقمة الحرام أو المشتبه فيها على روح السالك، ويولي هذا الأمر أهمية شديدة.

يقول السيّد علي الأنصاري:

«ينقل السيد حكمت أنّه مرّة ذهب برفقة السيّد الأنصاري والسيد

آقاجان الزنجاني الذي كان مرافقاً لمدة للسيّد الأنصاري، إلى بستان كرمة. قال المرحوم آقاجان: هذا البستان ملك لأحد أصحابنا، تفضّلوا وكلوا من هذا العنب. لكنّ السيّد الأنصاري امتنع ولم يأكل. فيما بعد يقول السيد حكمت: لقد تعجّبت أنه لمَ السيّد أنصاري لم يتذوّق العنب؟! وسألته عن هذا الأمر. فأجاب السيّد الأنصاري:

«لقد أخطأ السيّد آقاجان، وفيما بعد بحثت ووجدت أنّ البستان كان ملكاً لشخصٍ آخر».

[من وصايا العلماء، العارف المحترق، آية اللّه أنصاري همداني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

طائر النجف

آية اللّه الكشميري

الذكر بمقدار وبتوجيه الأستاذ

لقد كانت سيرة الأستاذ كشميري على هذا النحو بأن يكرّر الذكر بالمقدار الذي يقوله أستاذ الطريقة.

لذا فهو يرى أنه لا يجب اختيار الذكر من تلقاء النفس، أو بالحصول عليه وقراءته من كتاب لأحدهم؛ لأنه في الذكر يجب تطابق الإناء مع المحتوى وإلّا ظهرت الآثار السلبية (على نفس الذاكر).

وينقل في هذا المجال أن أحدهم كان من أهل العلم في النجف وكرّر ذكر المحبّة أكثر من العدد المطلوب، فشوهد يقبّل العامود (داخل المسجد أو الديوانية). كذلك فإن أحد العوامّ قرأ ذكراً في هذا الخصوص ورأوه يقبل حماراً.

من هنا يؤكِّد الأستاذ كشميري على وجوب عدم تخطي توجيهات الأستاذ فيما يخص قراءة الذكر لأنّه يسبّب المشاكل للأفراد غير المؤهّلين والمستعدّين.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

احترام عظماء الدين

يقول الأستاذ: كانت العادة في النجف أنه إذا سلك أحد أهل العلم طريق العرفان يتّهم بالتصوّف. ويذكر أنّ أحد عظماء النجف سألني ذات مرّة: هل تذهب إلى السيّد القاضي؟ فأجبته: نعم، عندها قال لي: سيمنعك عن الاجتهاد!!

كما يضيف قائلاً: ذهبت إلى درس الخارج عند المرحوم آية اللّه السيّد عبد العليّ السبزواري، وكان من أهل القلب، حيث كان في البداية يدرّس في مدرسة الآخوند الخراساني، ومن ثَمَّ وبسبب اتهامه بالتصوّف تمَّ إبعاده منها. فهؤلاء لا يعلمون أنه كلّما مات أحد عظماء التقوى والعرفان عادة ما يعمّ بعده البلاء. الآن كلّهم رحلوا، أنتم اجتهدوا لتأخذوا مكانهم. هؤلاء الذين أراهم اليوم ليسوا هم...

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

معيار الدرس الجيد

بالنسبة إلى الذين يُدرِّسون بشكل جيد كان يقول:

التدريس بشكل جيّد ليس معياراً للمنفعة في القبر والقيامة، معيار الحُسن عند الحقّ تعالى التدريس المقارن مع التهذيب.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

ضرورة وجود الأستاذ

في سيرة وأسلوب آية اللّه الكشميري دور بارز جدّاً للأستاذ الحاذق حيث نقل عنه مراراً:

يعتبر الأستاذ أحد اللوازم الأولية للتهذيب والجهاد الأكبر، وبدونه فالأمر في غاية الصعوبة؛ لأنّ من يستطيع مداواة آفات وسلبيات وشهوات النفس هو الذي سلك هذا الطريق وكان فيه حاذقاً.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

إجازة الذكر من الأساتذة

كان للأستاذ العديد من الإجازات الشفهيّة كما ذكر مرّة:

أعطانا المرحوم السيّد هاشم الحداد إجازة لي وللسيّد محمّد حسين حسيني طهراني.

كما كان له إجازة خطية من مستور آقا الشيرازي وبعض الأساتذة الآخرين (والتي للأسف صادرها منه أتباع صدام عند الحدود الإيرانية العراقية).

كما أعطى لبعض طلّابه إجازة خطية، وللبعض الآخر إجازة شفهية.

وينقل عنه (رحمه اللّه) قوله: ما لم يحصل المرء على قوة الاجتهاد لا يعطى إجازة بالاجتهاد، وكذلك في السلوك، فالإجازة تعطى لمن لديه قابلية السلوك. فالسالك يسير بهمّة وبنفس وليّ اللّه حتى يصل إلى المقصد.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

الاعتقاد الراسخ بولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام

لقد كان الأستاذ يعتقد بثلاثة أشياء:

- معرفة النفس.
- معرفة الولاية.
- معرفة الربّ.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

صلاة الليل

كان الأستاذ يوصي مؤكّداً على أداء صلاة الليل، وعندما كان البعض يطلب منه برنامجاً عمليّاً كان يقول:

صلّوا صلاة الليل لأنّ بعض الأعمال تعطيك مقاماً مثل صلاة الليل ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾.

وفي توصياته للسالكين كان يؤكّد على قيام الليل والرياضة الروحية في السَّحَر، وكان يعتبر وقت السحر أفضل من الوقت الواقع بين الطلوعين.

الأمر بصلاة الليل كان دائماً من توصياته وكان يعدها من سرّ توفيق السالك.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

السجود

يُعدُّ السجود في طريقة أساتذة آية اللّه كشميري أحد أركان العبودية والتوحيد، وهو عادة ما كان يوصي بذكر السّجدة، قائلاً: كان للأئمّة سجدات، منها سجدة موسى بن جعفر عليه السلام «عَظُمَ الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك» وهي عظيمة جدّاً، والأخرى السجدة المتضمّنة الذكر اليونسيّ، وهي بعد صلاة العشاء إلى آخر الليل. ولأنّ الشيطان لم يسجد لآدم وكان ذلك سبب شقائه، فهو يكره السجود وعلى السالك أن لا يتركها.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

المعيار عليّ عليه السلام

كان عشق الإمام عليّ عليه السلام والتعلّق بساحة الولاية في قلب الأستاذ بقدر يعجز معه المرء عن توصيفه.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

دعاء يستشير

من جملة الأدعية التي كان الأستاذ يهتمّ بها ويوصي بقراءتها في الصباح والمساء، دعاء يستشير الشريف الذي علّمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ عليه السلام، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: علّمني رسول اللّه هذا الدعاء وأمرني أن أدعو به لكلّ شدّة ورخاء وأن أعلّمه خليفتي من بعدي، وأمرني أن لا أفارقه طول عمري حتى ألقى اللّه عزّ وجلّ وقال لي: ادع بهذا الدعاء حين تصبح وتمسي فإنه كنز من كنوز العرش.

وفيما يُنقل عن الأستاذ كشميري قوله: كان أبي يقرأ هذا الدعاء ويوصي بقراءته ويقول: أوصاني أبي السيد حسن الكشميري بقراءة هذا الدعاء.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

فيما يخصّ زيارة أمير المؤمنين والتوسّل به عليه السلام، كان يوصي بالزيارة السادسة ويقول: كان المرحوم السيّد عليّ القاضي يؤكّد على هذه الزيارة.

وأمّا فيما يتعلّق بالتوسّل به (سلام اللّه عليه) فيقول: كلّما برزت لي مشكلة في النجف كنت أذهب إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام وأقرأ «نادِ عليّاً» سبع مرّات فتحلّ مشكلتي.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

الشوق إلى النجف الأشرف

كان يقول دائماً:

إذا ذهبت إلى النجف فسيصبح حالي جيِّداً، للنجف هيبة من صاحب الهيبة أمير المؤمنين عليه السلام، إلى حدّ لو أنّ أعلم العلماء أتاه يصبح مثل طالب علم عاديّ.

وفي مكان آخر يقول: النجف مهمة لدرجة أنّ المرحوم الشيخ زين العابدين مرندي وهو مجتهد مسلم وذو تقوى، كان يأتي إلى أمام صحن أمير المؤمنين عليه السلام ويجلس في مكان جلوس السائلين، وإذا اعترض عليه أحدهم وقال له إنّ هذا المكان غير مناسب. أجابه: بأنّ هذا المكان هو مكان مرور إمام الزمان وحضرة الخضر إلى الحرم، وأنا أجلس هنا لعلّهما يلتفتان إليَّ بنظرة.

وكان يقول: في النجف مدفون ٣٦٠ نبيّاً، ولكن في كربلاء مدفون ٢٦٠ نبيّاً. ورفات النبيّ آدم عليه السلام والنبي نوح عليه السلام توجد بمحاذاة أمير المؤمنين عليه السلام.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

الأنس الحقيقيّ بالقرآن الكريم

لم يكن الأستاذ حافظاً لكلّ القرآن، لكنّه في ذاكرته يحفظ الآيات البارزة وما يسبقها وما يليها. وفي موضوع الاستخارة شوهد كثيراً ما يجيب بآيات من القرآن.

وينقل عنه قوله: عندما كنت في النجف كنت أختم القرآن مرّة كلّ ثلاثة أيام. وفي حلّ مشاكل الأفراد سمع الكثير عن نصيحته ببعض سور القرآن وآياته.

أحد أهل العلم كان لديه مشكلة مع عائلته فقصده وطلب منه حلّاً فقال له: اقرأ القرآن حتى تحلّ هذه المشكلة.

عندها قال ذلك الشخص: منذ مدة لم أفتح القرآن.

أحياناً كان يوصي بقراءة السور الطوال مثل آل عمران، للذين يطلبون برنامجاً عمليّاً ليتبين لاحقاً أنّ هذا الشخص ليس لديه ميل لقراءة القرآن. ولذلك كان رحمه اللّه يؤكّد ويأمر بتلاوة القرآن الكريم.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

اقتداء الملائكة

يقول الأستاذ:

كنت في الغرفة وحيداً منشغلاً بصلاتي. وأثناء الركوع الذي يُستحبُّ فيه النظر بين القدمين، نظرت بين قدميَّ، فشاهدت مجموعة يقتدون بي بلباسهم الأبيض. التفتُّ إليهم فكانوا من الملائكة. (جاء في الروايات أنّ الشخص إذا أقام الآذان للصلاة وحده، اقتدى به صفٌّ من الملائكة، وإن أقام للصلاة أيضاً، يقتدي صفٌّ ثان من الملائكة بالمصلّي).

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

سورة الحشر

بالنسبة إلى سورة الحشر كان يقول: سورة الحشر، وخاصّة أربع آيات منها، لها الكثير من الامتيازات، وهي جيّدة لاستجابة الدعاء.

ليُرغّب الناس بقراءة القرآن كان يقول: المرحوم الشيخ حسن علي النخودكي الأصفهاني ولمدة أربع سنوات، كان يختم القرآن كلّ ليلة في مشهد ويهديه للإمام الرضا عليه السلام، حتى وصل إلى تلك المقامات.

لذا فإنّ من جملة التوصيات العملية التي كان يقدّمها لأصحاب الحوائج ولمن يسأله الكلمة والنصيحة (الأنس بالقرآن).

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﴿عج﴾، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

ثلاثة أمور ذات بركة

من الأمور المؤثّرة في قضاء حوائج الدنيا والآخرة والتي لا تحتاج لإجازة من أحد، وكان الأستاذ يوصي بها في الموارد المختلفة ثلاثة أمور، وهي:

الأوّل: ذكر الاستغفار، أستغفر اللّه ربّي وأتوب إليه.

الثاني: ذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد.

الثالث: الصدقة.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﴿عج﴾، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

نصيحة لطلبة العلوم الدينية

قصده عدد من الطلبة بهدف لباس العِمامة وطلب النصيحة فقال لهم: وضع العمامة له شرط، وهو أن تكون دائماً في محضر اللّه ولا تغفل.

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﴿عج﴾، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

دعاء المشلول

كان يوصي بقراءة دعاء المشلول؛ فهو من الأدعية المتضمّنة الاسم الأعظم، وتذهب الهمّ والغمّ وتنفع لشفاء المريض وعلاج الأوجاع الصعبة، وأول ما يبدأ به الدعاء: «اللَّهمَّ إني أسألك باسمك بسم اللّه الرحمن الرحيم، يا ذا الجلال والإكرام».

[من وصايا العلماء، طائر النجف، آية اللّه كشميري، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ. ش.].

جبل العرفان

آية اللّه كوهستاني

أثر لغو الحديث

يروي ابنه: في أحد الأيام سألت والدي عن أثر الغذاء الحرام على روح الإنسان؟ فأجاب عن ذلك في معرض حديثه عن الأثر السلبي لحديث اللغو قائلاً: «لغو الحديث له تأثير كبير في الروح، وهو يميت الروح». ثمّ أضاف في تأثير اللغو على الروح: «وأنا لا أرى أنّ اللغو أقلّ من الغذاء الحرام».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

الاتفاق على ترك اللغو

يقول (رحمه اللّه): «في فترة الدراسة كنت أشارك في الغرفة أحد الطلّاب الأردبيليين، في البداية كنّا نريد أن ندرس سوية في الغرفة ونعيش فيها، فتعاهدنا أن لا نتحدّث إلّا بالحديث الواجب والمستحبّ. طوال هذه السنوات سعينا أن نلتزم بعهدنا واستطعنا ذلك».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

اجتناب مال الصغير، ومال الميت، ومال الوقف

يروي أحد طلّابه في هذا المورد:

أوصانا مولانا أن لا نتحمّل وزر ثلاثة أمور: مال الصغير، ومال الميت ومال الوقف.

وكان يقول: «هذا الوقف لم يكن بيدي، فهو كان في عهدة والدي وتولّيته قهراً فاضطررت لاستلامه وإلّا لما قبلت بتوليه».

في أحد الأيام جاءه أحد الأشخاص ليأخذه لإقامة صلاة الميت في قرية مجاورة لمدينة كوهستان، وكان معه حصان أحضره حتى يركبه الشيخ، سأله الشيخ: لمن الحصان. فقال: لفلان، فقال: أهو حيّ أو ميت؟ فأجاب بأنه متوفٍّ، فسأله الشيخ: هل له أولاد صغار؟ فقال: له ولد صغير، عندها، وبسبب أنّ للصغير سهماً في ذلك الحصان قال: أنا لا أستطيع أن أركب هذا الحصان. وذهب ماشياً إلى القرية.

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

طاعة الله وعبادته

من المواعظ التي كان يشير إليها كثيراً، شكر النعم الإلهية اللامتناهية، والعبودية، وطرد الشيطان من مسير الحياة ويستشهد بهذه الجملة من دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجّاد عليه السلام:

«وعمِّرني ما كان عمري بذلّة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ أو يستحكم غضبك عليّ».. وهو في الواقع يفهم الناس أنّ الهدف من الحياة والخلق أن يصرف الإنسان عمره في طاعة الله.

وكان في نصائحه يقول إنّ الشكر الواقعي في أن تكون كلّ أعضاء وجوارح الإنسان من اليد والقدم والأذن والقلب لذلك الهدف الذي خلقها الله من أجله، وهو أن تكون في مقام العبودية.

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية الله كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

المداومة على الذكر

يقول (رحمه الله) بالنسبة إلى المداومة على الذكر وأثرها أثناء الموت:

يجب على الإنسان الاعتياد على الذكر حتى يستطيع في المواقع الحساسة وأثناء الموت وانتقاله من هذا العالم أن يقول ذكره كما اعتاد.

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية الله كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

الاستغاثة بالأئمّة عليهم السلام عند الموت

يقول (رحمه اللّه): «لم أتشرّف بزيارة أيّ إمام إلّا وكانت أول حاجة وسؤال لي منه أن يساعدني عند الاحتضار والموت ويأخذ بيدي».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

أثر الغذاء الحرام

يقول (رحمه اللّه) فيما يتعلّق بالغذاء الحرام:

«السمّ، يهلك ويقتل الإنسان. ولكنّ الغذاء الحرام يهلك أرواحنا».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

العمل أفضل وسيلة نجاة

قال أحد الأشخاص للشيخ: ماذا أفعل؟ الموت صعب، كيف سيعاملنا اللّه؟ فأجابه سماحته: «إذا كان لديك عمل فليس بالمسألة، كأنّك تخلع قميصاً متّسخاً وترتدي قميصا نظيفاً».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

الدعاء للحضور في خط الإسلام

في أحد الأيام جاء الخطيب الكبير محمّد تقي فلسفي إلى محضر الأستاذ وقال له: حتى الآن كنّا في خطّ الإسلام فادع لنا أن نبقى كذلك. فأجابه سماحته بكل تواضع: «دعائي الدائم ربَّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

قيمة الكلمة الطيبة «لا إله إلّا اللّه»

قال (رحمه اللّه): في يوم القيامة سيتمنّى الناس لو يرجعون إلى الدنيا ليقولوا: «لا إله إلّا اللّه مرة واحدة ويموتوا».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

الافتضاح في القيامة

قال آية اللّه كوهستاني في بحث المعاد: نسأل اللّه أن يحشرنا يوم القيامة بالصورة الآدمية! قيل له: وهل من الممكن أن لا نحشر بالصورة الآدمية؟ قال: «في يوم القيامة يُحشر البعض على صورة لها ذنب، والآخرون على صورة لها حافر».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

لطف الإمام الحسين عليه السلام

قال (رحمه اللّه) في مورد التوسّل بالإمام الحسين عليه السلام: «الإمام الحسين بذل كلّ ما يملك في سبيل اللّه، كلّ من يقصد بيت الإمام الحسين لن يتركه الإمام (يعطيه كلّ شيء)».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

قيمة المؤمن

قال (رحمه اللّه) في قيمة المؤمن: «قيمة المؤمن هي بقدر أنه لو مرّ على مقبرة فإنّ اللّه يرفع العذاب عن تلك المقبرة احتراماً له وينجو الأموات من العذاب».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

شرط ملاقاة إمام الزمان عجل الله فرجه

سألت والدي يوماً: «هل تشرّفت بلقاء إمام الزمان عجل الله فرجه؟ هل التقيت به؟ أجابني (رحمه اللّه): إذا كنا جيّدين فسيأتي إمام الزمان عجل الله فرجه بنفسه يبحث عنّا».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

تذكّر اللّه في الغمّ والفرح

قال أبي (رحمه اللّه): «لا تنْسَ اللّه في الزفاف والعزاء».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

اللّه خير رفيق

في رسالة لأحد مريديه: «اتَّخِذِ اللّه رفيقاً ودع ما غيره».

× الاهتمام بكتاب معراج السعادة

قال (رحمه اللّه) لأحد مدرسي الحوزة: «أوصوا الطلبة بأن يقرؤوا بعد صلاة الصبح القرآن، ويطالعوا صفحتين من الكتاب الأخلاقي للسيّد أحمد النراقي».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷺ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

إيّاك والعودة عطشانَ

وعظ أحد طلّابه العازمين على استكمال الدراسة في مشهد بقوله: «إذا كان الإنسان قرب عين ماء وكان عطشانَ ولم يشرب الماء ومات من العطش فسيلومه الناس ويقولون إنّه ليس بعاقل. أنت ذاهب إلى قرب العين النضّاحة للإمامة والولاية، فإيّاك وعدم الاستفادة من ماء الولاية الزلال، وإيّاك والعودة عطشانَ».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

أثر إهمال زيارة بيت اللّه

ينقل الحاجّ نصرت قاجار:

في أحد الأيام جاءه أحد الأشخاص وقبّل يده وقال: «مولاي جئت من رشت طالباً زيارتكم» بعد الاستفسار عن أحواله سأله الشيخ: «هل تشرّفت بزيارة مكة؟» أجاب: كلّا.

قال سماحته: «لا يوجد في الإسلام ذنب يُخرج الإنسان من دين الإسلام إلّا أن يكون مستطيعاً ولا يذهب إلى مكّة، وهذا ما أرغب كثيراً أن يعرفه الأخوة ويلتفتوا إليه».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

شأن التبرّي

برأي المرحوم آية اللّه كوهستاني التبرِّي من أعداء أهل البيت عليهم السلام يحظى بمرتبة أعلى، ولذلك قال: «التبرّي أعلى من التولّي وأنّ ثوابه أكثر من التولّي».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

محبّة عليّ سبيل النجاة

قال (رحمه اللّه)، في ولاية عليّ عليه السلام: «نحن لسنا شيعة واقعيّين لعليّ عليه السلام، لكن نسأل اللّه أن يجعلنا من محبّيه - أمير المؤمنين عليه السلام - وهذا القدر يكفينا».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

ذكر اللّه

قال (رحمه اللّه): «لتكن هذه الآية المباركة وردكم الدائم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

أسوأ البلاء

قال (رحمه اللّه): «بنيّ، اعلم أنّ أسوأ البلاء في آخر الزمان هو أنّ الإنسان لا يعرف تكليفه».

[من وصايا العلماء، جبل العرفان، آية اللّه كوهستاني، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩ هـ.ش.].

عاشق أهل البيت عليهم السلام

الشيخ جعفر مجتهدي

محكّ الإيمان

كلّ شخص يمكنه أن يدرك مستوى عمق إيمانه من خلال مستوى الحزن أو التغيير الذي يتولّد بداخله عند سماعه لاسم الإمام الحسين عليه السلام. فالذين يسمعون باسم هذا العظيم ولا يرون في ذواتهم أيّ تأثير أو تغيير، عليهم أن يقلقوا بشدّة على إيمانهم!!

اسم الإمام الحسين عليه السلام محكّ الإيمان.

ويذكر الشيخ مجتهدي في هذا المجال قائلاً:

عندما كنت ساكناً في الصحراء، وأثناء التوسُّل كنت أكتب الاسم الشريف (يا حسين) باصبعي على التراب وأبكي حتّى تتبدّل كلمة (يا حسين) التي كتبتها على التراب إلى وحل وتمحى، ثمّ أكتب ذلك الاسم المقدس مرة أخرى على الوحل وأبكي إلى درجة أفقد معها الوعي.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت R،
إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

وجود مشاكل بسبب قطع صلة الرحم

يقول السيد أميري:

عندما وصلت إلى لقاء الشيخ مجتهدي قلت له: منذ مدّة وزوجتي مريضة وأنا أيضاً مبتلى بالعديد من المشاكل وبشكل عام فحياتنا لم تعد كما يرام، فإذا كان من الممكن أن تدعو لنا حتّى تحلّ مشاكلي.

تأمّل الشيخ وقال:

نعم، من يُخرج رحمه من المنزل سيواجه مثل هذه الأمور، هناك عجوز من أقربائك انزعج وتضايق منكم، فأنتم كسرتم قلبه، وفي هذه الحالة من الأذى الذي شعر به تألّم وتأوّه، وبسبب تلك الآهات التي خرجت منه ظهرت مشاكلك، لذا فهذه المشاكل التي تعاني منها لن تحلّ، وستسوء حالة زوجتك يوماً بعد يوم، ما لم تحصل على رضاه القلبيّ.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام،
إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ﷻ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

غضّ النظر عن الذنوب

يقول الشيخ مجتهدي: في أيام شبابي، وأنا في طريقي إلى المدرسة كنت أساعد الفقراء الذين أصادفهم. في أحد الأيام وأثناء عودتي

من المدرسة رأيت امرأة عجوزاً في الطريق، وكان في يدها بعض الحاجيات والأغراض، وطلبت منّي مساعدتها، فأعطتني الأغراض وسارت أمامي حتى وصلنا إلى منزلها، ففتحت الباب ودخلت إلى المنزل وأنا أيضاً تبعتها إلى الداخل. ثمّ فجأة، أقفلت الباب ووقفت إلى جانب بضع بنات صبيّات قلن لي: أنت معروف بيوسف تبريز، ولنا عندك طلبات، إذا لم تنفِّذها فسنكون ممّن يشهِّر بسوء سمعتك.

قال (رحمه اللّه): تأملت للحظات ونظرت إلى أطرافي فوقعت عيني فجأة على درج ينتهي إلى سطح فركضت بلا تأخير إلى جهة الدرج وصعدت إلى السطح وتبعنني، وعلى الرغم من أن ارتفاع المبنى كان ثلاث طبقات وله جدران عالية، إلّا أنني رميت بنفسي من السطح صائحاً (يا عليّ) باتجاه بستان يقع إلى جانب منزلهم، أثناء سقوطي التقطتني كفّان من تحت قدمي وأنزلتاني بهدوء إلى الأرض.

قال (رحمه اللّه): منذ ذلك الحين لم أضع قدميّ على الأرض، ولا زلت أسير على تيْنِك الكفَّيْن.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

عدم جواز كسر القلب

يروي الحاجّ فتحعلي: في أحد الأيام جاء الدكتور (لم يذكر اسمه...) إلى الشيخ مجتهدي وقال: سيّدي، عندي محلّ وقمت بتأجيره، لكنّ المستأجر ممتنع عن تسديد الإيجار منذ عدة أشهر،

ويقول إنّه لا يملك مالاً ليدفع، فهل تأذن لي برفع دعوى عليه؟ سكت الشيخ ولم يتكلّم.

وفي اليوم التالي جاء الدكتور لزيارته لكن الشيخ مجتهدي لم يأذن له بالدخول عليه، وطوال أسبوع كان الدكتور يأتي لكن الشيخ لم يكن يستقبله، فيقول الحاجّ فتحعلي: سألته عن سبب ذلك فأجابني: ذهبت إلى الصحارى عشرين عاماً وسكنت في البراري حتى - لا سمح اللّه - لا أقع في جرم كسر قلب أحد، أو أتسبّب له بأذى، والآن يأتيني ليستجيزني في جواز كسر القلوب.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الزيارة بالنيابة عن الأمّ

يقول السيّد يزدان پناه: قبل سنوات عندما أردت التشرّف بزيارة حضرة الرضا (عليه آلاف التحية والثناء) ذهبت لوداع أمّي وقلت لها: أريد زيارة الإمام الرضا عليه السلام، فما الذي ترغبين بإحضاره لك كذكرى من هناك؟

فأجابتني: لا أريد إلّا سلامتك، لكن عندما تتشرّف بالزيارة زُرْ بالنيابة عني؛ فقلت لها: حتماً إن شاء اللّه. ومن ثَمَّ ذهبت إلى مشهد المقدّسة، وبعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام، زرت الشيخ مجتهدي وقلت له: ادع لي يا مولانا حتى يلتفت إليّ الإمام الرضا بعنايته وتحلّ أموري.

فنظر إليّ وقال:

هل تذكر عندما أتيت إلى مشهد ما قالته أمُّك؟

قلت: كلا سيّدي، ماذا قالت؟

قال: عندما ذهبت إلى أمّك لوداعها وسألتها: ماذا أحضر لك كذكرى؟ قالت لك: أريد سلامتك، ولكن زُرْ بالنيابة عنّي. أنت أتيت إلى مشهد ولك ثلاثة أيام، ولكنك إلى الآن لم تؤدِّ الزيارة النيابية عن والدتك التي وعدتها بها.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

اللّه غيور

يروي الحاجّ عليّ فتحعلي: في أحد الأيام سألت الشيخ مجتهدي: بعض الأحيان وأثناء السفر نركب سيارة، ويصادف بأنّ سائقها يستمع للأغاني ويكون من الصعب النزول منها مع أغراضنا في الصحراء، والجو بارد، فما هو تكليفنا؟ فأجابني الشيخ: بلى عزيزي، من المؤكّد يجب أن تنزلوا، فاللّه غيور.

بعد هذه الحادثة صادف أنه في فصل الشتاء، كنت أستقلّ باصاً، فقام السائق بوضع شريط الأغاني، وعندما اعترضت عليه قال: إذا لم يعجبك يمكنك الترجُّل، فترجّلت من الباص في وسط الصحراء ووقفت، ولكن لم تمرّ أيّ سيّارة وفجأة تذكرت كلام الشيخ مجتهدي حين قال: إنّ اللّه غيور.

وفي نفس تلك اللحظة التي تذكّرت فيها كلام الشيخ ردّدت في سِرِّي (إنّ اللّه غيور)، وإذ بعد دقائق معدودة من قولي لهذه العبارة وصلت سيارة جديدة ونظيفة وأقلّتني وأوصلتني إلى مقصدي.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

بهذا الشكل لا يمكن الوصول إلى خدمة المهديّ عجل الله فرجه الشريف

يروي الحاجّ غلام علي فرجي (يعمل قصّاباً) وهو من الخادمين المخلصين والعاشقين لحضرة بقية اللّه، روحي فداه: أخبرنا الشيخ مجتهدي أنّ أحد الأشخاص جاءه وقال له: لقد زرت إمام الزّمان عجل الله فرجه وأنا على هذه الحالة وعلى هذا النحو، فسأله الشيخ: سيّدي العزيز، في جيبك ٢٠ ألف تومان نقداً، فكيف من الممكن أن تكون قد زرت إمام الزمان عجل الله فرجه؟!!

يقول الحاجّ فرجي: يقصد الشيخ مجتهدي أنه كيف له أن يتشرّف بخدمة صاحب الزمان، أرواحنا فداه، بينما في جيبه ٢٠ ألف تومان وأطراف المدينة مليئة بالجائعين والفقراء.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

عدم رضا الأب

ينقل السيّد صادق شمس الدين وهو من السادة العظام:

تشرّفت في أحد الأيام بزيارة الشيخ مجتهدي فقلت له: أحد أصدقائي رجل جيّد وذو تقوى، لكنه دائماً يبتلى بالمشاكل في حياته وتتعقّد أعماله. ورغم توسّله بالذوات المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام، لكنه لا يحصل على نتيجة، فقال الشيخ مجتهدي بعد دقائق: سيّد صادق، والد صديقك - والذي هو حاليّاً ليس على قيد الحياة - ليس راضياً عنه، وهذه المشاكل في حياة صديقك هي بسبب عدم رضا والده. يقول السيّد شمس الدين: في تلك اللحظة نويت أن أعمل عملاً خيِّراً نيابة عن والد صديقي، ولم تمض دقائق على هذا القرار الذي اتخذته في داخلي حتى بادرني الشيخ قائلاً:

رأيت والد صديقك متبسماً وقد رضي عن ولده، بعد ذلك حُلّت مشاكل صديقي الواحدة تلو الأخرى، وتحسّنت حياته.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

الزيارة الجامعة، زيارة عاشوراء وزيارة آل يس

كان الشيخ مجتهدي يوصي الأفراد دائما بالتّوسُّل بأهل البيت عليهم السلام. وفيما يتعلّق بالثّبات على طريق الولاية كان يقول:

هذه الزيارات الثلاث أي الجامعة وعاشوراء وآل يس مؤثّرة جدّاً.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت ، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ ، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

حلّ المشاكل بصلاة التوسُّل بإمام الزّمان (أرواحنا فداه)

يقول الحاج فتحعلي:

عندما كنت مشغولاً بالتكسّب كنت مضطراً للسفر إلى دول ألمانيا، فرنسا، إنكلترا وسورية وحتى لا أضطر لتناول الغداء هناك كنت آخذ معي بعض المعلّبات. في ذلك الوقت ذهبت لرؤية الشيخ مجتهدي وسألته: هل تأذن لي بالسفر إلى هذه الدّول؟ فقال: نعم، إذا لم تذهب أنت فمن سيذهب؟ بعدها سألته: في هذه الأسفار ماذا عليّ فعله حتى لا أُبتلى وأكون بمأمن؟ فأجابني: كلما وصلت إلى بلد صلِّ ركعتيْ توسّل بوليّ العصر .

وفي أحد أسفاري حيث كنت أمرّ بألمانيا، فرنسا، إنكلترا حرصت على تأدية صلاة التوسّل في كل يوم ولما أنجزت أعمالي بسرعة في هذه البلدان وصلت أخيراً إلى سورية فقلت في سرِّي إنّ سورية بلد مسلم ولا حاجة لصلاة التوسّل.

ولما أردت العودة من سورية إلى إيران ذهبت إلى المطار فقالوا لي:

كل رحلات إيران مقفلة من الآن وحتّى شهر. عندها عدت إلى

الفندق وكنت متضايقاً، وفجأة أُلهمت وتذكرت صلاة التوسّل فقمت مباشرةً وصلّيت ركعتي التوسّل وعدت إلى المطار مجدّداً وفور وصولي قالوا لي تمّ وضع رحلة استثنائية إلى إيران. وفهمت أنّ هذا الأمر كان ببركة التوسّل بإمام الزّمان، أرواحنا فداه.

[من وصايا العلماء، الشيخ جعفر مجتهدي، العاشق لأهل البيت عليهم السلام، إعداد هيئة منتظري الإمام المهديّ عجل الله فرجه، صيف ١٣٨٩هـ. ش.].

١ - روح اللّه الموسوي الخميني/ مدينة خمين - إيران
١٢٨١ - ١٣٦٨ هـ. ش. ١٩٠٢ - ١٩٨٩م.

٢ - الإمام السيّد علي الخامنئي/ مدينة مشهد - إيران
١٣٥٨ هـ. ق. ١٣١٨ هـ. ق.

٣ - آية اللّه السيّد علي القاضي/ مدينة تبريز - إيران
١٢٨٥ - ١٣٦٦ هـ. ق.

٤ - آية اللّه أنصاري الهمداني/ مدينة همدان - إيران
١٣٢٠ - ١٣٧٩ هـ. ق. ١٢٨١ - ١٣٣٩ هـ. ش.

٥ - آية اللّه السيّد رضا بهاء الديني/ مدينة قم - إيران
١٢٨٧ - ١٣٧٦ هـ. ش.

٦ - آية اللّه محمد تقي بهجت/ مدينة فومن - گيلان
١٢٩٥ - ١٣٨٨ هـ. ش.

٧- آية اللّه حسن زاده آملي/ قرية إيراى - لاريجان - إيران
١٣٠٧ هـ. ش.

٨- آية اللّه رضوي الكشميري/ مدينة كشمير - إيران
١٢٦٨ - ١٣٢٣ هـ. ق.

٩ - آية اللّه محمد كوهستاني/ قرية كوهستان - إيران
١٣٠٨ - ١٣٩٢ هـ. ق. ١٢٦٧ - ١٣٥١ هـ. ش.

١٠ ـ آية اللّه محمد حسين الطباطبائي/ مدينة تبريز ـ إيران
١٣٢١ ـ ١٤٠٢ هـ. ق. ١٢٨١ ـ ١٣٦٠ هـ. ش.

١١ ـ الشيخ جعفر مجتهدي/ مدينة تبريز ـ إيران
١٣٤٣ ـ ١٤١٦ هـ. ق. ١٣٠٣ ـ ١٣٧٤ هـ. ش.

١٢ ـ الشيخ رجب علي الخيّاط/ مدينة طهران ـ إيران
١٢٦٢ ـ ١٣٤٠ هـ. ش.

الفهرس

يضمُّ هذا الكتاب مجموعة من الوصايا والإرشادات العمليّة في السير والسلوك، إضافة إلى حقائق تفسّر مسائل وجوديّة، لبعض كبار عرفاء الشيعة، وهم:

- الإمام الخمينيّ (قده) - قرن عارف.
- السيّد القائد الخامنئيّ (دام ظلّه) - حديث الولاية.
- آية الله محمّد حسين الطباطبائيّ - علّامة العرفاء.
- العلّامة حسن زاده آملي - أستاذ السلوك.
- آية الله السيّد علي القاضي - أستاذ الطريقة.
- آية الله بهاء الدينيّ - بحر العرفان.
- آية الله بهجت - جنّة العرفاء.
- الشيخ رجب علي الخيّاط - رجل الطريق.
- آية الله الأنصاريّ الهمدانيّ - العارف المتحرّق.
- آية الله الكشميريّ - طائر النجف.
- آية الله كوهستاني - جبل العرفان.
- الشيخ جعفر مجتهدي - عاشق أهل البيت (عليهم السلام).



شارع الرويس، الرويس، برج البراجنة، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 www.daralwalaa.com


ISBN 978-614-420-209-8
9 786144 202098
Moujtaba Grfk 70 171861